جـــــــــــــــامعة
الجـــــــــــــــزائـــــــــــر
كليـــــــــــة العـــــــــلوم
الإنسانية و الاجتماعية
قـــــــــــــــسم التاريخ

تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق.1-7ه/7-13م)

رسالة لنيل شهادة ماجستير في
التاريخ الوسيط

إعداد الطالب الباحث :
إشراف الأستاذ الدكتور:

- موسى هواري
- أ.د. محمد بن عميرة

لجنة المناقشة:

د. رافعي نشيدة
رئيسا

د. محمد بن عميرة
مقررا

د. رشيد تومي
عضوا

د. عبد الشكور نبيلة
عضوا

السنة الجامعية:
2009 - 2008

مقدمة:

اختيار الموضوع:

لاحظت ندرة الدراسات التي تتحدث عن التاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب، مقارنة مع تلك التي تناولت الجوانب السياسية والحضارية، فارتأيت أن أتناول في دراستي التاريخ الإقتصادي للمنطقة، وبعد اتصالي بالأستاذ المشرف نصحني بوجوب حصر الدراسة في نشاطٍ اقتصاديٍ واحدٍ، ولفت انتباهي إلى نشاط تربية الحيوانات، وعندما شرعت في قراءتي الأولية حول هذا الموضوع، لم أعثر على دراسةٍ أكاديمية واحدةٍ تتطرق له، فقررت أن يكون بحثي عن تربية الحيوانات ببلاد المغرب.

إشكالية الموضوع:

تستوجب دراسة نشاط تربية الحيوانات ببلاد المغرب، دراسة المنطقة دراسة طبيعيةً، لأنَّ الحيوانات تتأثر بالظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ وغطاء نباتي، وبعد ذلك معرفة أهم الحيوانات التي كانت تُربَّى هناك، والمناطق التي اشتهرت بتربية أنواعٍ منها، ثمَّ معرفة الطرق المستعملة لتربيتها، والمشاكل التي واجهتها، كما يجب تبيان وجوه الاستفادة من هذه الحيوانات، واستخداماتها في الزراعة والصناعة والتجارة.

خطة الموضوع:

قسمت هذا الموضوع إلى أربعة فصول، يتناول الفصل الأول دراسة بلاد المغرب من الناحية الطبيعية، فحدَّدت موقع بلاد المغرب وأشرت إلى حدودها التاريخية، ثم تطرقت إلى تضاريس المنطقة ومناخها، وقد اعتمدت على المراجع الحديثة التي تناولت مناخ بلاد المغرب بعدما بينت أن مناخ المنطقة لم يتغير من الفترة المدروسة إلى اليوم، وأشرت أولاً إلى أهم العوامل المتحكمة في هذا المناخ،

ثم إلى الحرارة و التساقط، وتعرضت أخيرا إلى الغطاء النباتي لأبين أهم النباتات التي تنشر في المنطقة مركزاً على المراعي والمناطق الصالحة للرعي.

وفي الفصل الثاني تطرقت إلى أهم الحيوانات التي كانت تربى ببلاد المغرب في تلك الفترة، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، خصصت الأول منها لتربية الماشية، التي تشمل الغنم والمعز والبقر والإبل، وفي المبحث الثاني تناولت تربية الخيول والحمير والبغال، وتعرضت في المبحث الأخير لتربية الحيوانات الأخرى وفي مقدمتها النحل ودودة القز، ثمَّ الدجاج والحمام، وفي الأخير تربية الكلاب وفي هذه العنصر تناولت ظاهرة أكل الكلاب، ببعض المناطق من بلاد المغرب.

وخصصت الفصل الثالث من هذا العمل لطرق تربية الحيوانات ببلاد المغرب، وقسمته إلى أربع مباحث يتناول الأول منها الرُّعاة، وهم ينقسمون إلى مستقرين، ومتنقلين، فتعرضت في العنصر المخصص للرعاة المستقرين، إلى اتخاذ الرعاة من العبيد، واستئجار الرعاة، وفي عنصر الرعاة المتنقلين، حاولت أن أبين بعض أسباب تنقل الرعاة، وأهم القبائل المتنقلة ببلاد المغرب.

ووضحت في مبحث المراعي، دور هذه الأخيرة في تأسيس المدن ببلاد المغرب، ثم تعرضت لأهم المراعي في المنطقة، حسب ما ذكرته المصادر الجغرافية والتاريخية، كما أشرت إلى المراعي الموجودة في الجبال، وفي الأخير تحدثت عن نظم ملكية المراعي.

وفي المبحث الثالث تناولت تعليف الحيوانات، فذكرت بعض أنواع العلف المعروفة بالمنطقة خلال تلك الفترة، وإيواء الحيوانات فأشرت إلى بناء الإسطبلات والزرائب، وتعرضت إلى تكاثر الحيوانات، فتحدثت عن ظاهرة كراء الذكور لتلقيح الإناث، وخصَّصت المبحث الرابع لمشاكل تربية الحيوانات، فتطرقت إلى

التأثيرات السلبية للفتن والاضطرابات السياسية عليها، وإلى تأثير الظروف المناخية، إضافةً إلى بعض الأمراض التي كانت تصيب الحيوانات، وأخيراً إلى خطر الأسود التي كانت تفترس الماشية في بعض المناطق، وركزت في المبحث الخامس على الرّفق بالحيوانات في بلاد المغرب، وما كانت تلقاه من معاملةٍ حسنةٍ، ودور الفقه الإسلامي في هذه المعاملة.

أمَّـا الفصل الرابع، فبينت فيه دور الحيوانات في اقتصاد بلاد المغرب، بحيث تناولت في المبحث الأول استخدامها في الزراعة، من الحـرث إلى السقي والدراس، كما أشرت إلى استخدام فضلاتها في تسميد الأرض، وتحدثت عما كانت تسببه هذه الحيوانات من أذى للزروع والأشجار، وفي المبحث الثاني، تعرضت إلى استخدام الحيوانات في الصناعة ببلاد المغرب، فتناولت الصناعات الجلدية، التي تقوم على جلود الحيوانات، والنسيجية التي تقوم على الصوف أو الحرير، ثم الصناعات الغذائية، التي تعتمد على الألبان ومشتقاتها أو على العسل، وخصصت آخر مباحث هذا الفصل للحديث عن دور الحيوانات في التجارة ببلاد المغرب، فتطرقت إلى تجارة الحيوانات في الداخل وتصديرها إلى الخارج، وإلى استخدام الحيوانات في النقل.

المنهج المطبق في كتابة البحث:

قمت أول الأمر بجمع المادة من المصادر والمراجع، وبعد قراءة هذه المادة، قسمت العمل إلى فصولٍ، وصنفت مادة كل فصل وبوبتها، وشرعت في تحرير العمل معتمداً على مادة المصادر، مراعياً لأسبقية بعضها على الآخر، وعدت إلى المراجع كلّما كان ذلك ضرورياً، وكنت أجمع بين المعلومات إذا تشابهت، وأقارن بين ما اختلف منها، لأستخلص بعض الاستنتاجات، كما كنت أضيف بعض التعليقات التي أرى أنها مفيدة.

تقييم المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث:

المصادر الجغرافية:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر، في مقدمتها الكتب الجغرافية التي تحدثت عن بلاد المغرب ويأتي كتاب "صورة الأرض"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طبعة1979م، لابن حوقل النصيبي الذي زار بلاد المغرب بين سنتي 330هـ/916م و340هـ951م ، على رأس هذه الكتب، حيث أفادني ابن حوقل بما ذكره عن ما يُتَجَهَزُ به من المغرب إلى المشرق من حرير وأكسية صوف، وما ذكره عن وفرة الخيل والبغال والماشية ورخص أسعارها، بمختلف نواحي بلاد المغرب، وما أورده من إشارات عن السقي بالسَّواني، وعن صناعة الحرير ودباغة الجلود بقابس، وما ذكره عن صناعة النبيذ من العسل في مرسى الخرز، وقد استفدت مما ذكره أبو عبيد الله البكري (ق.5هـ/11م) في كتابه "المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب"، وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك"، نشره البارون دوسلان، الجزائر1857م، عن وفرة الماشية والصوف والعسل بالكثير من المناطق، وما ذكره عن الغنم الفارسية الأصل في حصن يرارة على الطريق من سجلماسة إلى فاس، وصناعة الحرير بقابس، وأكل الكلاب بقسطيلية، واستفدت بما ذكره عن المراعي المنتشرة ببلاد المغرب، وعن تعليف الماشية لثمر شجر الهلجان واستخراج زيته، إضافةً إلى ما أورده عن سقي الزرع بالإبل في زويلة، والدواليب المستعملة في المهدية لرفع الماء، وعن صناعة النبيذ من العسل في سوس.

ويعتبر كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، للشريف الإدريسي (ت548هـ/ 1154م)، مطبوعات عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في هذا العمل، حيث أمدني هذا الكتاب بمعلوماتٍ عن

تربية الماشية ، والنَّحل واستخراج العسل في العديد من المناطق، وهو الذي تحدث عن تحول قابس من صناعة الحرير إلى دباغة الجلود، واستنتجت من كلامه عن أعمال العرب الهلاليين في النواحي الشرقية لبلاد المغرب، تأثيراتهم على تربية الحيوانات بالمنطقة، أما في ما يخص استخدام الحيوانات في الري، فقد أشار الإدريسي إلى استعمال آلات لسقي الزرع في زويلة، وإلى السقي بالسَّواني في بعض المناطق من بلاد المغرب، واستعنت بما ذكره عن أهل أغمات الذين كان كل واحدٍ منهم ينتقل إلى بلاد السودان بما يقارب السبعين إلى المائة جمل، في تحديد عدد الجمال في القافلة الواحدة.

ومن الكتب المعتمدة في هذا البحث "كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار"، لمؤلف مراكشي مجهول من القرن السادس الهجري(12م)، نشره مع ترجمة فرنسية لقسم منه وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية 1958م، وأعاد نشره فؤاد سيزكين، ضمن سلسلة الجغرافية الإسلامية، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا 1418هـ /1997م، وقد استفدت مما ذكره هذا الكتاب عن الكباش الدّمانية، وعن طيب المراعي في المغرب الأوسط، ورخص أسعار الماشية بها، وتصديرها من هذه المنطقة إلى الأندلس لرُخصها، وما أخبر به عن أهل مدينة أودغشت الذين يزرعون القمح بالحفر بالفؤوس، وعن الصناعة الصُّوفية بعدَّة مناطق، واعتمدت على كتاب "وصف إفريقيا"، للحسن بن محمد الوزان الفاسي(ق.10هـ/16م)، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1983م، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنَّ الوزان خصَّص جزءاً منه للحديث عن أهم الحيوانات التي تعيش في بلاد المغرب الأليفة منها، وغير الأليفة، فقدَّم فيه وصفاً لغنم الصحراء، كما أشار إلى

بقر الجبال قصير القامة واستخدامه في الحرث، وإلى الخيول القصيرة التي تعيش في الجبال أيضاً، وعرَّف فيه بإبل ببلاد المغرب، وقد استفدت كثيراً مما ذكره الوزان عن صناعة أقفاص الدجاج في سوق مدينة فاس، وما أورده عن تربية الحمام، ومن حديثه عن الإسطبلات التي اتخذها المنصور الموحدي لدوابه، إضافة إلى المعلومات الكثيرة عن الرعي وتربية الماشية في بلاد المغرب وخصوصا في المغرب الأقصى، واستفدت من كتاب محمد بن عبد المنعم الحِميري (ت727هـ/ 1327م)، المسمى: "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1980م، الذي قدم فيه وصفاً للكباش الدُّمانية، كما ذكر أكل الكلاب بسجلماسة، وأشار إلى صناعة السُّروج بمدينة نول لمطة، ورخص أسعار الدجاج بمدينة دكَّالة الواقعة بين مراكش والبحر المحيط.

كما رجعت إلى كتاب ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م)، المعروف بـ"كتاب الجغرافيا"، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1970م، حيث استعنت بمعلوماته عن تأثير الهلاليين على حواضر المغرب الشرقية، وعن حمل الخيل إلى الإسكندرية، وشرب التجار المسافرين إلى بلاد السودان من الماء الموجود في بطون الإبل.

كما اعتمدت على كتب جغرافية أخرى ولكن بدرجة أقل مثل: كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لأبي عبد الله المقدسي (ق.4هـ/10م)، تحقيق ي. دي خويه، إعادة طبعة ليدن1906م، أعاد نشره فؤاد سيزكين ضمن سلسلة الجغرافية الإسلامية، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1413هـ/ 1992م، وكتاب "صفة المغرب" المأخوذ من "كتاب البلدان"، لأحمد بن أبي يعقوب

اليعقوبي(ت274هـ/888م)، صححه ونشره "هنري بيرس"، مكتبة الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1370هـ/1960، وكتاب "المسالك والممالك"، للإصطخري تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة مصر، طبعة1381هـ/1961م، وكتاب "معجم البلدان"، لياقوت الحموي ، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية1995م.

كتب الفقه والنوازل:

استفدت من كتاب أحمد بن يحيى الونشريسي(ت.914هـ/1508م) المسمى:"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب"، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، طبعة 1401هـ/1981م، خاصةً، في قضية استئجار الرعاة، وشروط عقد الاستئجار، وتضمين الراعي وغيرها، وفيما يتعلق بعيوب الدواب وكرائها واستعارتها،كما اعتمدت على كتاب "فتاوى البرزلي"، أو "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، لأبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت.841هـ/ 1438م)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002م، ويعتبر كتاب "وثائق المرابطين والموحدين"، لعبد الواحد المراكشي(ت.647هـ/ 1249م)، حققه حسين مؤنس، الطبعة الأولى،1997م، كتاباً مهماً، بما تضمَّنه من معلوماتٍ قيِّمةٍ يندر توفرها في غيره، مثل عقود بيع واستئجار واستعارة الدواب وما احتوته هذه العقود من إشارات عن عيوب الدواب، وعقود استئجار الرعاة وما تضمنته من شروطٍ بين الطرفين، وجاء في الكتاب عقد استئجار عاملٍ لتبليط إسطبلٍ، وإشارةٌ إلى صناعة الخلِّ من العسل، ورجعت أيضاً إلى مدونة سحنون بن سعيد التنوخي(160- 240 هـ/777- 854م)، المعروفة بـ "المدوَّنة الكبرى" وهي

مذيلةٌ بكتاب "مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدوَّنة من الأحكام"، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، طبعة1406هـ/1986م، وقد أفادتني بما فيها من فتاوى حول قضية تفضيل الخيل على سائر الدواب في تقسيم الغنائم، وانتقال النَّحل من جبح شخصٍ، إلى جبح غيره، والحمام من قفص رجلٍ إلى قفص رجلٍ آخر، وعن حكم تربية الكلاب، وذكر لأنواع العلف.

واعتمدت على كتبٍ فقهيةٍ أخرى مثل: كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، لابن رشد الحفيد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1409هـ/1988م، وكتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، لأبي زكرياء يحيى بن موسى المغيلي المازوني (ت.883هـ /1478م)، تحقيق مختار حساني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مخبر المخطوطات، بوزريعة، الجزائر، وموطأ الإمام مالك بن أنس (ت.179هـ/795م)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.

كتب التراجم والطبقات:

وتنقسم إلى كتبٍ تناولت فقهاء المالكية وعلماءهم، مثل كتاب "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم"، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت.بعد 460هـ)، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م، وكتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، لعبد الرحمن بن محمد الدباغ(ت.696هـ/ 1296م): أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرون، مكتبة الخانجي مصر، المكتبة العتيقة

تونس، الطبعة الثانية، 1388هـ/1968م، وكتاب القاضي عياض "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، وكتاب "المؤنس في أخبار إفريقية وتونس"، لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار(ق.11هـ/16م)، دار الميسرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1993م، وكتاب "طبقات علماء إفريقية"، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي(ت.333هـ/ 945م)، نشره محمد بن شنب مع كتاب طبقات علماء إفريقية لمحمد بن الحارث الخشني وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب تميم، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د.ت.ط، واعتمدت أيضا على كتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين"، لمحمد بن حارث الخشني (ت.361هـ/971م)، تحقيق ماريا لوسيا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد إسبانيا، طبعة 1992م، وقد تضمنت هذه الكتب مادةً تاريخية مهمةً، حول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، استنتجت منها بعض المعلومات عن تربية الحيوانات، مثل ذبح الفاتحين للماشية، ودور مراعي الإبل في اختيار موقع مدينة القيروان وغيرها، كما تضمنت إشارات مفيدة حول عن تربية الماشية، خاصة في إفريقية وضواحيها، وعن تربية الدجاج، وحول بعض الصناعات التي كانت في سوق القيروان، مثل سوق الخرازين الذي ذكره المالكي.

أما كتب طبقات الإباضية، فقد اعتمدت على كتابي "أخبار الأئمة الرستميين"، لابن الصغير المالكي(ت.بعد 290هـ/ 903م)، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، و"سير الأئمة وأخبارهم" المعروف بـ"تاريخ أبي زكرياء"، لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الإباضي (ت.471هـ/1079م) تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر،

1333هـ/1979م، وتتمثل قيمة هذين الكتابين في أنهما يقدِّمان معلوماتٍ عن تربية الحيوانات في منطقة تاهرت وغيرها من المناطق التي خضعت لسلطة الرستمين، ومن بين هذه المعلومات ما ذكره أبو زكرياء عن الأمير عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي اتَّخذ داراً للدَّواب مليئةً بالأفراس، وما ذكره ابن الصغير أنه كان يَعُدُّ في عسكره ألف فرسٍ أبلقٍ، وهو الذي ذكر أنّ الأمير الرُّستمي أبا اليقظان محمد بن أفلح، أمر قوماً من نفوسة يمشون في الأسواق، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن رأوا دابةً حُمِلَ عليها فوق طاقتها أنزلوا حِمْلَها وأمروا بالتَّخفيف عنها، وقد استنتجت من قوله هذا أن الرفق بالحيوانات، لم يكن خاصاً بالمالكية فقط.

كتب الحسبة:

استفدت من كتاب "معالم القربة في أحكام الحسبة"، لمحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (ت.729هـ/1329م)، حققه ونشره مع ترجمة للإنجليزية روبن ليوى، مطبعة دار الفنون بكمبرج، 1637م، أعاد طبعه مكتبة المثنى ببغداد، د.ت.ط، وكتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة"، عبد الرحمن بن نصر الشيرزي (590هـ/1094م)، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1401هـ/1981م، وكتاب "التيسير في أحكام التسعير" لأحمد بن سعيد المجيليدي (ت.1409هـ/1683م)، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1970م.

كتب التاريـخ:

ورجعت في إعداد هذا البحث إلى عدد من المصادر التاريخية أذكر منها، تاريخ ابن خلدون (ت.808هـ/1406م) المسمى" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الفكر، بيروت لبنان، طبعة1421هـ/ 2000م، ومقدمته التي حققها الجويدي درويش، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،/2002م، وكتاب "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"، لأبي عبد الله محمد الصنهاجي (ت.626هـ/1230م)، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1984م، وكتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عذاري المراكشي(ت.706هـ/1306م)، تحقيق ومراجعة، ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1983م، وكتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لابن أبي زرع الفاسي، منشورات المنصور للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية، طبعة1972م.

مصادر أخرى:

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت عليها، كتاب "علم الملاحة في علم الفلاحة"، لعبد الغني النابلسي النقشبندي القادري(ت.1143هـ/1731م)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1979م، وقد أفادني هذا الكتاب عندما عالجت قضية استعمال الحيوانات في الحرث، واستعمال فضلاتها في التسميد، ورجعت إلى كتاب "لسان العرب المحيط"، لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت.711هـ/1311م)، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.ط، وقد استطعت بفضل هذا شرح الكثير من الألفاظ الصعبة والغريبة التي صادفتها، كما رجعت إلى أبي عثمان عمروا بن بحر الجاحظ في كتابه

"رسائل الجاحظ"، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، طبعة 1384هـ/1964م، وكتابه "الحيوان"، تحقيق يحيى الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1990م، وعدت إلى كتاب أبي يحيى عبد الله بن أحمد الزجالي، المعروف بـ "أمثال العوام في الأندلس"، وهو مستخرج من كتابه "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية، المملكة المغربية، طبعة1391هـ/1971م.

تقييم المراجع:

رجعت في كتابة هذا البحث إلى عدد من الدراسات الحديثة، وسأكتفي بذكر بعضها، فقد أفادني كتاب خير الدين الزركلي، "الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، في ترجمة الأعلام الوارد تعريفها في هذا البحث كما اعتمدت عليه في تحديد سنوات وفات المؤلفين الذين اعتمدت على كتبهم ولم يذكر فيها تاريخ وفاتهم، مما سهل عليَّ تصنيف المصادر وترتيب مادتها زمنيا قبل الشروع في التحرير، وقد أفادني كتاب أحمد موسى عز الدين، "النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري"، لأنَّه من الدراسات القليلة التي اعتنت باقتصاد بلاد المغرب، واعتمدت عليه خاصةً في موضوع الرعاة، ونشاطي الزراعة والصناعة ببلاد المغرب خلال القرن السادس الهجري، أما محمد بن عميرة، فقد أفادني بما ذكره في كتابه "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي"، عن تاريخ ظهور الإبل ببلاد المغرب، وعن ثورات الخوارج، وأفادتني رسالة الدكتوراه لنفس المؤلف، "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين"، لأنه تناول قضية المياه وآلات السقي في بلاد المغرب، واستعمال الحيوانات في

إدارة النواعير والدواليب، كما تعتبر معلوماته عن أعداد الإبل في القافلة وطاقة حمل الجمل مفيدةً جداً، ومن الدراسات التي اعتمدت عليها في هذا العمل، البحث الذي نشره خالد زنيد في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد18، ديسمبر 2002م، والذي يحمل عنوان: "الإبل وأهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع ميلادي"، خاصة ما ذكره عن خصائص الجمل وميزاته، كما اعتمدت على كتاب إبراهيم حركات، "النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط"، وخاصةً ما ذكره عن تربية الكلاب في المجتمع الإسلامي، وعن الدباغة وإخراج دور الدباغة خارج المدن، واستفدت من كتاب أحمد الطاهيري، "الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد"، في عنصر دور الحيوانات في الزراعة، لأن الطاهيري يتناول في كتابه استخدام الزبل في التسميد والحيوانات في الري.

وما كان لبحثي هذا أن يتمَّ لولا اعتمادي على عددٍ من الدراسات الأجنبية المترجمة إلى العربية مثل: "الموسوعة الشاملة لأشهر سلالات الخيول"، لـ ألوين هارتلي إدوارد، ترجمة عثمان الشيخ عوض، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ت.ط، وقد أفادتني هذه الموسوعة في معرفة خصائص الجواد البربري، المعروف بـ البارب، وتصنيفه، ودوره في تأسيس سلالة الجواد الأندلسي، وأفادني كتاب كينيث والطون: "الأراضي الجافة"، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة سنة 1978م، بما تضمنه من معلومات عن الرعاة المتنقلين وعن الرعي في الأراضي الصحراوية وبما طرحه ممن أسباب تنقل الرعاة، كما اعتمدت على كتاب شارل أندري جوليان، "تاريخ إفريقية الشمالية"، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

الطبعة الثالثة، وكتاب موريس لومبار، "الإسلام في مجده الأول (القرن 8-11م/2-5هـ)"، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر الطبعة الأولى 1979م، وكتاب مارسيه جورج، "بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى"، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية مصر، د.ت.ط.

وفي الأخير أشير إلى أنَّي لا أستطيع ذِكر جميع المصادر والمراجع، التي استفدت منها في هذا العمل، وقد اكتفيت بذكر أهمها.

الصعوبات التي واجهتني

من الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا العمل، ندرة المادة، لأن المصادر لا تتعرض إلى تربية الحيوانات إلا عرضاً، إضافةً إلى صعوبة تبويب الموضوع وتقسيمه لتداخل المادة وترابطها، حيث يندر أن تذكر المصادر نوعاً واحداً من الحيوانات دون أن تشرك معه أنواعاً أخرى، وزاد من صعوبة الأمر مرونة المصطلحات التي تذكرها هذه المصادر، ودلالتها على أكثر من معنى مثل مصطلح الدواب والكراع والماشية والضرع، وهذا ما جعلني أقف طويلاً عند ضبطها، وواجهتني صعوبة وضع الكثير من المعلومات الواردة في المصادر في إطارها الزمني الصحيح خاصة المصادر الفقهية وبدرجةٍ أقل الجغرافية، وصعوبة معرفة المفتين في كتب النوازل، لأنَّ هذه الأخيرة تكتفي في الغالب بذكر كنية الفقيه أو العالم دون إسمه ولقبه، وقد يوجد أكثر من فقيهٍ يحمل نفس الكنية، هذا إضافةً إلى غياب الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع، والتي لو وجدت لكانت مهمتي، بلا شكٍ، أسهل بكثير.

الشكر والعرفان:

وفي الأخير أتوجه بخالص الشكر إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد بن عميرة، الذي خصص الكثير من وقته لمتابعة هذا العمل منذ أن كان فكرةً يستغربها الكثيرون حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، وأفادني بنصائحه وتوجيهاته القيمة، فوجدت عنده الحلول لكثير من المشاكل العلمية التي اعترضتني، كما لا يفوتني أن أشكر الأصدقاء الذين لقيت منهم الكثير من التشجيع خلال الفترة غير القصيرة التي قضيتها في إنجاز هذا العمل، والذين لا يسعني المقام لذكرهم جميعاً.

تـــربـيـة
الـــحيـــو انـــــات

في بلاد المغرب
من الفتح
الإسلامي إلى
سقوط دولة
الموحدين

الـفـصل الأوّل:
بـــلاد المـغـــرب
دراسـة طبيعيـة

- أ/ الموقـع
- ب/ التضاريـس
- ج/ المنــاخ
- د/ الغطــاء النباتــي

أ/ المـوقـع:

تقع بـلاد المغرب فـي الجـزء الغربـي مـن شـمال القـارَّة الإفريقيـة [1]، وتصـل مساحتها إلـى مـا يقـارب ستة ملايين كيلـومترٍ مربـعٍ[2]، وهـي تنحصـر بين دائرتـي عرض، 14°و38° شمالاً، وبين خطي طول، 26°شرقاً و11°غرباً، بين المنطقتين

(1) عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، د.ت.ط، ص.25.
(2) Akram Belkaid-Ellyas : A' la rencontre du Maghreb, institut du Monde arabe, Paris,2001,p.21.

المعتدلة والحارة، فشمالها ينتمي إلى إقليم البحر الأبيض المتوسط، في حين يمتد جنوبها في المنطقة المدارية الجافة من إفريقيا[1].

وقد اختلفت المصادر الجغرافية والتاريخية حول حدودها، خاصةً الشرقية منها والشمالية، فجعلها البعض تمتد من جهة الشرق حتى البحر الأحمر، والبعض الآخر إلى نهر النيل[2]، وألحقت بها بعض المصادر صقلية والأندلس[3]، لكن أغلبها تتفق على المنطقة الواقعة بين مدينتي الإسكندرية وبرقة من جهة الشرق[4]، وعلى السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، من الناحية الشمالية[5]، وهذا يوافق التحديد الحالي لبلاد المغرب تقريباً، حيث تحدها اليوم مصر، شرقاً،

---

(3) Despois Jean : **L'Afrique Blanche**, Presse universitaires de France, Paris, 1949, P.V.

(4) ابن عذاري المراكشي:**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة،ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1983، ص.5-6 ؛ مجهول:**مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق ونشر محمد يعلى، نشره مع كتاب الأنساب لابن عبد الحليم وكتاب شواهد الحلية لأبي بكر بن العربي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد إسبانيا، ص.244 ؛ ابن خلدون عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون** المسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة1421هـ/2000م، مج.6، ص.133 ؛ ابن حوقل النصيبي: **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طبعة1979،ص.60.

(1) الإصطخري: **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة مصر، طبعة1381هـ/1961م، ص.216 ؛ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.62/61 ؛ أبو عبد الله المقدسي:**كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق ي دي خويه، إعادة طبعة ليدن1906م، ص.235، نشر في فؤاد سيزكين : **سلسلة الجغرافية الإسلامية**، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية،1413هـ/1992م. ؛ ياقوت الحموي:**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية1995، مج.5، ص.161 ؛ ابن عذاري المراكشي: **المصدر السابق**، ص.5.

(2) الإصطخري:**المرجع السابق**، ص.33 ؛ أبو عبد الله المقدسي: **المصدر السابق**، ص.62 ؛ مجهول: **مفاخر البربر**، ص.33.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، نشره البارون دوسلان، الجزائر 1857، ص.21 ؛ مراكشي مجهول:**كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار**،نشره مع ترجمة فرنسية لقسم منه وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية1958م، ص.112، أعاد نشره: فؤاد سيزكين ضمن **سلسلة الجغرافية الإسلامية**،منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا1418هـ/1997م، مج.266، ص.111-112 ؛ مجهول: **مفاخر البربر**، ص.245. ابن خلدون **المصدر السابق**، ص.195.

والسودان، من الجنوب الشرقي، والتشاد والنيجر ومالي والسينغال، جنوباً، والمحيط الأطلسي، غرباً، والبحر الأبيض المتوسط، شمالاً ، وهو التحديد الذي ستعتمد عليه هذه الدراسة.

وتتميز بلاد المغرب بسواحلها المتصلة والطويلة، التي تطلّ على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وهي تبدأ من مصب نهر السينغال في الجنوب، وتستمر إلى مضيق جبل طارق في الشمال، لتنعطف باتجاه الشرق حتى تصل إلى الحدود الليبية المصرية[1]، ممّا يسهل اتصالها بالعالم الخارجي، وخاصةً أوربا عن طريق البحر الأبيض المتوسط، الذي لا يزيد عرضه في بعض المناطق عن ثلاثة عشر كيلومترًا، كما هو الحال في مضيق جبل طارق[2]، وقد اتصلت عن طريق الصحراء التي تغطي جزءًا كبيرًا من مساحتها بإفريقيا الغربية والوُسطى[3]، فهي ذات عمقٍ إفريقي، إلى جانب انتمائها العربي الإسلامي ومجاورتها للغرب الأوربي[4].

ب/ التضاريس:

يغلب الارتفاع على السطح في بلاد المغرب، حيث أن المناطق التي يقلُّ ارْتفاعها عن500 مترٍ محدودةٌ نسبياً، والسهول التي لا تتعدى 200 مترٍ منحصرةٌ جداً[5]، ويختلف معدل الارتفاع عن مستوى سطح البحر من منطقةٍ لأخرى، فهو لا

---

(4) عبد الكريم غلاب:**المرجع السابق**، ص.29.

(1) Despois Jean **: op.cit**. ,p.V.
(2) عبد الكريم غلاب:**المرجع السابق**، ص.28.
(3) مصطفى الفيلالي:**المغرب العربي نداء المستقبل**،دار سراس للنشر،د.ت.ط، ص.21.
(4) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المغرب العربي الإنسان والمجال**، تعريب علي التومي وآخرون ، دارالغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1997م، ص.43.

يتجاوز في تونس 300 مترٍ، بينما يصل في الجزائر إلى 900 مترٍ، وفي المغرب 800 مترٍ[1].

وتسيطر السلاسل الجبلية والهضاب سيطرةً شبه تامةٍ على القسم الشمالي منها، وقد أثّرت تلك السلاسل في رسم الخطوط الأساسية وتوزيع المظاهر الطبيعية والبشرية[2]، حيث تمتدّ جبال الأطلس التي تنتمي إلى الجبال الإلتوائية الحديثة، في القسم الشَّمالي من بلاد المغرب على طول حوالي 2200 كيلومترٍ[3]، فتقوم سلسلةٌ طويلةٌ تحاذي السّاحل وتوازيه، تسمَّى التلّ الشمالي في تونس، والأطلس التلّي في الجزائر، وجبال الريف في المغرب الأقصى، وتمتدّ في الجنوب على هامش الصحراء سلسلةٌ أخرى، من الغرب إلى الشرق أيضاً، تبدأ من رأس **"غير"** على ساحل المحيط الأطلسي، حتى خليج قابس في تونس، وتحمل بدورها أسماء مختلفة: جبال الظهر في تونس ، الأطلس الصحراوي في الجزائر، الأطلس الكبير في المغرب الأقصى[4].

يقلّ الارتفاع في هذه الجبال كلّما توجهنا من الغرب إلى الشرق، حيث توجد في المغرب الأقصى قمم تتجاوز 4000 مترٍ، وهي تنافس جبال الألب[5]، مثل قمَّة جبل "توبكال" الذي يصل ارتفاعه إلى 4180متراً[6]، بينما لاتصل الجبال

---

(5) VERNET ROBERT: **Recherches sur la production et circulation des Céréales dans le Maghreb médiéval** .revue D'Histoire et de civilisation du Maghreb , N°13, janvier1976, Sociétés Historique Algérienne, S.N.E.D, Alger , P.32. ; Despois Jean : **L'Afrique Blanche**,p.V.

(6) الشامي صلاح الدين علي: **الوطن العربي دراسة جغرافية**، منشأة المعارف الإسكندرية مصر، الطبعة الرابعة، 1996، ص.99.

(1) محمد الهادي لعروق:**أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ت ط، ص.49.

(4) عوض حسان: **الجبال المغربية مقدمة في ملامحها الجغرافية**، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط المملكة المغربية، العدد17، ذو الحجة/ربيع الأول 1319هـ -يناير/مايو 1971م، .ص47-48.

(5) E F Gautier: **L'Afrique blanch**e, librairie Artehéme Fayard, Paris France, 1939, p152/153.

(6) محمد رياض وكوثر عبد الرسول :**إفريقيا دراسة لمقومات القارة**، دار النهضة العربية بيروت لبنان، الطبعة الثانية1973، ص.370-371.

الجزائرية إلى ارتفاع: 2000 مترٍ إلا نادراً، وحتى قمم جبال جرجرة والأوراس الحادة لا تتجاوز2500 مترٍ، والأطلس التونسي أكثر انخفاضاً، إذ يندر أن يتجاوز ارتفاعه 1000مترٍ[1]، مثلما هو الحال في قمّة جبل الشّعَانْبَة الذي يقارب 1544متراً[2].

أمّا الجبال الليبية الشمالية التي تقع خارج الأطلس[3]، فهي قليلة الارتفاع، إذ لا يتجاوز متوسط ارتفاع الجبل الغربي"نَفُوسَة" والجبل "الأخضر" 600 إلى 750 متراً [4].

والسهول السّاحلية في بلاد المغرب ضيقةٌ على العموم، لأنَّ الجبال تنتهي إلى البحر في كثيرٍ من الأحيان[5]، وهي تمتدُّ في ليبيا على هيئة شريطٍ متصلٍ نسبياً يختلف اتّساعه من منطقةٍ لأخرى[6]، إذ يزيد في بعض المواضع عن 100كيلومترٍ، كما هو الحال في القسم الغربي من سهل"الجفارة"، ويضيق في أخرى مثل المنطقة الممتدة من "توكرة" في الغرب إلى الحدود المصرية في الشرق[7].

---

(1) - E F Gautier : , P. 152 -153.

op.cit.

(2) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية المغرب العربي الكبير**، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، الطبعة الثانية1972م، ص.12.

(3) أنظر: - E-F Gautier: **op.cit.**, p113.

(4) الهادي مصطفى بولقمة وسعد خليل القزيري: **الجماهيرية دراسة في الجغرافيا**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت ليبيا، الطبعة الأولى 1995م، ص.108.

(3) سارة حسن منيمنة: **في جغرافية الوطن العربي**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان،1411هـ/1990م، ص.47.

(4) الهادي مصطفى بولقمة وسعد خليل القزيري: **المرجع السابق**، ص.99.

(7) عبد العزيز طريح شرف: **جغرافية ليبيا**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة 2000م، ص.29.

ويتراوح عرض الساحل التونسي بين 10و40كم، يقسمه خليج قابس إلى قسمين، السهل السَّاحلي الشَّمالي ويعرف باسم السّاحل، والسهل السّاحلي الجنوبي ويعرف بالجفارة[1].

أمَّا في الجزائر فتحصر جبال مَجردَةَ التونسية، سهل عنابة من الشرق، في حين تحصره جبال سوق اهراس من الجنوب، وهو سهل ضيق أيضاً يجري به واد السيبوس، وتحدّ جبال الأطلس المتَّيجي (البُلَيْدِي) من الجنوب سهل المتيجة الذي لا يزيد عرضه عن 30 كلم، في حين يتجاوز طوله 100كلم، وتفصله منطقةٌ جبليةٌ بالقرب من مليانة عن سهل وهران، الذي يمتد إلى الجنوب من مدينة وهران، وتجري به أوديةٌ كثيرةٌ على رأسها واد شلف[2].

وعلى طول واد الملوية، في شمال المغرب الأقصى، تمتد سهولٌ مرتفعة في الجنوب، ومنخفضة في الشمال تعرف بسهول الملوية[3]، وتعرف السهول الضَّيقة عند طنجة، بسهول الريف[4]، ويتراوح عرض السهل الساحلي المطلِّ على المحيط الأطلسي ما بين40إلى60كم، وهو سهل مقطع بالجبال[5].

أمَّا السهول السّاحلية للسّاقية الحمراء ووادي الذّهب، فتحصرها الهضاب من الشرق، لكنها تتَّسع باتِّجاه الجنوب، وهي تتّسم بامتدادها الشّريطي المتّصل الضّيق

---

(1) صبري فارس الهيثي وحسن أبو سمور: **جغرافيا الوطن العربي**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1999م/1420هـ، ص.47.

(2) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية**، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1968م، ص.34.

(3) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية المغرب العربي الكبير**، ص.14/13.

(4) سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.48.

(5) عبد العباس فضيخ الغريري وآخرون: **جغرافية الوطن العربي دراسة لمعوقات تكامله**، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، الطبعة الأولى1999م/1420هـ، ص.55.

وبانخفاض منسوبها[1]، وتغطي المناطق المنخفضة فيها مجموعةٌ من السبخاتِ والمنخفضاتِ المالحة[2].

وتغطى السّهول الداخلية في ليبيا بالرِّمال، وهي في تونس عبارة عن مساحات صحراوية واسعة تمتدُّ من ملتقى الحدود الجزائرية الليبية، حتى شطِّ الجريد شمالاً[3]، لكنّها في الجزائر مرتفعة تأخذ شكل الهضاب، وتعرف بالهضاب العليا، لأنّ ارتفاعها يتراوح بين500 و1000 مترٍ[4]، وهي تضمّ عدداً من المنخفضات والأحواض المغلقة عل شكل سبخاتٍ وشطوطٍ ذات تصريفٍ داخليٍ[5]، تنحصر بين الأطلس التلي و الأطلس الصحراوي، وتمثل أهم منطقة للرّعي وزراعة الحبوب[6]، وتحصر الجبال في المغرب الأقصى عددا من السّهول الخصبة، وهي مرتفعة أيضاً[7]، ويعتبر سهل تِيرَسْ الزْمور الذي يمتدّ في شمال موريتانيا من أغنى السهول في العالم بتكويناته الحديدية[8].

أمّا القسم الجنوبي من بلاد المغرب، فهو جزءٌ من الصحراء الإفريقية الكبرى التي يتراوح ارتفاعها بين 500و1000مترٍ فوق مستوى سطح البحر[9]، ويتميز سطحها بوجود الأحواض المنخفضة، التي ينتشر في قاعها عددٌ من الواحات[10] ، وغالباً ما تكون شحيحةً بالماء كما هو الحال في هضبة حمادة الحمراء في ليبيا،

---

(5) سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.48/47.
(6) صبري فارس الهيثي وحسن أبو سمور: **المرجع السابق**، ص.47.
(7) عبد العباس فضيخ الغريري وآخرون: **المرجع السابق**، ص.56.
(4) جان فرنسوا تراون وآخرون:**المرجع السابق**، ص.46.
(5) محمد الهادي لعروق**: نفس المرجع**، ص.49.
(6) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية المغرب العربي الكبير**، ص.12.
(7) عبد العباس فضيخ الغريري وآخرون:**المرجع السابق**، ص.56.
(8) **نفس المرجع** ، ص.57.
(9) سارة حسن منيمنة**:المرجع السابق**، ص.38.
(10):**نفس المرجع**، ص.38.

التـي يبلـغ اتسـاعها مئـة ألـف كيلـومترٍ مربـعٍ، وحمـادة هضـبة "تادمايـت" فـي الجزائر[1].

تنتشر في جنوبه الشرقي جبالٌ بركانيةٌ، أهمها جبل العوينات، عند نقطة التقاء الحدود الليبية المصرية السودانية، ويبلغ ارتفاعه 1934متراً، وجبال "تيبستي"، التي تتركز في الجنوب الغربي لليبيا، على الحدود مع تشاد، تصل أعلى قمة بها إلى 2286 متراً[2]، و"جبال الهقار" التي توجد في أقصى الجنوب الشّرقي للمغرب الأوسط، و بها قمة "تاهات" بمرتفعات أتكور التي يصل ارتفاعها إلى 2918 متراً، وهي أعلى قمة في الجزائر[3].

وتتميَّز الأنهار في بلاد المغرب بقصرها، فهي تدرك البحر أو تضمحلُّ في الأحواض المغلقة بسرعةٍ، والكثير منها أوديةٌ صغيرة لا يجري فيها الماء إلا عند هطول الأمطار، وبعضها يأتيها الماء من العيون أو من قمم الجبال[4]، بينما الوديان التي يناهز طولها أو يفوق 500كلم نادرةٌ، وهي تقع جميعها في المغرب الأقصى باستثناء واد شلف[5]، ففي المغرب الأدنى لا نجد من الأنهار الهامّة إلا نهر مجّردة الذي يصب بالقرب من مدينة تونس، وبعد ذلك لا توجد أوديةٌ إلى حدود مصر[6]، ماعدا بعض الأودية غير دائمة الجريان في ليبيا.

وينبع واد الشّلف في المغرب الأوسط من سلسلة الأطلس الصحراوي بالقرب من آفلو، حيث يسمَّى هناك الوادي الطويل، وهو يتجه من الجنوب إلى الشَّمال، ويقارب طوله 800 كيلومترٍ، وعند اصطدامه بجبال زَكَّار، يحول اتّجاهه من

---

(1) **نفسه**، ص.39.
(2) صبري فارس الهيثي وحسن أبو سمور: **المرجع السابق**، ص.37.
(3) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية**، ص.49.
(4)سعد زغلول عبد الحميد:**تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الإستقلال(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)**، منشأة المعارف الإسكندرية، طبعة 1994م، ص.70.
(5)جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.51.
(6) سعد زغلول عبد الحميد: **المرجع السابق**، ص.70-71.

الشَّرق إلى الغرب، فاصلاً بذلك بين جبال الوَنْشَرِيسْ في الجنوب، وجبال الظَّهْرَةِ في الشَّمال[1]، وهو يصبُّ في البحر الأبيض المتوسط، شرقي مدينة مستغانم[2].

ويعتبر نهر الملوية الذي يصب بين الحدود الجزائرية ومدينة مليلية[3]، الوحيدَ من أنهار المغرب الأقصى الذي يصبُّ في البحر الأبيض المتوسط، حيث تصبُّ باقي أنهاره في المحيط الأطلسي، مثل نهر سيبو، ونهر أمِّ الرَّبيع، ونهر أبي الرَّقراق، ونهر سوس[4]، ويُعدُّ وادي درعة، الذي ينبع من السفوح الشرقية للأطلس الكبير، أطول أنهار بلاد المغرب، إذ يبلغ طوله قرابة 1200كيلومترٍ وهو يجف صيفاً[5].

وتجري أوديةٌ أخرى إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي، تصبُّ في بعض الأحيان في الشطوط، وفي بعض الأحيان تختفي وسط الرِّمال، وليس لها أيُّ جوانبٍ مضبوطةٍ، ولا حدودٍ معينةٍ وهي عديمة الانتظام وفجائية الفيضان[6].

ج/المنـاخ:

ترتبط الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب بالمناخ ارتباطاً وثيقاً[7]، لأنه يؤثر في مختلف نشاطات الإنسان بما فيها تربية الحيوانات، فالظروف المناخية تتحكم

---

(1) حليمي عبد القادر علي: **جغرافية الجزائر**، ص.57.
(2) سعد زغلول عبد الحميد: **المرجع السابق**، ص.71.
(3) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: **المرجع السابق** ، ص372.
(4) صبري فارس الهيثي وحسن أبو سمور: **المرجع السابق**، ص.85.
(5) محمد رياض وكوثر عبد الرسول : **المرجع السابق**، ص.372.
(6) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.60-61.
(1) VERNET ROBERT: **op.cit**, p32.

في انجراف التربة، وتنوُّع النباتات الطبيعية وحشائش الرَّعي، وتوزيعها على سطح الأرض، وبالتالي انتشار فصائل الحيوان، كما توجد صلةٌ وثيقةٌ بين نوعية الحيوان وحجمه ووزنه وإدراره للألبان، وبين ظروف المناخ[1]، وتثبتت الدراسات الحديثة، أن شدّة الحرارة تقلّل من الإخصاب بنسبٍ متفاوتةٍ عند الثيران والأغنام، مما يجعل تكاثرها في المناطق الحارَّة أقلّ منه في غيرها[2]، لذلك فإن التعرّف على مناخ بلاد المغرب في الفترة المدروسة أمرٌ ضروريٌ قبل الحديث عن تربية الحيوانات.

وستعتمد هذه الدراسة على معطيات المناخ المعاصرة، لعدم حدوث أيّ تغيُّرٍ لافتٍ بين مناخ الفترة التي نحن بصدد دراستها والمناخ السائد في أيامنا ببلاد المغرب[3]، فمناخ أي بلدٍ لا يتغير بشكلٍ ملحوظٍ في ألفيةٍ واحدةٍ[4]، والتقلُّبات المناخية التي تتعرَّض لها المنطقة العربية منذ ما يزيد عن 5000سنة تشبه المناخ الحالي إلى حدٍ ما، أي أن المناخ الحالي هو استمرار للمناخ الجاف الذي بدأ منذ ذلك الحين مع مَيْلٍ أزيد نحو الجفاف[5]، إلاّ أنَّ الأزمات العارضة التي تمرُّ بها المنطقة من حينٍ لآخر وخاصةً الجفاف، دفعت البعض إلى الحديث عن تغيراتٍ تكون قد حدثت في المناخ، والحقيقة أنّ هذه الأزمات سابقةٌ لفترتنا الحالية[6]، فعلى

---

(2) جودة حسنين جودة: **الجغرافيا المناخية والحيوية مع التطبيق على مناخ ونبات قارات أوربا وآسيا وإفريقيا ومناخ ونبات العالم العربي**، الفنية للطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، طبعة 1999م، ص.15.

(2) **نفس المرجع**، ص.20.

(3) بن عميرة محمد: **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، غير مطبوعة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004، ص90.

(4) Golvin Lucien**: le Magrib central a l'époque des Zirides**, Arts et Métiers Graphiques, Paris France,1957,p77.

(5) سعودي محمد عبد الغني: **الوطن العربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ت.ط، ص.79.

(6) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.59.

سبيل المثال، تَكرَّر الجفاف خلال القرن الثالث الهجري عدة مراتٍ، واستمرَّ في إحداها من 253هـ/867م إلى 265هـ/879م[1].

العوامـل المؤثـرة في منـاخ بـلاد المغـرب:

1/المـوقــع:

تتحكّم في مناخ أي إقليمٍ مجموعةٌ من العوامل، أهمّها موقعه بالنسبة لخط الاستواء، وطبيعة تضاريسه، إضافةً إلى قُربه وبُعده عن المسطحات المائية الكبرى كالبحار والمحيطات[2]، وموقع بلاد المغرب يجعلها تحت تأثير منطقة الضغط المرتفع الأصوري[3]، التي تمتدّ بين دائرتي عرض 30°و40°شمال خط الاستواء، والتي تحيط بالكرة الأرضية على شكل حزامٍ متقطعٍ، حيث تتزحزح هذه المنطقة في فصل الشتاء قليلاً نحو الجنوب مع حركة الشّمس الظاهرية[4]، فيصبح القسم الشمالي من بلاد المغرب، أبرَد من حوض البحر الأبيض المتوسط الذي يشكّل بدفئه منطقة ضغطٍ منخفضٍ، تجلب إليها الرياح من منطقة الضغط المرتفع الأصوري، وعند اصطدام هذه التيارات الهوائية، باليابس تكتسب برودة، وتَقلُّ قدرتها على حمل بخار الماء، فيَحدُث التَّكاثف، وتسقط الأمطار[5].

---

[1] ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، منشورات المنصور للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية، طبعة1972م، ص.98.

[2] رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى:**جغرافية الوطن العربي دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة للدول العربية**، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الرابعة، 1970م، ص.50.

[3] تسميها بعض المراجع منطقة الضغط المرتفع "الأزوري" بدل "الأصوري"، نسبة إلى جزر "الآزور" أو"الآصور"بالمحيط الأطلسي الشمالي وهي تمتدّ بين دائرتي عرض 30°و40°شمال خط الاستواء، وتحيط بالكرة الأرضية على شكل حزامٍ متقطع، أنظر: عز الدين الديوري:**الجفاف في المغرب قرن من ملاحظات الأرصاد الجوية**، السياسة المائية والأمن الغذائي في أفق بداية القرن الواحد والعشرين، الدورة الخريفية لسنة 2000م، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، المملكة المغربية، 2001م، ص.160 ؛ حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر** ، ص.64؛ سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق** ، ص.41.

[4] نعيم الظاهر:**جغرافية الوطن العربي**، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى1418هـ/1999م، ص.90.

[5] حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر** ، ص.65-66.

وفي فصل الصَّيف تكاد المنطقة تدخل في المجال شبه المداري، لانفتاحها على الصَّحراء الكبرى حيث تسود المرتفعات الجوية[1]، كما أنَّ منطقة الضغط المرتفع الأصوري تتراجع إلى الشمال الغربي، وتنحصر في إقليمٍ ضيقٍ وسط المحيط الأطلسي، فينتج عن ذلك أن المنخفضات الجوية تتبع في سيرها من الشَّرق إلى الغرب، خطاً يقع إلى الشمال من الخط الذي كانت تسلكه في فصل الشتاء، وتهبُّ منها الرِّياح نحو أوربا وليس نحو شمال إفريقيا، فتختفي ظاهرة الأمطار[2].

وتتدفق الرِّياح المحلِّية المعروفة بالرِّياح القارِّية المدارية (Tropical continental) من الصحراء _تهبُّ عادةً في نهاية الربيع وأوائل الصَّيف_ فتجلب الهواء السّاخن والجاف إلى الجبال والسّهول السّاحلية، وتنتج عنها تغيراتٌ في حالة الطّقس العادية، حين ترتفع درجة الحرارة إلى ما بين 30°إلى40°في بضع ساعاتٍ، وتهبط الرّطوبة إلى ما يقارب 10بالمائة، ويمتلأ الجو بالأتربة والرِّمال، ممّا يؤدّي إلى جفاف النباتات[3]، وقد تستمرُّ لأيامٍ، وتعرف هذه الرِّياح بالشَّرقي في المغرب الأقصى، وبالشْهيلي والقَبْلِي في كل من الجزائر وتونس وليبيا[4].

2/التضاريس:

يؤثِّر ارتفاع تضاريس بلاد المغرب واتجاهها في المناخ بشكلٍ كبيرٍ، إذ تَحصُر السلاسل الجبلية تأثيرات المياه الأطلسية والمتوسطية من رطوبةٍ واعتدالٍ للحرارة في شريطٍ ساحليٍ[5]، فيَحصُر امتداد سلاسل الأطلس من الشرق إلى الغرب في الجزائر وتونس، أثر هذه الرُّطوبة على السُّهول السَّاحلية في الشمال،

---

(1) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق** ، ص.53-54.
(2) حليمي عبد القادر علي: **جغرافية الجزائر**: ص.66-67.
(3) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.46.
(4) جان فرنسوا تراون وآخرون:**المرجع السابق**، ص.54.
(5) **نفس المرجع** جان فرنسوا تراون وآخرون : ص.53-54.

ويمنع الاضطرابات الجوية من الدخول إلى الجنوب في الشتاء، فتُسقِط أكثر حمولتها على السواحل والمرتفعات[1].

بينما يسمح امتدادها في المغرب الأقصى من الشّمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، بتوغل الرّطوبة إلى الجنوب[2]،وتقوم جبال الأطلس المتوسط وسلسلة الريف بدور الحاجز المناخي فتتسبب في ضعف التساقطات النسبي في منطقة وهران الغربية، وندرتها في أقاليم وادي الملوية الأسفل والأوسط حيث لا تبلغ في الغالب 200ملم[3].

3/المسطحـات المائيـة:

وتُعَدُّ المياه الأطلسية والمتوسطية، بدون شكٍ، مصدراً للرطوبة واعتدال الحرارة[4]، فالمناطق الساحليّة تتأثّر بالبحر الذي يدفئ درجة الحرارة في الشتاء ويلطّفها في الصيف[5]، لذلك هي ألطف طقساً، وأعدل مناخاً من المناطق الداخلية[6]، التي تزداد بها الفوارق الحرارية (اليومية والشهرية والسنوية)، والمتوسطات الحرارية كلّما ابتعدنا على السّاحل[7].

ويتسبَّب تيار كناري البارد الذي يمرّ بسواحل المغرب الأطلسية، متّجهاً نحو الجنوب مع السّاحل، في برودة السّاحل ما بين جبل طارق ودكار، ووجود ظاهرة

---

(1) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.40-41.
(2) **نفســه**.
(3) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.69-70.
(4) **نفس المرجع**: ص.53-54.
(5) Despois Jean **: op.cit**, p7.

(7) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.67.

الضَّباب[1]، ويجعل حرارة ساحل الأطلسي أقلَّ ببضع درجاتٍ من ساحل المتوسط[2].

والوضع في الشتاء معاكسٌ تقريباً، إذ تدفئ مياه البحر السّواحل، لأنّه يكون دافئاً معتدلاً، وتكون درجة حرارة الماء بين 3°إلى 4°فوق درجة حرارة الجوّ[3].

- الحرارة:

تُسَجَّل درجة الحرارة القصوى ببلاد المغرب، في النِّصف الأول والثّاني من شهر أوت، وأقلُّ درجة حرارةٍ، في15يوماً الثانية من شهر جانفي، والخريف أكثر حرارةً من الرّبيع، ففي الجزائر العاصمة مثلاً، يصل معدّل درجة الحرارة في شهر جوان إلى21°م، بينما يصل إلى22°م في سبتمبر[4]؛ وفي فصل الصّيف تكون الحرارة في الجهات الدّاخلية أثناء النّهار أقربَ إلى حرارة الصّحراء: إذ تصل في المتوسط إلى أكثر من 29°م بسبب الجفاف الشّديد وصفاء السّماء، وتنخفض في الليل انخفاضاً طفيفاً فيكون مدى الحرارة اليومي كبيراً[5]، ويصل متوسط درجات الحرارة في الدّار البيضاء بالمغرب الأقصى إلى21°م، وفي الجزائر إلى 25°م، وفي تونس إلى 25°م، وفي طرابلس إلى 26°م[6].

أمّا في الشّتاء فتنخفض متوسطات درجة الحرارة انخفاضاً ملحوظاً، ولكن هذا الانخفاض لا يعني البرد الشّديد، لأن درجة الحرارة لا تقلّ في المتوسط عن8°م، وتصل في شهر جانفي إلى5°م، بالجهات الدّاخلية، وهي تميل إلى الدّفء أثناء

---

(1) المحيثي عبد القادر مصطفى وآخرون: **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، الطبعة الأولى2000م، ص76.؛سارة حسن منيمنة:**المرجع السابق**، ص.65.

(2) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.51.

(3) Despois Jean : **op.cit**, p5 .

(4) **ibid**, p7 .

(5) نعيم الظاهر: **المرجع السابق**، ص.105.

(6) **نفس المرجع:** ص.93-94.

النّهار، بينما تتَّجِه نحو البرودة في الليل، ويصل مدى الحرارة اليومي إلى 7°م أو 8°م درجات[1].

ويمكننا تحديد ثلاث مناطق شديدة البرد في بلاد المغرب، وهي قمم الجبال وأحواض الأطلس الكبير في المغرب الأقصى، حيث تبلغ درجة الحرارة في فصل الشّتاء على الأطلس المتوسط من20°إلى 27°تحت الصفر، تليها بعد ذلك السّهول المرتفعة الجزائرية الغربية، ثمّ السّهول القسنطينية وجبال أوراس، ويرتفع عدد أيام التجمد في هذه المواقع، ليتراوح بين 30 و45 يوماً في السّهول العليا، ويتجاوز عدَّة أشهرٍ في الجبال[2].

وفي المناطق العليا من الجبال التي يتجاوز ارتفاعها 3000م في المغرب الأقصى، تُشاهَدُ بعض الظَّواهر الفريدة التي هي وقفٌ على المناطق القطبية، حين يهبُّ هواءٌ قطبيٌ باردٌ، ويسقط الثلج بغزارةٍ لفتراتٍ طويلةٍ، فتتعرَّض الصخور للتهشيم والتكسير بفعل الصّقيع، ويمكث الغطاء الثَّلجي عدَّة أشهرٍ فتجري مياه ذوبانه نهاراً ثم لا تلبث أن تعود إلى التجمّد ليلاً[3]، ويسبب هذا توقفاً ثانياً للنَّبات عقب الجفاف الصيفي، كما تبيد العواصف الثلجية القطعان التي لا يوفر لها أصحابها مأوىً جيِّداً [4]، لذلك كان الرُّعاة الذين يستقرون بها في فصل الصّيف يغادرونها قبل حلول الشتاء[5].

وترتفع درجات حرارة نهار الصّيف ارتفاعاً كبيراً في الصّحراء، ليصل متوسطها إلى35°م، ونهايتها العظمى إلى50°م، في حين تبلغ النهايات الصغرى نحو22°م، وتتراجع درجة حرارة نهار الشّتاء إلى حوالي23°م في المتوسط، مع

---

(1) **المرجع نفسه:** ص.105.
(2) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.56.
(3) عوض حسان :**المرجع السابق**، ص.50.
(4) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق** ، ص.56.
(5) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1983م، ص.73.

نهايةٍ عظمى قد تصل إلى27°م، وتهبط في الليل إلى الصّفر وما دونه، ويصل متوسط النهايات الصغرى إلى5°م[1].

وتبلغ الحرارة أقصاها في الجنوب الجزائري، حيث تتراوح الفوارق الحرارية اليومية بين11°، و18°م في فصل الصّيف، وتصل الفوارق الحرارية السنوية إلى19°م بمدينة عين صالح، وإلى24°م بمدينة تقرت[2]، ويشتدُّ التبخر في الصحراء لدرجة أنّه قد يصل إلى 20 أو 30 مرةً قدر التّساقط، في حين تنخفض الرّطوبة النّسبية إلى 2 بالمائة مع حرارة قد تصل إلى 40°م، وهذه المظاهر تتعدّل على السّواحل الغربية للصحراء التي يمرّ بالقرب منها تيار كناري، حيث تُعوِّض الرطوبة النسبية المرتفعة وكثرةُ الضباب، قِلَّة المطر وبذلك تعتبر أقرب إلى الاستبس منها إلى الصّحراء[3].

- التساقط:

يتساقط معظم المطر ببلاد المغرب في أشهر ديسمبر، جانفي، فيفري[4]، ويتراوح معدّل الأيام الممطرة بين60 إلى70 يوماً، وبين100إلى120يوماً في أكثر القطاعات مطراً، ولا يكاد يبلغ 30 يوماً في المناطق الداخلية القريبة من الصحراء، وهو ضعيفٌ على العموم، وينحصر متوسط التساقطات في أكبر قسمٍ من بلاد المغرب بين 200ملم إلى600 ملم سنوياً، باستثناء بعض المناطق التي تكون كمّيات الأمطار فيها كبيرةً[5]، ويقلّ كلّما توجَّهنا من الغرب إلى الشّرق[6]،حيث تتجاوز كمّية الأمطار2100ملم سنوياً في جبال الرّيف والأراضي المرتفعة

---

(1) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.490.
(2) حليمي عبد القادر علي: **جغرافية الجزائر**، ص.76.
(3) سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.66.
(4) نعيم الظاهر:**جغرافية الوطن العربي**، ص.106.
(5) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.55.
(6) نعيم الظاهر: **المرجع السابق**، ص.106.

للأطلس الغربي[1]، بينما لا تتعدّى600 ملم في الأجزاء العليا من الجبل الأخضر، التي هي أكثر الجهات مطراً في ليبيا[2]؛ ولا يسقط الثّلج على المرتفعات التّونسية إلا نادراً، وقد يتجاوز اليومين أو الثلاثة على المناطق الساحلية في الجزائر، في حين يغطّي المرتفعات الداخلية لعدة أسابيعٍ، بينما يستمر في مرتفعات المغرب الأقصى لشهورٍ كما سبق ذكره[3].

ويضاف إلى التّناقص من الغرب إلى الشّرق، تناقصٌ من الشّمال إلى الجنوب، فيستقبل الشّريط السّاحلي الضيّق في ليبيا من100 ملم إلى300 ملم، في حين لا تتجاوز كمّية الأمطار في باقي البلاد 100ملم[4]، وفي الجزائر وتونس تتلقّى المنطقة السّاحلية الممتدّة من دلس غرباً حتى مدينة بنزرت شرقاً كمّية من الأمطار تفوق800ملم سنوياً، وتزيد عدد أيّامها المطيرة عن120يوماً، بينما تقلّ الأمطار في السّهول التي تقع خلف الجبال أو ما يسمَّى بظلّ المطر، فتتلقّى المنطقة المحصورة بين سلسلتي الأطلس أمطاراً تتراوح بين400ملم و200ملم ويتراوح عدد أيَّامها المطيرة بين80إلى70يوماً فقط[5]، وتستفيد التّربة من هذه الأمطار لأنّها تسقط في فصل انخفاض الحرارة مما يقلّل من التبخر[6].

أمّا موريتانيا فعلى الرّغم من إشرافها على المحيط، فهي لا تتلقى من المطر إلا القليل الذي ينحصر في السّاحل دون الدّاخل، لأنّ تيّار كناري يَسلُب الهواء الآتي من المحيط رطوبته، فيصل اليابس الموريتاني جافاً[7].

---

(1) عوض حسان:**نفس المرجع**، ص.54 ؛ Vernet Robert : **Climats Anciens du Nord de L'Afrique** , Éditons , L'Harmattan, 1995, Paris, France, p7.

(2) طريح شرف عبد العزيز: **المرجع السابق** ، ص.121.

(3) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.60.

(4) Vernet Robert : **Climats Anciens du Nord de L'Afrique**, p7 .

(5) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص. 69-70.

(6) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.55.

(7) جودة حسنين جودة:**المرجع السابق**، ص.490.

ويتميّز التّساقط بعدم الانتظام بين السّنوات والفصول[1]، والسبب في ذلك أنّ الانخفاضات الإعصارية _ وهي العامل المناخي الأهم في سقوط هذه الأمطار _ لا تخضع لنظام معيّن من حيث توالدها ومساراتها، وقربها أو بعدها عن البحر الأبيض المتوسط[2]، ويتسبب تذبذب التساقط، في كوارث حقيقية تهدِّد حياة الإنسان والحيوان والنبات معاً، حيث ينقطع المطر لفترات طويلة ممّا يتسبب في الجفاف، أو تسقط الأمطار بكثافةٍ في فترةٍ قصيرةٍ على بعض المناطق فتحدث فيضانات مدمرةٍ[3]، لكن الجفاف هو الأكثر خطورةً، لأنّ مدّته يمكن أن تطول إلى سنواتٍ، وهو متكرِّرٌ لا تتعدّى المدّة التي تفصل بين فترتي الجفاف عادةً ثلاثة عشر سنةً[4].

ويكون المطر في الصحراء على هيئة زخَّاتٍ انقلابيةٍ عنيفةٍ في بعض الجهات المحدودة وقد ينقطع لسنوات [5]، وهو لا يتجاوز100ملم في أحسن الأحوال[6]، لأنّها بعيدة عن الرياح الشّمالية الغربية التي تسبب نزول الأمطار في الشّمال، ولا تصلها الرِّياح الموسمية الرَّطبة القادمة من خليج غانا إلاّ نادراً[7]، والرِّياح التجارية الشّمالية الشّرقية، التي تهبُّ عليها شديدة الجفاف نظراً لمرورها على مساحاتٍ شاسعةٍ من اليابس[8]، وللمطر الصحراوي فترتين إحداهما تبتدئ من شهر نوفمبر وتنتهي في بداية فبراير، عندما يكون فصل الشّتاء سائداً في الشّمال، فتصل

---

(1) Despois Jean **: op.cit**, p21.

(2) نعيم الظاهر:**جغرافية الوطن العربي**، ص.106.

(3) تمثل هذه التذبذبات معالم زمنية، مثل جفاف سنتي 1946/1945، والجفاف الذي سُجِّل حديثاً خلال الفترة الممتدة بين1980 و1983، في البلدان الثلاثة تونس الجزائر المغرب الأقصى. والفيضانات مثل تلك التي حدثت خريف 1968م في تونس، حين بلغت كميات الأمطار نحو 900ملم، هطل منها أكثر من300ملم في أقلّ من24ساعة، وتلك التي حدثت بكتامة في جبال الريف الوسطى خلال شتاء 1962-1963 وبلغت الأمطار 1702ملم في ظرف17 يوماً.**أنظر**: جان فرونسوا تراون: **المرجع السابق**، ص.59.

(4) عز الدين الديوري:**المرجع السابق** ص.161.

(5) سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.66.

(6) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.68.

(7) حليمي عبد القادر علي:**نفس المرجع**، ص.74.

(8) محمد عصام الدين شوقي وعادل الحسانين: **أراضي صحراوية عربية وإفريقية**، معهد الدراسات والبحوث الإحصائية، جامعة القاهرة مصر، د.ت.ط، ص.34.

بعض الانخفاضات الجوية القادمة من الشمال الغربي ومن الغرب، أما الفترة الثّانية فتبتدئ من شهر مايو إلى سبتمبر وذلك عندما تهب الرِّياح الموسمية على الهوامش الجنوبية للصحراء[1].

- الأقاليم المناخية في بلاد المغرب:

تنقسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليمٍ مناخيةٍ يتميز كل واحدٍ منها عن الآخر، وهي ممتدةٌ في شكل نطاقات من الشَّرق إلى الغرب، ومرتَّبةٌ من الشَّمال إلى الجنوب.

يشمل إقليم مناخ البحر الأبيض المتوسِّط المناطق الشَّمالية المطلِّة على البحر المتوسط والسّهول السّاحلية في كلٍ من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وإقليم بَرقة والسّهل السّاحلي في ليبيا[2]، وهو من المناخات المعتدلة الدفيئة[3]، ويتميّز بالجفاف صيفاً والمطر شتاءاً، مع ارتفاع حرارة الصّيف واعتدال حرارة الشّتاء، وصفاء السَّماء وسطوع أشعة الشّمس معظم العام، وتنقسم السَّنة فيه إلى فصلين متميّزين، شتاءٌ دافئٌ يتميّز بتساقط المطر، وصيفٌ حارٌ يتميّز بالجفاف التام[4].

ويعتبر مناخ الاستبس[5]، منطقةً انتقاليةً فاصلةً بين مناخ البحر المتوسط في الشَّمال ومناخ الصّحراء في الجنوب [6]، وتتراوح أمطاره بين400ملم و200ملم سنوياً وقد يزداد التَّساقط عن هذا القدر في عامٍ من الأعوام، لكنه لا يلبث أن تعقبه سنينٌ جافةٌ، لذلك كان الاعتماد على المطر للزراعة في هذا الإقليم دون وجود

---

(1) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.77-78.

(2) عبد القادر مصطفى المحيثي وآخرون:**المرجع السابق**، ص 78 ؛ نعيم الظاهر:**جغرافية الوطن العربي**، ص.105.

(3) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.489.

(4) نعيم الظاهر:**المرجع السابق**، ص.105.

(5)الاستبس (steppes)كلمة روسية تعني أرض فسيحة قليلة الأشجار تغطى بحشائش خشنة أنظر: سعدية عاكول الصالحي وعبد العباس فضيح الغريري: **الجغرافيا الحيوية (النبات والحيوان)**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى1998م/1419هـ، ص.131.

(6) جودة حسنين جودة:**المرجع السابق**، ص.492.

مصدرٍ مساعدٍ للريِّ مجازفةً حقيقيةً، وكان الرَّعي هو الحرفة الرئيسية المنتشرة [1].

ويمتدّ إقليم المناخ الصَّحراوي الجاف فيما بين دائرتي18°و30° شمالاً[2]، وهو يتميَّز بالارتفاع الشَّديد في درجة الحرارة مع انخفاضٍ طفيفٍ في أشهر الشِّتاء، والجفاف شبه التام فلا يسقط شيءٌ من المطر في هذا النِّطاق إلاَّ في القليل النادر وهو غير منتظمٍ، ويكون على الهوامش الشّمالية في الشّتاء، والجنوبية في الصّيف لأنه يمتدّ بين نطاقي المطر الشّتوي من الشّمال والمطر الصّيفي من الجنوب[3]، ولما كان الغطاء النباتي خفيفاً، أو منعدماً في بعض المناطق كان الانسياب السَّطحي بعد الأمطار كبيراً للغاية، ومن ثم كان الأثر الفعلي للمطر المتساقط بالنسبة للنَّبات الطبيعي أو للغلاّت المزروعة في الواحات ضئيلاً[4].

د/الغطاء النباتـي:

يوافق تقسيم النَّبات في بلاد المغرب تقسيمَ المناخ، لأنّ الغطاء النباتي يرتبط بشروطٍ تتحكَّم في وجوده وكثافته ونوعيته، أهمها الظروف المناخية من مطرٍ وحرارةٍ وضوءٍ ورياحٍ[5]، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقاليمٍ رئيسيةٍ :

1/ إقليم نباتات البحر المتوسط:

يعدُّ هذا الإقليم من أوفر المناطق وأغناها نباتاً، وهو يمتدُّ على الأجزاء السَّاحلية المطلَّة على البحر المتوسط، في كلٍ من المغرب الأدنى والأوسط

---

(1) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.56 ؛ سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.67.
(2) نعيم الظاهر:**المرجع السابق**، ص. 111 ؛ جودة حسنين جودة:**المرجع السابق**، ص.489.
(3) نعيم الظاهر:**نفس المرجع**، ص.111.
(4) سارة حسن منيمنة: **المرجع السابق**، ص.66.
(5) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.81.

والأقصى، ويشمل في ليبيا شريطاً ساحلياً ضيقاً، وهو فقيرٌ مقارنةً ببقية المناطق في بلاد المغرب أو أوربا، ماعدا الجبل الأخضر الذي تنمو فيه نباتاتٌ كثيفةٌ[1].

تكوّنت تربته من تفتت الصُّخور الجيرية والرَّملية، وقليلٌ منها منقولٌ بواسطة الأنهار القصيرة السريعة الجريان[2]، وتربة التِرْسْ Tirs من أكثر التربات انتشاراً، ويقتصر توزيعها على الأقاليم السَّهلية المنخفضة، وهي صلصاليةٌ لونها مائلٌ إلى السُّمرة، تتشقَّق في فصل الجفاف لتماسك ذرّاتها الدَّقيقة، كما أنَّها فقيرةٌ في عنصر البوتاس غنيةٌ بأكسيد الحديد[3].

وتنتشر في سفوح الهضاب التربة الجيرية المفتتة من الجبال، ومنها التربة السّوداء التي اكتسبت سوادها من تراكم وتحلّل النباتات في العصور القديمة، وهي تربةٌ جيدةٌ الخصوبة تنتشر في الأودية، كما توجد تربةٌ صلصاليةٌ خصبةٌ غنيةٌ بمركبات البوتاس، يغلب عليها اللّون الأحمر وتنتشر في سهول الأنهار[4].

وتكثر التُّربة الرَّملية المختلطة بالطِّين بالقرب من السَّواحل الغربية، حيث الكثبان الرَّملية، وفي شرق جبال الرِّيف السَّاحلية[5].

أمَّا تربة المرتفعات فهي تختلف باختلاف طبيعة الصُّخور الأصلية ودرجة الانحدار وكمِّيَّة الأمطار، فهي في السُّفوح الشَّديدة الانحدار، قشرةٌ سطحيةٌ رقيقةٌ لا يمكنها الإنبات لضعف قدرتها على الاحتفاظ بالرطوبة، أما في السُّفوح المتوسِّطة، فتظهر تربةٌ ما بين حصويةٍ وطفيليةٍ، ترسبت من السُّفوح العليا وأزيلت منها إرسابات إلى السُّفوح السُّفلى، بينما نجد في أسفل المرتفعات تربةً تكويناتها دقيقةٌ،

---

(1) طريح شرف عبد العزيز: **المرجع السابق** ، ص.138.
(2) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.36.
(3) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.61-62.
(4) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.129-130.
(5) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.129-130.

تتخلّلها بعض الكتل الكبيرة المنهارة من أعلى، وهي من أخصب تربات المرتفعات[1].

يشتهر إقليم البحر المتوسط بالغابات المعتدلة وهي تنمو في المناطق التي تحظى بأمطارٍ كثيرةٍ، ورطوبةٍ مرتفعةٍ، وتربةٍ جيِّدةٍ، مثل الأطلس الكبير والأوسط، وجبال الرِّيف في المغرب الأقصى، والأطلس التلّي في المغرب الأوسط، وجبال خمير في المغرب الأدنى[2]، ويندر نموُّها فوق المنحدرات الدَّاخلية المواجهة للصَّحراء، حيث تقلُّ نسبة الرُّطوبة عن القدر اللاَّزم لنموُّ الغابة، ويأتي المغرب الأقصى في المقدمة من ناحية انتشار هذه الغابات[3].

ولكلِّ ارتفاعٍ أشجاره المميّزة، حيث تحتلُّ أشجار الزَّيتون السّفوح القليلة الارتفاع، وتنحصر بين 100مترٍ و1000مترٍ فوق سطح البحر، وهي تمتاز بأوراقها القصيرة السَّميكة، التي تكون باتجاهٍ مائلٍ بالنسبة للشمس، وهي صلبةٌ ذات لونٍ أخضرٍ فاتحٍ بالجهة العلوية، وفضيةٍ بالجهة السفلية المقابلة لسطح الأرض، ومغطاةٌ بطبقةٍ شمعيةٍ تقيها شدَّة التبخر في فصل الصَّيف، وأشجار الزيتون أهمُّ ما يميّز إقليم البحر الأبيض المتوسط[4].

وتنمو أشجارٌ أخرى دائمة الخضرة في نفس الارتفاع تقريباً، أهمُّها البلوط، والخروب، والصَّنوبر[5]، والفلّين التي يتراوح طولها من 6 إلى 12 متراً، وهي لا تتحمَّل البرودة الشديدة لذا تقتصر على المناطق التي لا يزيد ارتفاعها عن1200متر فوق سطح البحر[6].

---

(1) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.64-65.
(2) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية المغرب العربي الكبير**، ص.31.
(3) سارة حسن منيمنة:**المرجع السابق**، ص.129.
(4)حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.86.
(5) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.501.
(6) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.82-83.

ويظهر الشجر النَفضي المختلط بأشجارٍ صنوبريةٍ قصيرةٍ فيما بين ارتفاعي 1000و2000متر فوق سطح البحر، حيث تنمو أشجار البلوط النفضي مع أشجار البلوط دائم الخضرة، وهو الفلّيني الذي يعطي لحاؤه مادةً تستخدم في دباغة الجلود، ويختلف عن الأول في أنَّ أوراقه خشنة الملمس، وأكثر سمكاً، وذات أطرافٍ حادةٍ مدببةٍ[1].

وفي نفس المستويات الجبلية تنمو أشجار الصنوبر بأنواعه المختلفة، وهي تتميز بسيقانٍ طويلةٍ ورفيعةٍ تنهي بتيجانٍ ذات أغصانٍ، ثمارها مخروطيةٌ وأوراقها إبريةٌ تبدِّلها على مراحل[2]، وهي أنواعٌ منها أشجار الصنوبر البحري التي تتطلَّب أمطاراً كثيرةً ومرتفعاتٍ متوسطةً، وأشجار الصنوبر الحلبي الذي ينمو على المرتفعات التي تزيد عن1300متر فوق سطح البحر، ويتميَّز بأوراقه الإبرية الطَّويلة التي تنبت في فصل الشِّتاء ولا تسقط إلا بعد أربع سنواتٍ، وبثماره البطيئة النضج، وجذوعه المستقيمة التي يخرج منها إذا شقَّت سائلٌ كثيفُ يتجمد بعد مدةٍ، وهو الصَّمغ الذي يدخل في صناعة الصِّباغة، وأخشابه معروفةٌ بجودتها[3] .

وتنمو الأشجار المخروطية فوق ارتفاع 2000متر فوق سطح البحر ، وأهمّها العرعر الذي يتميّز بقدرته على التكيُّف، وتحمُّل الظروف المناخية القاسية من برودةٍ وجفافٍ، ويتراوح طوله بين 2 و20متراً، كما تنمو أشجار الشربين والتنوب، والسرو الإيطالي المتميزة بحجمها الكبير، وارتفاع الساق وتعدُّد الأغصان، أمّا أشجار الأرز التي يتراوح ارتفاعها بين 20إلى30متراً[4]، فتنمو عادةً في الأماكن التي يتراوح ارتفاعها بين2000و2500متر فوق سطح البحر،

---

(1) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.501.
(2) **نفس المرجع:** ص.501-502.
(3) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.84.
(4) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.502.

وهي تعمِّر السنين الطِّوال، وتتطلَّب أمطاراً وفيرةً، وشتاءاً بارداً، وصيفاً معتدلاً[1]، لذلك تكثر في جبال المغرب الأقصى، أين نمت نمواً كبيراً حتى أنَّ منهاً ما يحتاج لتطويقه إلى عشرة من الناس يلتفون حوله[2].

وتتكوِّن المراعي الألبية من الحشائش الألبية التي تظهر في أعالي الجبال بعد ارتفاع 3000م فوق سطح البحر[3]، وهي عبارةٌ عن شجيراتٍ قصيرةٍ ذات سيقانٍ رفيعةٍ تتدرج كلَّما زاد الارتفاع إلى أعشابٍ خضراء[4].

وتربَّى الكثير من قطعان الماشية في المراعي النضرة التي تزدهر داخل هذه الغابات[5]، لأنَّ الثلوج التي ترغم البشر والحيوانات في الشتاء على الالتجاء إلى السفوح أو إلى الأودية، تساهم عند ذوبانها، إضافة إلى الأمطار التي تتلقَّاها الجبال الأطلسية خلال فصل الصَّيف، في تجديد هذه المراعي[6].

ويعتبر الرَّعي من الظَّواهر الأساسية في الغابات الجبلية خاصةً في المغرب الأقصى[7]، لأنَّ العشب يظلُّ نظراً في الرَّبيع والصَّيف، أي خلال فصل الجفاف الطَّويل، وتكون حركة انتقال الماشية مزدوجةً، صعودٌ في فصل الصَّيف إلى المراعي العليا، يليه هبوطٌ في الشِّتاء إلى حضيض الجبل والسُّهول المحيطة به، لكنَّ حركة نزول الماشية إلى السَّهل في الشتاء، آخذةٌ في التَّلاشي بسبب انتشار الزِّراعة في الأراضي التي كانت مخصَّصةً للرَّعي، كما أنَّ هناك جماعاتٍ نائيةً وقرىً منعزلةً لا تربطها صلةٌ بالسَّهل وتحتفظ بقطعانها في الجبال طول العام[8].

2/إقليم نباتات الاستبس:

---

(1) حليمي : **جغرافية الجزائر**، ص.85.
(2) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.70.
(3) **نفس المرجع:** ص.70.
(4) رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى :**المرجع السابق**، ص.67.
(5) سارة حسن منيمنة**: المرجع السابق**، ص.129.
(6) جان فرنسوا تراون: **المرجع السابق** ، ص.102.
(7) عوض حسان : **المرجع السابق**، ص.59.
(8) **نفس المرجع:** ص.66.

يمتدُّ إقليم الاستبس إلى الجنوب من الإقليم السَّابق، وتكثر فيه السَّبخات، وتسود به التربة الملحية التي لا تساعد على نمو النَّبات وخصوصاً الأشجار[1]، وتتميَّز تربته بلونها البنِّي نتيجة وجود نسبةٍ من المواد العضوية، ترتفع فيها نسبة الطِّين، وتعطي إنتاجاً وفيراً إذا وجدت الرَّي الكافي، وتظهر على طول سواحل طرابلس بليبيا، وتمتد جنوب شرق تونس وتظهر أيضاً في هضبة الشطوط في الجزائر وفي المغرب الأقصى[2].

وتنمو حشائش الاستبس خلال شهور الشتاء عندما تسقط الأمطار، وتختفي في الصَّيف، ويتباين غناها تبعاً لكمِّية الأمطار المتساقطة، تميزها تشكيلةٌ قصيرةٌ من الفصائل النباتية، منها نباتات أليفة الملح، وهي تكسو الأرض بصفةٍ متقطعةٍ، إذ يتراوح متوسط تغطيتها بين10و30بالمئة من المساحة الإجمالية[3]، وأهم النَّباتات، الحلفاء، التي تغطي مساحةً واسعةً، وهي تتركَّز في ليبيا في الشَّمال، في برقة والأجزاء الدَّاخلية من الجبل الأخضر، وفي ولاية طرابلس، وهي تزيد في الغرب الأدنى عن مليون هكتارٍ، وتنتشر في إقليمي فريانة والقصرين، وتشغل في المغرب الأوسط حوالي ثلاثة ملايين هكتارٍ، وتكثر في السّهول العليا الغربية، وتنمو في المغرب الأقصى في النطاق الشرقية بصفةٍ خاصةٍ[4]، ويبلغ طولها حوالي المتر وهي لا تتحمَّل الرُّطوبة الكثيرة، فإذا زادت الأمطار عن500ملم أضرَّت بها، وأدَّت إلى اختفائها، ليحل محلَّها نبات الدِّيس الذي يزيد طوله عن المتر، وهو ذو أوراق إبرية[5].

---

(1) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.86.
(2) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.59-60.
(3) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.85.
(4) سارة حسن منيمنة:**المرجع السابق**، ص.135-136.
(5) حليمي عبد القادر علي:**جغرافية الجزائر**، ص.87.

وتتشكّل حشائش الإستبس من نباتاتٍ أخرى أهمها: السّدرة والبطوم والسنار والكداد والطرفة أو الثّل، والدرين الذي ينمو في التربة الرَّملية، والشِّيح الذي ينبت في السهول الفيضية، إضافة إلى أنواعٍ أخرى تظهر فوق التربة الملحية في الشطوط، وعلى حافات السبخات المنخفضة، والكثير منها لا تأكلها المواشي لشدَّة حموضتها أو ملوحتها أو مرارتها[1].

ويعتبر هذا الإقليم من مناطق الرعي الأساسية في بلاد المغرب، إذ تنتشر فيه أعدادٌ كبيرةٌ من القطعان التي تضم الماعز والأغنام والأبقار والإبل والخيل والحمير[2]، وتوجد أكبر مساحة من أراضي المراعي في موريتانيا يليها المغرب الأوسط، ثم المغرب الأقصى، وهي موجودةٌ في المغرب الأدنى وليبيا ولكن بدرجةٍ أقل[3]، وهو أنسب البيئات لتربية الخيل لأنه يحتاج إلى مساحات واسعة للعدو[4]، لكنّ تبقى الخيول والأبقار قليلةٌ بالنسبة للأغنام والماعز، التي تكوِّن القسم الأكبر من الماشية لأنَّها لا تحتاج إلى الكثير من الماء والغذاء[5].

وهذا الإقليم ذو مناخٍ متذبذبٍ وقاسٍ، يميِّزه جفافٌ مؤثرٌ كلَّ عشر سنواتٍ[6]، ممّا يؤدِّي إلى فقدان أعدادٍ كبيرةٍ من الماشية وخاصةً الأغنام، ويدفع بالمربين إلى التوجه بقطعانهم شمالاً صوب الأقاليم التلية، بحثاً عن الكلأ في الجبال والغابات والحصائد، خاصةً خلال الصيف[7]،

وتوجد في الأطراف الجنوبية التي يسقط فيها المطر الصيفي في كلٍ من ليبيا وموريتانيا، حشائش من نوع الاستبس المداري، التي تعدُّ موطناً لأعدادٍ ضخمةٍ من

---

(1) **نفس المرجع**، ص.87.
(2) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص.69.
(3) محمد عصام الدين شوقي وعادل الحسانين:**المرجع السابق**، ص.230.
(4) سارة حسن منيمنة:**المرجع السابق**، ص.142.
(5) جان فرنسوا تراون وآخرون: **المرجع السابق**، ص.87.
(6)**نفس المرجع**، ص.85.
(7) سعودي محمد عبد الغني: **المرجع السابق**، ص69.

الأغنام والإبل والماعز[1]، حيث تنمو بعض الشجيرات المنتمية للأنواع المدارية، مثل أشجار السَّنط والصَّمغ العربي ونخيل الدُّوم والأراك (السواك)، وهي نباتات تختلف عن تلك التي تنمو في الشمال[2].

3/إقليم النباتات الصحراوية:

تسود التربة الرَّملية في الصحراء وهي تتألف من الرِّمال الناعمة والحصى، ويغلب عليها اللّون الأصفر أو الرّمادي الضارب إلى الحمرة أحيانا، لفقرها من المواد العضوية[3]، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواعٍ، منها: صحراء العرق ذات التكوينات الهشة النَّاعمة، التي تتراكم فيها الكثبان الرَّملية الزَّاحفة مع اتِّجاه الرِّيح[4]، ومن أمثلتها بحر الرِّمال العظيم على الحدود المصرية الليبية وكذلك العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير في جنوب المغرب الأوسط[5]، وصحراء الرِّق التي يتكوّن سطحها من جزيئاتٍ خشنةٍ تتراوح بين الحصى والحصباء وبين الأحجار والكتل الصَّخرية الصَّلبة، وصحراء الحمادة، وهي مساحات الصحراء الصخرية الصلبة ذات السطوح المتماسكة[6]، وتوجد في الصحراء أيضاً بعض الأراضي الطينية حول الأودية وتمثل حالات خاصة، وهي أراضي رملية تتميز بوجود القشرة الجبسية[7].

وقد تكيَّفت بعض النباتات والحيوانات مع هذه الظروف الصعبة وأصبحت قادرةً على تحمُّل الجفاف والتباين الحراري الكبير [8]، وهي تتحايل على الظروف الطبيعية، فتمارس نوعاً من السُّبات في فصل الصَّيف، أو تحمي نفسها بلحاءٍ

---

(1) سارة حسن منيمنة:**المرجع السابق**، ص.133.
(2) طريح شرف عبد العزيز: **المرجع السابق** ، ص.143.
(3) نعيم الظاهر: **المرجع السابق** ، ص.56.
(4) صلاح الدين علي الشامي: **المرجع السابق** ص.102.
(5) نعيم الظاهر : **المرجع السابق** ، ص.56-57.
(6)صلاح الدين علي الشامي: **المرجع السابق** ص.102.
(7) محمد عصام الدين شوقي وعادل الحسانين:**المرجع السابق**، ص.75.
(8) سعدية عاكول الصالحي وعبد العباس فضيح الغريري: **المرجع السابق**، ص.134.

سميكٍ وأوراقٍ إبريةٍ أو شمعيةٍ، أو تمتد جذورها بعيداً لكي تحصل على كميةٍ كافيةٍ من الرُّطوبة[1]، ومنها ما هي فصلية تظهر بعد سقوط الأمطار وتختفي في الجفاف، وأخرى دائمةٌ، لكنَّها تسقط أوراقها صيفاً وتورق عند الإمطار، كما توجد نباتاتٌ دائمةٌ لها جذورٌ عميقةٌ، تحولت أوراق قسمٍ منها إلى أشواكٍ للتقليل من كمية الفاقد المائي، أمّا النباتات التي تقاوم الأملاح وتسمّى Salt plants فهي تستطيع العيش في ظلِّ تركيز كبير من الأملاح عن طريق فرز الأملاح الزائدة للتخلص منها، وتنمو في الأحواض المنتشرة في الصحراء [2].

وهذه النباتات قصيرةٌ وهزيلةٌ، تنمو مبعثرةً في هيئة مجموعاتٍ متباعدةٍ، تفصل بينها أراضي جرداء، وهي قصيرة العمر تنمو وتزدهر عقب سقوط المطر مباشرةً وتكمل دورة حياتها وتزول بسرعةٍ، لكن جذورها تبقى مدفونةً في التربة، كي تعود إلى النُّمو والحياة مرةً أخرى في الموسم الذي تجود فيه السَّماء ببعض المطر، ومن أمثلتها الحَلْبَةُ والخَرْدَلُ، والشعير البري، وتنمو شجيراتٌ معمرةٌ عند أطراف الصحاري الغربية في بيئةٍ تنبت بها أعشابٌ شوكيةٌ، من بينها شجيرات السَّنط والأثل والشِّيح الحنظل ونخيل الدوم[3].

وتعدّ الصحراء منطقة رعيٍ جيدةٍ للجمال والماعز فهذه الحيوانات لا تحتاج إلى مراعي غنية، وقد تأقلمت مع البيئة الصحراوية، حيث تعيش الماعز والأغنام والإبل في الجهة الشمالية من الصحراء، بينما يقتصر النِّطاق الأوسط الذي يعتبر أجفَّ منطقةٍ في الصحراء وأعمق من حيث مصادر المياه وأقلها آباراً على الإبل، وتعيش الماعز في أقصى الجنوب على هوامش المناخ الاستوائي، حيث تتجمع

---

(1) **نفس المرجع**، ص.137.
(2) **المرجع نفسه**، ص.138.
(3) جودة حسنين جودة: **المرجع السابق**، ص.506.

الحرارة والرُّطوبة مما يساعد على نمو شجيراتٍ وأشجارٍ شوكيةٍ ولا يسمح بنمو الحشائش[1].

الفصل الثاني:
الحيوانات التي تربى في بلاد المغرب من الفتح

[1] سعدية عاكول الصالحي وعبد العباس فضيح الغريري: **المرجع السابق**، ص.139.

الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين

الفصل الثاني: الحيوانات التي كانت تربى في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين

- أ/ تربية الماشية
- ب/ تربية الخيل والحمير والبغال
- ج/ تربية الحيوانات الأخرى

أ/ تربية المـاشيـة:

تربية الماشية في بلاد المغرب عند الفتح:

الـماشِيةُ لغةً، إسمٌ يقع علـى الإبل والبقر والغنم، والـجمع مَواشي[1]، وتسكت أغلب المصادر عن وصف أنواع الماشية في بلاد المغرب، ممّا يُرجِّح أنَّها لم تكن تختلف عن غيرها في أي شيءٍ، لكنَّ البكري يتحدَّث عن نوعٍ من الغنم بحصن "يرارة" الواقع على الطريق من سجلماسة إلى فاس، ويقول إنَّ أصولها "... من قيس من أرض فارس، وصوفها من أجود الأصواف..."[2]، ممَّا يُرجِّح أنَّها كانت تختلف عن غيرها من غنم بلاد المغرب، ويذكر كلٌ من "صاحب الاستبصار" و"الحميري"، نوعاً من الكباش، تُسمَّى بالكباش "الدّمانية"، يقولان أنَّها موجودةٌ عند القبيلتين الصَّحراويتين، "المتونة" و"لمطة"، وهي على خِلقة الضَّأن إلا أنَّها أعظم، "وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها، وهي من أحسن الغنم خلقاً وألواناً"[3]، ويضيف الحسن الوزان أنَّ "لها صوفاً جيدةً، لكنَّها قصيرةٌ، وأنَّ قامتها

---

(1) ابن منظور:**لسان العرب المحيط**، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.ط.ج.3، ص.491.

(2) **المصدر السابق**، ص.147.

(3) مجهول : **الاستبصار**، ص.214 ؛ محمد بن عبد المنعم الحِميري:**الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1980م، ص. 584

قامة حمارٍ قصيرٍ، وأذناها طويلتان متدليتان، ولإناثها قرونٌ دون ذكورها، ولا توجد بكثرةٍ إلا في صحاري بلاد المغرب حيث يستخرجون منها اللّبن، ويصنعون منه الزَّبد والجبن"[1].

وانفرد نفس المؤلّف بذِكْر نوعٍ من الغنم يتميَّز بـ"ذيله العظيم"، وهو لا يوجد إلاَّ في تونس (إفريقيَّة) ومصر، ويتراوح وزن ذيل الشَّاة من خمسةٍ إلى عشرين رطلاً، "وكلّما كان الذّيل عظيماً كان الحيوان سميناً، لأنَّ شحمه كلّه في ذيله"[2].

وورد في كتب النّوازل، ذكرٌ لنوعٍ من الشِّياه قصيرة الذَّنب بأصل خِلقتها، وقد أفتى السيوري[3]، أنَّ ذلك لا يعيبها، ولا يُنقص من ثمنها وبأنَّها تُجْزِءُ في الأُضحية[4]، وهي بلا شكٍ الضَّأن ذات الذَّنب الرَّقيق التي كانت تعيش في المغرب القديم[5].

ووجد نوعٌ من البقر الصَّغير الحجم، عُرف في القديم بجنس "قالمة"[6]، وسمَّاه الحسن الوزان:"بقر الجبال"، لأنَّه انتشر فيها بكثرةٍ، وقال إنَّه يتميّز بقصر القامة: "إلى حدِّ أنَّه يشبه العجول التي بلغ سنّها العامين من البقر العادي، يستخدمها أهل الجبال في الحرث، ويدَّعون أنَّها قويةٌ جداً وصبورةٌ على التَّعب"[7].

---

(1) **المصدر السابق**، ج.2، ص.264-265.

(2) **نفس المصدر**، ص.265.

(3) أبو القاسم السيوري واسمه عبد الخالق بن عبد الوارث ؛ يقول عنه القاضي عياض:"قيرواني من ذوي الشأن البديع في الحفظ والقيام بالمذهب والمعرفة بخلاف العلماء، وكان زاهداً فاضلاً ديناً نظاراً، وآية في الدرس والصبر عليه، لازم مدينة القيروان بعد خرابها، إلى أن مات بها، سنة 460هـ(1068م)".(**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، مج.2، ص.326).

(4) أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي: **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ج.1، ص.605 ؛ أحمد بن يحيى الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، طبعة 1401هـ/1981م، ج.2، ص.31.

(5) شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقية الشمالية**، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثالثة، د.ت.ط، ج.1، ص.207.

(6) شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ج.1، ص.207.

(7) **المصدر السابق** ، ج.2، ص.264.

وإبل بلاد المغرب، من فصيلة الجمل وحيد السّنام الذي تعدُّ شبه الجزيرة العربية موطنها الأصلي[1]، وتاريخ ظهورها في المنطقة قديمٌ جداً[2]، وقد نقل الفاتحون المسلمون أعداداً غير قليلةٍ منها[3]، ويعتبرها الحسن الوزان من أفضل أنواع الإبل، لأنَّها تحمل الأثقال مدَّة أربعين أو خمسين يوماً، دون أن تستلزم علفاً في المساء، وإنَّما تكتفي بأن تُنـزل عنها الأحمال، وتُترَك لترعى في البريِّة قليلاً من العشب والشَّوك وأغصان الشَّجر[4]، وفي استطاعتها أن تبقى خمسة عشر يوماً دون أن تشرب ماءاً[5]، وهي تنفعل بالحُدَاء[6]، فأصحابها لا يرغمونها على المسير بالسَّوط والمهماز مثل الخيل، وإنما يُغنُّون لها ألحاناً، فتَطرَب لها وتُتَابع سيرها، حتى يشقَّ على حُدَاتِها إتّباعها[7].

وقد كان البربر يربُّون الماشية، فيكسب أهل العزِّ والغلبة منهم الشّاء والبقر، ويكسب أهل النُّجعة، الإبل، كما كانوا "يتّخذون لباسهم وأكثر أثاثهم من الصُّوف، وبيوتهم من الشّعر والوبر"[8]، وكان أهل المدن يُبَيِّتُونَ ماشيتهم داخل المدينة، ويُسَرِّحُونَها خارجها نهاراً، مثلما هو حال مدينة "سَبْرَت"[9]، التي طرَقها عمرو

---

(1) خالد زنيد: **الإبل وأهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع ميلادي**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد18، ديسمبر 2002م، ص.179.

(2) عن ظهور الجمل ببلاد المغرب أنظر محمد بن عميرة : **دور زناتـة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى 1984م، ص.25-26.

(3)أنظر مجهول: **الاستبصار**، ص.113-114 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**،ص.486

(4) **المصدر السابق**، ص.259.

(5) **المصدر نفسه**، ص.261.

(6) ابن خلدون عبد الرحمن: **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق الجويدي درويش، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،/2002م، ص.237 ؛ الشَّاء والشِّياه جمع شاةٍ، والشَّاةُ الواحد من الغنم يكون للذكر والأنثى.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.2، ص.385-386.)

(7) الوزان : **المصدر السابق**، ج.2، ص.261.

(8) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.116 ؛ والأثاثُ أنواعُ المَتاع من متاع البيت ونحوه.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج1، ص.19).

(9) يسميها ابن الأثير:سَبَرة، بينما نجدها عند ابن عبد الحكم، سَبَرْت بالتاء المفتوحة، ويقول ياقوت إنّه وجدها في كتاب ابن عبد الحكم سبْرَتُ ثم وجدها أيضاً سَبرَةُ: بفتح أوله وسكون ثانيه، وقال:"وسياق حديث الفتوح يدلُ على أنهما واحد". ابن عبد الحكم: **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص.32 ؛ ابن الأثير : **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1418هـ /1998م، مج.2، ص.428 ؛ ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، مج.3، ص.184، وص.391. ؛ وهي عند

بن العاص سنة 23هـ/644م، بعد "طرابلس" على غفلةٍ من أهلها، " ...وقد سرحوا سَرْحهم..."[1].

ويبدو أنَّ أعداد المواشي كانت كبيرةً، لأنَّ "البلاذُري" (ت279هـ/892م) يذكر أنَّ المسلمين بعد فتح "سبيطلة" والقضاء على حاكمها "جرجير"، "استاقوا من المواشي ما قدروا عليه"[2]، وهو ما يدلُّ على أنَّهم لم يستطيعوا أخذها كلَّها في غنائمهم.

واعتمد الفاتحون على لحوم الماشية في غذائهم، فكان "عبد الله بن سعد بن أبي سرح"، في حملته على إفريقيَّة، يرسل السَّرايا في كل جهةٍ، فتأتي بالبقر والشَّاء والعلف، فيأخذون العلف والسَّبَد، وينحرون الإبل ويذبحون البقر[3]، وتذكر المصادر أنَّ "عقبة بن نافع الفهري"(ت63هـ/683م)، عندما قام بحملته الشهيرة على المغرب الأقصى ونزل "ماسة" من السوس الأقصى، أحضر ذَوْدَ غنمٍ وأمر بذبحها لعسكره[4].

الحميري وابن خلدون، "صبرة" بالصاد والتَّاء المربوطة، ابن خلدون، **العبر**، مج.2، ص.573 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.354.

[1] ابن عبد الحكم: **المصدر السابق**، ص.32 ؛ ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، مج.3، ص. 184 ؛ ابن الأثير :**المصدر السابق**، مج.2، ص.428 ؛ الحِميري:**المصدر السابق**، ص.354.

[2] **فتوح البلدان**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م، ص.139.

[3]؛ أبو بكر المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م، ج.1، ص.17 ؛ عبد الرحمن بن محمد الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرون، مكتبة الخانجي مصر، المكتبة العتيقة تونس، الطبعة الثانية، 1388هـ/1968م، ج.1، ص.34 . والسَّبَدُ: الوَبَر وقيل الشّعر، يكنى به عن الإبل والغنم، ويكنَّى به عن الإبل والمعز.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.83-84).

[4] أنظر أبو بكر المالكي:**المصدر السابق**، ج.1، ص.40-41 ؛ ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.29 ؛ الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص..53 ؛ ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج.3، ص.452. ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.193 ؛ ابن أبي دينار:**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار الميسرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1993م، ص. 44 ؛ والدَّوْدُ للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع وما بين الثلاث إلى العشر، وقيل إلى عشرين وفُوَيقَ ذلك وقيل ما بين الثلاث إلى الثلاثين، ولا يكون إلاّ من الإناث دون الذكور.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.1084) ؛ وذكر ابن عذاري أنَّ ذود الغنم فيه نحو الألف شاةٍ. (**المصدر السابق** ، مج.2، ص.21.)

كما اعتمدوا على ألبانها وما يستخرج منها من زبدٍ وسمنٍ وغيره، لكنَّهم تحرَّجُوا أوَّل الأمر من أكلها، لذا، استفتى "موهب بن حبي المعافري"[1]، الصَّحابي"عبد الله بن عباس بن عبد المطلب" (ت68هـ/687م)، _ رضي الله عنهما _ فأجاز أكل سمن البربر وعسلهم والإنتفاع بقربهم[2].

وممَّا يدلُّ على انتشار تربية الماشية أثناء الفتح، أنَّ الكاهنة، ملكة قبيلة "جراوة" البربرية، التي كانت تحمل صنمها في تنقلها على جملٍ[3]، صرَّحت بحاجة البربر إلى المراعي عندما أرادت تخريب بلاد المغرب، وقالت لقومها: "إنَّ العرب يريدون من إفريقيَّة المدائن والذهب والفضة والشَّجر، ونحن إنَّما نريد منها المراعي والمزارع فما أرى لكم إلا خراب إفريقيَّة"[4].

ويذكر ابن عذاري أنَّ الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، خرج يوماً يتصيّد، ومعه موسى بن نصير، بعد عزله عن المغرب، "... فمرَّ في منية له بذود غنمٍ يكون فيها نحو ألف شاةٍ؛ فالتفت إلى موسى، وقال له : هل كان لك مثل هذا؟ فضحك موسى وقال: والله! لقد رأيت لأدنى موالي أضعاف هذا! فقال سليمان: لأدنى مواليك؟ فقال: نعم والله! نعم والله! ورددَّها مراراً؛ ثم قال: وما هذا فيما أفاء الله علي! لقد كانت الألف شاةٍ تباع بعشرة دراهم، كلُّ مائةٍ بدرهم! ولقد كان النَّاس يمرُّون بالبقر والغنم؛ فلا يلتفتون إليها! ولقد رأيت الدَّود من الإبل بدينار! .... فعجب سليمان"[5]، والذي يمكن استنتاجه من هذه الرواية _ رغم ما قد يكون فيها

---

(1) من فضلاء التابعين، كان يروي عن ابن عباس وغيره، سكن القيروان وبث بها علماً كثيراً. أنظر الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.213.

(2) **نفسه.**

(3) المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.53.؛ الحِميري : **المصدر السابق**، ص.66.

(4) عن هذا الموضوع أنظر المالكي: **نفس المصدر**، ج.1، ص.53 ؛ ابن عذاري : **المصدر السابق**، مج.1، ص.36 ؛ الدباغ:**المصدر السابق**، ج.1، ص.64 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.66 ؛: ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.143؛ ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص.31

(5) **المصدر السابق**، مج.2، ص.22.

من مبالغةٍ _ هو كثرة الماشية في بلاد المغرب خلال تلك الفترة، ورخص أسعارها، وما كان لذلك من صدى في المشرق.

الماشية في بلاد المغرب بعد فتحها:

كانت الماشية من الأسباب المباشرة التي أدَّت إلى قيام ثورة البربر ضد السُّلطة الأموية سنة 122هـ/739-740م[1]، حيث أنَّ عمال عبيد الله بن الحبحاب الذي تولى المغرب سنة 117هـ/ 735م[2]، كانوا يتسابقون في طلب التُّحف النَّادرة، ويُبالغون في طلب الأفرية العسلية اللَّون، إرضاءاً للخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م)، فأتلفوا ماشية البربر، ممَّا أثار غضبهم، وجعلهم يرسلون وفداً لمقابلة الخليفة بالمشرق، ليخبره بما فعلوه بماشيتهم، فذكروا أنَّهم كانوا "... يبقرون بطونها عن سخالها، يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاةٍ في جلدٍ ..."[3]، "وكثر عيثهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم، وامتعض لذلك ميسرة زعيم مضغرة الحسن، وحمل البرابرة على الفتك بعمر بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه..."[4].

وانتشرت تربية الماشية بمدينة القيروان، حيث أنَّ يحيى بن سعيد، عامل عمر بن عبد العزيز، اشترى خادماً سوداءً وأعتقها وأعطاها أربعين كبشاً[5]، وكان

---

(1) عن أسباب الثورة أنظر: محمد بن عميرة: **دور زناتة في الحركة المذهبية**، ص.63. ؛ الحبيب الجنحاني:**دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى1980م، ص.42-43. ؛ إبراهيم بحاز:**ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي ابتداءً من سنة(122هـ/739- 740م) في المصادر العربية قديماً والمدرسة المغربية حديثاً**، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1408هـ1988م ص.81.

(2) الزركلي خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة1980م، **المرجع السابق**، ج.4، ص.192.

(3) ابن الأثير: **المصدر السابق** ، مج.2،ص.485.

(4) ابن خلدون: **العبـر**، ج.6، ص.156.

(5) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي:**كتاب طبقات علماء إفريقية**، نشره محمد بن شنب مع كتاب طبقات علماء إفريقية لمحمد بن الحارث الخشني وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب تميم ،دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د.ت.ط، ص.26.

أحد أبناء الأمير"يزيد بن حاتم" والي إفريقيَّة والمغرب[1]، يملك غنماً كثيرةً قرب القيروان، لكنَّ والده زجره عليها، وأمره بذبحها، وأن تباح للنَّاس فانتهبوها وأكلوها[2]، وجاء في ترجمة "أبي العباس عبد الله بن أحمد بن طالب" (ت275هـ/888م)، أنَّه أعتق غلاماً لوجه الله بعدما اشتراه من صاحبه وأهداه الغنم التي كان راعياً عليها[3]، واشترى لشيخ فقيرٍ زوجاً من البقر يحرث به وزريعةً وغلاماً ليحرث له، ومائة شاةٍ من الغنم[4]، وكان القاضي "أبو محرز محمد بن عبد الله الكنَّاني"، يملك الكثير من صنوف المواشي، وقد عرضها على النَّاس درءاً للشُّبهة، عندما أكرهه "زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب"(ت223هـ/ 838م)، على تولّي القضاء[5]، وامتلك الفقيه سحنون بن سعيد[6]، من البقر ثورين كان يبيتهما بداره[7]، كما كان للفقيه "أبي محمد يونس بن محمد الورداني" (ت297هـ/909-910م)، قطيعٌ من البقر، رعاه بنفسه[8]، وكان الشيخ "أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلَّد الغافقي"، يملك ثوراً يركبه من "باب أبي الرَّبيع" حتى ينتهي إلى منزله بـ"الرَّوحاء"، تواضعاً منه، وإذا كُلِّم في ذلك قال: "حسبك من الدَّواب ما بلغك المنهل"[9]، ويروي البكري(أنهى تأليف كتابه سنة 462هـ/1068م) أنَّ ما ذبح

---

(1) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أميرٌ من القادة الشجعان، ولي الديار المصرية للمنصور، ثم ولاَّه إفريقية سنة154هـ، فاستقر واليا علها خمس عشرة سنة، وتوفي بالقيروان سنة(170هـ/787م).(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.8، ص.180.)

(2) ابن عذاري : **المصدر السابق**، ج.1 ص.82.

(3) المالكي: **المصدر السابق** ، ج.1، ص.474 ؛ الدباغ**: المصدر السابق** ، ج.2، ص.166.

(4) الدباغ**: نفس المصدر**، ج.2، ص.168-169.

(5) أبو العرب التميمي: **المصدر السابق**، ص.73.

(6) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون(160- 240 هـ/777- 854م)، قاض وفقيه، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب، كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله، أصله شامي، من حمص، ومولده في القيروان، ولي القضاء بها سنة 234 هـ/848-849م، واستمر إلى أن مات، روى المدوَّنة في فروع المالكية، عن عبد الرحمن بن قاسم عن الإمام مالك رحمه الله.(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.4، ص.5).

(7) المالكي: **المصدر السابق**، ج.1،ص.224-225.

(8) المالكي: **نفس المصدر**، ج.2، ص.45-46.

(9) المالكي: **نفس المصدر**، ج.1،ص.461 ؛ يبدو أنَّ استخدام البقر في الرُّكوب والحمل كان معروفاً في بلاد المغرب، لكنَّ هذه الظَّاهرة لم تكن مقبولةً من الفقهاء الذين أنكروا على البربر الشَّرقية التي كانت تحمل على البقر،

بالقيروان في بعض أيام عاشوراء من البقر فقط، وصل إلى تسع مائة وخمسين رأساً[1].

كما انتعشت تربية الماشية بتاهرت، في أيام "عبد الرحمن بن رستم"(ت171هـ/787م)، فكان عماله يقبضون أعشارهم من أهل الشّاة والبعير، ثم تباع تلك الحيوانات ليدفع منها للعمال أجر عملهم[2].

وامتلك يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم[3]، بقراتٍ كان لا يطعم إلاّ من لبنها، "يأمر بحلبها بين يديه في إناءٍ جديدٍ حتى إذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يخرج لبرازٍ"[4].

وكانت بعض القبائل مثل "مزاتة" و"سدراتة" وغيرهم، تنتجع "تاهرت" وأحوازها في الرّبيع، لما حولها من الكلأ[5]، وقد وصف ابن حوقلٍ النصيبي الذي زار بلاد المغرب بين سنتي 330هـ/916م و340هـ951م، العاصمة الرستمية بأنَّها كانت في فترةٍ سابقةٍ "...إحدى معادن الدَّواب والماشية والغنم.."[6]، وذكر الإدريسي (ت548هـ/ 1154م)، أنَّ "البقر والغنم بها كثيرةٌ جداً وكذلك العسل والسَّمن"[7].

وعَدُّوا ذلك بدعةً أدَّت إلى فساد لحمها، وقالوا:"إنَّ البقرةَ قالت للذي ركبها أنا لم أُخلق لهذا وإنما خُلِقت للحرث".(الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.2 ص.478.)

(1) البكري:**المصدر السابق**، ص.26.

(2) ابن الصغير المالكي:**أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، ص.35.

(3) أمير إباضي، من آل رستم، (ت310هـ/922م) بايعه فريق من أصحابه في "تيهرت" بالإمامة، أيام الفتنة على ابن أخيه أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، ثم خلعوه، وعادت الإمامة إلى يوسف، وقد حكم يعقوب بن أفلح في تاهرت بعد خروج الإمام أبي حاتم منها أربع سنوات284/281هـ لا يتجاوز سلطانه أهل تيهرت، والإباضية لا يعتبرونه من أئمة الدولة الرستمية.(ابن الصغير المالكي:**المصدر السابق**، ص.98، هامش 168 ؛ الزركلي: **المرجع السابق**، ج.8، ص.196، وص.247).

(4) ابن الصغير:**المصدر السابق**، ص. 98.

(5) **نفس المصدر**، ص.41.

(6) **المصدر السابق**، ص.86.

(7) **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مطبوعات عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م، مج.1، ص.256.

وفي المغرب الأقصى اهتمَّ الأمراء بتربية الماشية، فكان "إدريس بن إدريس" (177-213هـ/793-828م) ثاني أمراء الأدارسة[1]، صاحب ماشيةٍ، وقد نقل جميع كسبه من الخيل والإبل والبقر والغنم إلى مدينة "فاس" عند تأسيسها، فتركها بأيدي ثقاته[2]، وامتلك أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسى، جد أمراء بني مدرار، أصحاب سجلماسة، ماشيةً كثيرةً، من غنمٍ وسواه[3].

وكان الأمير الموحدي يوسف المنتصر بالله[4]، "مولعاً بالبقر والخيل، يأتي بالبقر من الأنَّدلس فينتجها في رياضه الكبير من حضرة مراكش"[5]، وقد دفع حياته نتيجةً لاهتمامه بتربية الأبقار، حيث "ضربته بقرةٌ بقرنها على قلبه فمات من حينه"[6].

وقد تحدَّث الجغرافيون الذين كتبوا عن بلاد المغرب في فتراتٍ مختلفةٍ، عن تربية الماشية في العديد من المناطق، فذكر اليعقوبي (ت274هـ/888م) الجلود الزويلية، التي اشتهرت بها مدينة زويلة[7]، الأمر الذي يدلُّ على كثرة الماشية بهذه الناحية، وتكلَّم عن بربرٍ من "صنهاجة" و"زواوة" يعرفون بالبرانس، مدنهم بعد

---

(1) الزركلي: **المرجع السابق**، ج.1، ص.278.

(2) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.46.

(3) البكري: **المصدر السابق**، ص.149 ؛ مجهول: **الاستبصار**، ص.201 ؛ ابن خلدون:**العبر**، ج.6، ص.172 ؛ الزركلي: **المرجع السابق**، ج.7، ص. 195.

(4) يوسف (المستنصر أو المنتصر بالله) بن محمد الناصر بن يعقوب القيسي الكومي (594-620 هـ/1198-1224 م)، من ملوك دولة الموحدين، بويع له، صغيرا، بعد وفاة أبيه سنة 610 هـ/1213م، وسادت الفتن في أيامه، فاستبدّ ولاة الأطراف بما في أيديهم، واستفحل أمر بني مرين فلم يتمكن من خضد شوكتهم. (الزركلي: **المرجع السابق**،مج.8، ص. 248.)

(5) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص..243. قارن بـ: أبو عبد الله بن الخطيب السلماني: **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية تونس، طبعة 1316هـ، ص.60.

(6) ابن أبي زرع : **روض القرطاس**، ص.243 ؛ ابن الخطيب : **رقم الحلل في نظم الدول**، ص.60 ؛ يقول الزركلي أنه:"توسط قطيعاً من البقر في بستان له، فطعنته بقرة في صدره، فقتلته".(الزركلي: **المرجع السابق**، مج.8، ص.248.)، وهو ينسب هذه إلى ابن خلكان لكني لم أعثر عليها عند رجوعي إلى ترجمة يوسف المنتصر بالله في وفيات الأعيان. أنظر أبو العباس بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج.7، الطبعة الأولى1994م، ص.16 ؛

(7) أحمد بن أبي يعقوب: **كتاب صفة المغرب المأخوذ من كتاب البلدان**، صححه ونشره "هنري بيرس"، مكتبة الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1370هـ/1960م، ص.6.

مدينة "هاز" التي تقع غرب عمل الزَّاب،كانوا أصحاب عمارةٍ وزرعٍ وضرعٍ، وعن قومٍ من زناتة شراةٌ كلُّهم[1]، يقال لهم:"بنو دمر"، بين بلدهم وبين "هاز" مرحلةٌ، وهم يملكون الكثير من المواشي[2].

ولاحظ ابن حوقل (زار بلاد المغرب بين سنتي 330هـ/916م و340هـ951م)، رُخص أسعار الغنم والإبل والبقر، واللُّحوم وسائر الأغذية ببلاد المغرب مقارنة مع غيرها من البلاد، كما لاحظ أنَّ أهلها يملكون من الجمال "ما لا تدانيها في الكثرة إبل العرب" [3].

ويبدو أنَّ هناك مناطق اختصت بتربية نوعٍ معينٍ من الماشية، فاختصَّت مدينة "سُرْتُ" بلحوم الماعز، رغم وجود الإبل والغنم بها[4]، وعُرِفت مدينة "بونة" بكثرة أبقارها[5]، وكانت قبائل "مزاتة" و"ضريسة"، التي تسكن فحص مدينة "باغاية"[6]، يربُّون الإبل، ويُضعنون زمن الشِّتاء إلى الرِّمال حيث لا مطر ولا ثلج، خوفاً على نتاج إبلهم[7]، كما كان البربر البرانس المقيمون بين "السوس" و"أغمات" و"فاس"، يختصَّون بالإبل واليسير من المعز، لعوز الماء، ونأيه عنهم[8].

أمَّا "رهانة"، وهم قومٌ من البربر انتشروا في أطراف جبل "دمر" الذي يقع على ثلاث مراحل من جبل "نفوسة"، فقد ذكر الإدريسي(ت548هـ/ 1154م) أنَّهم اشتهروا بتربية الإبل دون غيرها، حيث كانوا يُنتجونها ويركبون أمضاها وأسرعها

---

(1) الشُّراةُ الخَوارجُ سَمَّوْا أنفسهم شُراةً لأنهم أرادوا أنهم باعُوا أنفسهم لله وقيل سُموا بذلك لقولهم إنَّا شَرَيْنا أنفسنا في طاعةِ الله أي بعناها بالجنة حين فارَقْنا الأئِمَّة الجائِرة. (ابن منظور: **لسان العرب**،مج.2، ص.309.)

(2) اليعقوبي : **المصدر السابق**، ص.12.

(3) **المصدر السابق**، ص.94-95.

(4) **نفس المصدر**، ص. 70-71.

(5) ابن حوقل: **نفس المصدر**، ص.77 ؛ البكري:**نفس المصدر**، ص.55 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.115.

(6) باغاية: مدينةٌ بإفريقيَّة أوليةٌ جليلةٌ بقرب مسكيانة، ذات أنهارٍ وثمارٍ ومزارع ومسارح، وهي على مقربةٍ من جبل أوراس.(الحميري: **المصدر السابق**، ص.76-77.)

(7) البكري: **المصدر السابق**، ص."144.145.

(8) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص. 99-100.

خطاءً، ويسيرون فرقاً إلى ما تباعد عنهم من قبائل العرب، فيُغيرون على إبلهم ويعودون بغنائمهم وليس أحدٌ من العرب المجاورين لهم إلا يتَشكَّى أذيَّتَهم، وقليلاً ما يُظفر بأحدٍ منهم لسرعة نجبهم[1]، ودلالتهم بتلك الأرض[2].

ويبدو أن الثيران كانت كثرةٍ في جبل" أوراس"، حيث استطاع أبو يزيد مخلد بن كيداد[3]، جمع خمسمائة ثورٍ، أمر أن يُشدَّ على قرن كل ثورٍ منها حزمةٌ من حلفاءٍ ليشعلها، فتهيج على معسكر العبيدين، وقد كان له النصر بذلك[4]، وكذلك اختصَّت بلاد "حاحه" بالثّيران الكبار الملاح[5].

ومن المناطق التي عُرفت بتربية الماشية بمختلف أنواعها، مدينة "طبنة" التي ذكر ابن حوقلٍ (ق.4هـ/10م)، أنَّها كانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنَّعم[6]، ومدينة بَرقة التي تميَّزت _حسب البكري_ بكثرة الماشية، لملائمة مراعيها حتى كانت أكثر ذبائح أهل مصر منها[7]، ويقول الحميري (ت727هـ/ 1327م)[8]: "إنَّ أغنامها عظيمة الخلق، كثيرة الشَّحم، لذيذة اللَّحم"[9].

---

(1) والنَّجيبُ، الفاضلُ من كلِّ حيوانٍ، والنَّجيبُ من الإبل القويُّ منها الخفيف السريع والجمع النُّجُبُ والنَّجائبُ، ونجائبِ الإبل وهي عِتاقُها التي يُسابَقُ عليها، والناقةُ نَجيبٌ ونجيبةٌ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، ج.3، ص.580.)

(2) **المصدر السابق**، مج.1، ص.299

(3) مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتى النكّارى، أبو يزيد: ثائرٌ، بربري من زعماء الإباضية وأئمتهم، ولد ونشأ في قسطيلة وكانت تابعة لتوزر، خرج على الفاطميين بعد موت المهدي بناحية جبل أوراس وتلقب بشيخ المؤمنين، فقاتلته القائم بأمر الله بن المهدي، ثمَّ ابنه المنصور، وكانت الحرب سجالاً، ثم انهزم مخلد وأمر المنصور بطلبه، فألفوه جريحا، فجاءوا به إليه، فمات من جراحه سنة (336هـ/947م). (أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الإباضي:**كتاب سر الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1333هـ/1979م، ص117 وما بعدها ؛ الزركلي: **المرجع السابق**، ج.7، ص.194.)

(4) أبو زكرياء الإباضي: **المصدر السابق**، ص117.

(5) ابن سعيد المغربي:**كتاب الجغرافيا**، تحقيق اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1970م، ص.125.

(6) **المصدر السابق**، ص.85.

(7) **المصدر السابق**، ص.05.

(8) الحِميري: **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص.2 وما بعدها.

(9) **المصدر السابق**، ص.91.

ويفيد كل من البكري والحميري، أنَّ مدينة "تبسا" كانت وافرة الماشية، وكان أهلها يدخلونها زمنَ الثَّلج والشِّتاء في أقباءٍ، يسع القبو الواحد، ألفي دابةٍ وأكثر[1]، كما كان لأهل "سفاقس" ماشيةٌ يدخلونها جزيرةً خصبةً مقابلةً لها تسمَّى "قرقنة"[2].

ويذكر ابن حوقل والإدريسي أنَّ بربر الجبال المنتشرة حول مدينة "جزائر بني مزغناي"، يكسبون الكثير من البقر والغنم، ممَّا أدى إلى وفرة السَّمن الذي يُحمل منها إلى القيروان وغيرها[3]، وكان أهل مدينة "برشك" التي تقع قرب اشرشال (شرشال) يملكون الماشية أيضاً، ولهم من الزَّرع الحنطة والشَّعير ما يزيد عن حاجاتهم[4].

وتكثر في المسيلة المواشي من الدَّواب والبقر[5]، وقد تحدَّث البكري (ق.5هـ/11م) عن كثرة لحومها ورخص أسعارها[6]، وشاهد ابن حوقل بقلعة كُرماطة، وهي سوقٌ وحصنٌ على إيناون، التي تقع على الطريق من فاس إلى المسيلة، من الزَّرع والضَّرع والسَّائمة الكثير العظيم[7]، وكانت "القلعة" كثيرة اللُّحوم، تصلح فيها السَّوائم والدَّواب لأنَّها بلاد زرعٍ وخصبٍ[8].

ويقول الإدريسي (ق.6هـ/ 12م) عن مدينة وهران إنَّ السَّمن والزَّبد والبقر والغنم بها رخيصةٌ بالثمن اليسير"[9]، وتميَّزت مدينة أرجكوك قرب وهران،

---

(1) البكري: **المصدر السابق**، ص. 145-146. الحِميري: **المصدر السابق**، ص.130.
(2) البكري: **المصدر السابق**، ص. 20.
(3) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.78 ؛ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص.248
(4) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.78.
(5) ابن حوقل: **نفس المصدر**، ص.85.
(6) **المصدر السابق**، ص. 59.
(7) **نفس المصدر**، ص.87-88.
(8) الإدريسي: **المصدر السابق**، ص. 261.
(9) **نفس المصدر**، مج1، ص. 254.

"بالخصب والسَّعة في الماشية والأموال السَّائمة، وكان أهلها يسقون سوائمهم من جزيرةٍ لها فيها مياهٌ ومواجنٌ"[1].

وتميَّزت مدينة تلمسان _حسب الإدريسي_ بخيراتها الشَّاملة ولحومها الشَّحيمة السّمينة[2]، وكان لأهل "سبيبة" التي تقع في الطريق من إفريقيَّة إلى تاهرت وفاس، ماشيةٌ كثيرةٌ[3].

وازدهرت تربية الأغنام بـ وجدة، حتى "وصل شحم شاةٍ من شياهها مائتي أوقيةٍ لملائمة مراعيها"[4]، أمَّا مدينة البصرة التي تقع فيما بين طنجة وفاس[5]، فقد اشتهرت بكثرة ألبانها، حتى عرفت ببصرة الألبان[6]، أو بقصر الدّبان[7].

وكانت المواشي تُربَّى في الصَّحراء أيضاً، حيث اشتغلت قبائل "صنهاجة" بتربيتها "...منذ دهورٍ قبل الفتح"[8]، وعليها كان اعتمادهم في معاشهم، فهم لم يعرفوا حرثاً ولا زرعاً ولا خبزاً، بل كان عيشهم من لحومها وألبانها، "ينفد عمر أحدهم وما رأى خبزاً ولا أكله"[9]، لكنَّهم اختصّوا بتربية الإبل أكثر من غيرها، كما اشتهروا بكثرة أعدادها، حيث أنَّ "ثيولوثان بن تيكلانَّ"، أوّل ملكٍ منهم بالصَّحراء (ت222هـ/837م)، كان يركب في مائة ألف نجيبٍ[10]، كما كان"تين ياروتان بن واسينوا بن نزار" صاحب أودغشت سنة 350هـ/961م، وهو رجلٌ من

---

(1) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.79.
(2) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج1، ص.258
(3)ابن حوقل: **المصدر السابق** ، ص.84.
(4) البكري:**المصدر السابق**، ص.88-89. ؛ الحميري **المصدر السابق**، ص.607.
(5) الحِميري: **المصدر السابق**، ص. 108.
(6) مجهول: **الاستبصار**، ص.189.
(7) الحِميري: **المصدر السابق**، ص. 108.
(8)ابن خلدون: **العبـر**، ج.6، ص.241.
(9)اليعقوبي:**المصدر السابق**، ص.17 ؛ البكري: **المصدر السابق**، ص.164 ؛ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.75-76؛ ابن خلدون: **العبـر**، ج.6 : ص.241.
(10) ابن أبي زرع : **المصدر السابق** ، ص. 121. ؛ ابن خلدون: **العبـر**، ج.6 : ص. 241.

صنهاجة، يعتدُّ في مائة ألف نجيبٍ[1]، وكان ملكهم المعاصر للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر(ت350هـ/961م)[2]، وابنه الحكم المنتصر في الأندلس، وللخليفة الشيعي عبيد الله المهدي(ت322هـ/934م) وابنه أبى القاسم القائم بأمر الله (ت334هـ/945م)، في بلاد المغرب، يسمى "تيزا بن وانشق بن بيزا" وقيل:"يرويان بن واستولى ابن يزار"، يركب في مائة ألف نجيبٍ أيضاً[3]، وكان يعتمدون في قتالهم على النُّجب أكثر من الخيل[4].

واصطحبت قبائل صنهاجة التي أسست دولة المرابطين عند خروجهم من الصَّحراء في منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، المواشي في تنقلهم إلى الشَّمال، وظلَّت مرافقةً لهم، وكانت كثرة إبلهم من أسباب قوَّتهم، حيث كانوا يركبون في ثلاثين ألف جملٍ مسرجٍ[5]، وقد خرجوا إلى "مسعود بن وانودين"[6]، صاحب سجلماسة ودرعة سنة 445هـ/1053م، في عددٍ ضخمٍ ركباناً على المهارى، وأخذوا إبله التي بلغ عددها خمسين ألفاً[7].

وقد صرّح أميرهم أبو بكر بن عمر(ت 480 هـ/1087م)[8]، بامتلاك المرابطين للماشية بعد تنقلهم إلى الشَّمال، حيث قال لقومه عندما اختاروا موضعاً لبناء مدينةٍ: "نحن من أهل الصَّحراء ومواشينا معنا، لا يصلح لنا السَّكنى على

---

(1) البكري:**المصدر السابق** ، ص.159 ؛ مجهول: **الاستبصار**، ص.201.
(2) الزركلي:**المرجع السابق**، ج.3، ص.324.
(3) ابن خلدون: **العبـر**، ج.6 : ص.242.
(4) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ج.4، ص.11.
(5) ابن الخطيب: **رقم الحلل في نظم الدول**، ص.51.
(6) مسعود بن وانودين كان رئيس فرع بني وانودين من مغراوة الزناتية.(ابن خلدون:**العبر**، مج.6، ص.243-244.)
(7) يقول حسين مؤنس أنَّ هذا هو أضخم قطيعٍ سمعنا في التاريخ.(عبد الواحد المراكشي:**وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى،1997م، ص.11.) ؛ مع أنَّ الكثير من ملوك صنهاجة كما سبق الإشارة إلى ذلك، كانوا يملكون أكثر من مائة ألفٍ نجيبٍ ؛ وكلمة مَهارَى ومَهاريٌّ ومَهارٍ جمع إبلٍ مَهْرِيَّة، وهي منسوبةٌ إلى مَهْرَةُ بن حَيْدان أبو قبيلة وهم حيّ عظيم.(ابن منظور:**المصدر السابق**، ج.3، ص.542.)
(8) أنظر الزركلي: **المرجع السابق**، ج.2، ص.68.

الوادي"[1]، وعندما أراد ابن عمِّه يوسف بن تاشفين، صرفه عن ملك المرابطين بعد عودته من الصَّحراء، قدَّم له هديةً ضمَّت أعداداً من الماشية، منها ألفُ بعيرٍ موقرةٌ[2]، ومائتين من البقر، وخمسمائة رأسٍ من الغنم[3]، الأمر الذي يدلُّ على وفرة الماشية عند المرابطين، بما أتوا به من الصحراء، أو بما غنموه في حروبهم.

وعندما عبر يوسف بن تاشفين إلى الأنَّدلس تحضيراً لمعركة الزَّلاقة، أمر بعبور الجمال، "...فعبر منها ما أغصَّ الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السَّماء، وكان يُحدق بها معسكره ويُحضرها الحرب فكانت خيل الفرنجة تُحجِم عنها"[4].

وعمَّ الرَّخاءُ بلادَ المغرب وساد الأمن معظم أنحائها في أيام الموحدين، وخاصةً في فترة حكم الأمير "أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي"(533-580هـ/1138- 1184م)[5]، الذي "...كثرت الأموال في أيَّامه وتمهدت الطُّرقات وضُبطت الثغور، وصلُح أمر النَّاس بالبادية والحاضرة[6]، فازدهرت تربية الماشية وتضاعفت أعدادها، حتى وصلت غنيمة الموحدين في قمعهم للفتنة التي قادها "سبع بن منغفاد"[7]، سنة (562هـ/ 1167م)، بجبال "غمارة" المتَّصلة بـ سبتة،

---

(1) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ج.4، ص. 19.

(2) ابن أبي زرع : **المصدر السابق** ، ص.136.

(3) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ج.4، ص.26.ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ص. 15.

(4) ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.7، ص.8. يقول ابن خلكان إنَّها كانت أوّل مرةٍ تدخل فيها الجمال إلى الأنَّدلس، وأنَّ أهل الأنَّدلس وخيلهم لم يروها من قبل.(**نفس المصدر**، ص.8) ؛ وهذا القول يتعارض مع ما ذكره كل من ابن أبي زرع وابن خلدون، عن "المنصور بن أبي عامر" (ت392هـ/ 1002م)، الذي أهداه "زيري بن عطية"، سنة(381هـ/991م)، خمسين جملاً من المهارى السوابق، وأحمالاً من ثياب الصّوف الرّفيعة كثيرةً فجدّد له عهده على المغرب ؛ (ابن أبي زرع:**المصدر السابق**، ص.103. ؛ **العبر**، مج.7، ص. 43.) وما ذكره ابن الخطيب أنَّ المنصور امتلك "...من الجمال المتصرِّفة في حمل الأثقال أربعة آلافٍ إلا مئةً بمسارح كورة "تُدمير".(لسان الدين بن الخطيب:**كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،1956م، ص.100.)

(5) الزركلي: **المرجع السابق**، ج.8، ص.241.

(6) ابن أبي زرع:**المصدر السابق**، ص.206.

(7) هكذا يسميه ابن خلدون.(**العبـر**، مج.6، ص.320) ؛ بينما يذكره ابن صاحب الصلاة ابن منخفاد.(**تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1383هـ/ 1964م، ص.321.)

اثنا عشر ألف رأسٍ من البقر، وسبعة وعشرين ألفاً وثلاث مائة من الغنم، حسب ما ورد في رسالةٍ بعث بها الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى:"الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بمدينة غرناطة"[1].

ب/ تربية الخيل والبغال والحمير:

تعتبر هذه الأصناف الثلاثة نوعاً واحداً، فهي من ذوات الحافر، وقد جمع الله _ تبارك وتعالى_ بينها فجعلها صنفاً واحداً[2]، وذلك في قوله: «"وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"»[3]، وتعتبر الخيل أهم هذه الأصناف.

1- تربية الخيل:

كان البربر يكسبون الخيل للرُّكوب والنِّتاج منذ القديم[4]، وقد اشتهروا بنوعٍ من الخيول ثقيلة المظهر، ولكنَّها سلسة القياد، وسبَّاقةٌ وصبورةٌ[5]، وهي الخيول التي خلَّدها الشّعراء القرطاجيون في قصائدهم، يقول الشاعر القرطاجي"نميزيان"("Némisien"): "اختر حصاناً أصله من أرض موريطانيا وليكن جواداً تربَّى في السُّهول الخالية وتعوّد الصّبر وعلى تحمُّل المشاق ..."[6]، وتسمَّى هذه الخيول اليوم خيول"**البارب**"، وهي من الخيول الصحراوية الشّرقية الخفيفة الوزن[7]، ويذكر الحسن الوزان أنَّها عرفت في إيطاليا باسم"بربري" [8].

---

(1) ابن صاحب الصلاة: **نفس المصدر**، ص.321.

(2) سحنون بن سعيد التنوخي:**المدوَّنة الكبرى:** مذيلة بكتاب **مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدوَّنة من الأحكام**، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، طبعة1406هـ/1986م، ج.1، ص263.

(3) سورة **النحل**: الآية 8.

(4) أنظر ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.116.

(5) أنظر شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ج.1، ص.207.

(6) **نفس المرجع**، ج.1، ص.207.

(7) ألوين هارتلي إدوارد :**الموسوعة الشاملة لأشهر سلالات الخيول**، ترجمة عثمان الشيخ عوض، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ت.ط، ص.26.

(8) **المصدر السابق**، ج.1، ص.262.

وتصنّف خيول "بارب" في المرتبة الثّانية بعد الخيول العربية وهي واحدةٌ من السلالات المُؤَسِّسَةِ للخيول في العالم، لكنَّها لا تشبه الخيول العربية مظهراً ولا مخبراً ولا شخصيةً، بل تتميز بوجهٍ طويلٍ محدودبٍ، وظهرٍ قصيرٍ وقويٍ، ومؤخرةٍ منحدرةٍ إلى الخلف، وذيلٍ يتدلّى إلى الأسفل، وهي من ناحية الشّكل أقلُّ جاذبيةً من الجواد العربي الأصيل[1]، لكنَّها معروفةٌ بصلابتها، وبسرعتها في المسافات القصيرة، ولها مقدرةٌ كبيرةٌ على الصَّبر والتحمل[2]، وقد لاحظ المسلمون الفاتحون ذلك منذ فترةٍ مبكرةٍ، حيث تفيد المصادر بأنَّ الخيل التي غنمها "عقبة بن نافعٍ الفهري" من مدينة باغاية، كانت قويةً، "لم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها"[3].

لكنَّ هذه الخيول لم تكن النَّوع الوحيد الذي انتشر في بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة، إذ وجدت إلى جانبها الخيول العربية الأصيلة التي دخلت إلى بلاد المغرب مع الفاتحين، وتزايدت أعدادها بعد دخول الهلاليين لأنَّهم كانوا يكسبون الكثير منها[4]، وقد كتب "اليازوري" (ت450 هـ/1058م) وزير الخليفة المستنصر الفاطمي صاحب مصر، إلى الأمير "المعز بن باديس الصنهاجي"(398-454هـ/ 1008-1062م)[5]، ليخبره بإرسال الهلاليين إلى بلاد المغرب فقال:"أمّا بعد فقد أنفذنا إليكم خيولاً فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"[6].

---

(1) ألوين هارتلي إدوارد:**المرجع السابق**، ص.30-31.
(2) ألوين هارتلي إدوارد:**نفس المرجع**، ص.30-31.
(3) ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.24 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.76-77.
(4) إبراهيم حركات: **النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط**، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، د.ت.ط، ص.35.
(5) الزركلي: **نفس المرجع**، ج.7، ص.270.
(6) ابن خلدون **العبـر**، مج.4، ص.62. **و** مج.6، ص.16-17.

وانفرد الحسن الوزان بذكر خيولٍ قصيرةٍ قال إنَّها تنتشر في الجبال، لا تُصَفَّحُ حوافرها وهي في غاية الخفَّة بحيث تقفز كالقطط من أعلى إلى أسفل[1].

وقد لاحظ عمروا بن العاص -رضي الله عنه- عندما افتتح بلاد طرابلس سنة 22هـ/ 643م، وفرة الخيل هناك، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يخبره بما أفاء الله عليه، "وأن ليس أمامه إلا بلاد إفريقيَّة وملوكها كثيرٌ وأهلها في عددٍ عظيمٍ وأكثر ركوبهم الخيل"[2]، ومَّما يدلُّ على كثرة الخيل عند الفتح ما ذكره صاحب معالم الإيمان، أنَّ الرُّوم خرجوا في سبيطلة للقاء "عبد الله بن سعد بن أبي سرح"، ومعهم من الخيل مالا يحصى[3]، وكان ملكهم "جرجير" حاكم سبيطلة يركب برذوناً أشهب[4].

ويذكر ابن عذاري أنَّ "عقبة بن نافع" حين خرج غازياً للروم والبربر _"وهم إذ ذاك مجوسٌ ونصارى"_ بمدينتي باغاية وقرطاجنة وما والاهما، "أخذ من سبيهم وخيلهم شيئاً كثيراً"[5]، وأنَّه غنم خيلاً لم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها"، وكانت "من نتاج خيل أوراس المطلِّ عليها"[6].

وقد اندهش العرب لقوّة وصلابة هذه الخيول، وراحوا ينقلونها إلى المشرق، حيث كانوا يتنافسون على امتلاكها، ومن أمثلة ذلك ما يرويه "ابن عذاري"، أنَّ الفاتح "حسّان بن النعمان" عندما عاد إلى المشرق، حمل معه أنواع الدَّواب والرقيق وسائر أنواع الأموال، فسلبه أمير مصر"عبد العزيز بن مروان" (ت85

---

(1) **المصدر السابق**، ج.1، ص.110.

(2) ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.8.

(3) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.34.

(4) ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.10-11 ؛ الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.37-38 ؛ والبِرْذَوْنُ من الخَيْلِ ما كان من غير نِتاج العِرابِ، والأُنثى برْذَوْنَةٌ وجَمْعُه بَراذينٌ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.190).

(5) **المصدر السابق**، مج.1، ص.24.

(6) ابن عذاري: **نفس المصدر**، مج.1، ص.24 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.76-77.

هـ/704 م)، جميع ما كان معه من الخيل[1]، وأثارت هذه الخيل اهتمام الخليفة سليمان بن عبد الملك، فسأل عنها موسى بن نصير بعد عودته إلى المشرق، وقال له: "أيُّ الخيل رأيتها في تلك البلاد أسبق؟ فأجابه موسى بقوله: الشُّقْر"[2].

واستمرَّ حمل الخيل إلى المشرق في فتراتٍ لاحقةٍ، حيث خرج الأمير"عبيدة بن عبد الرحمن" من إفريقيَّة سنة 115هـ/733م، "بالكثير من الخيل والدَّواب[3].

وقد ذكر عيون "محمد بن الأشعث"(ت149هـ/766م)، والي الخليفة العباسي المنصور على إفريقيَّة[4]، عندما عادوا إليه من عسكر إمام الإباضية"أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري" (ت144هـ/761م)، في جملة ما ذكروه أنَّ "خيلهم من نِتاجِهم"[5]، ويستنتج من رواية ابن خلدون عن الإباضية الذين حاصروا والي العباسيين على المغرب "عمر بن حفص"(ت154هـ/ 771م)[6]، وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفاً، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً[7]، أنَّ أعداد هذه الخيل كانت كبيرةً.

وكان "عبد الرحمن بن رستم" عند تأسيسه لمدينة "تاهرت"، يملك فرساً وحيدةً، يربطها في ناحيةٍ من داره[8]، ممَّا يوحي بأنَّ الخيل وسائر الدَّواب كانت قليلةً، وقد أشار أعيان تاهرت على "ابن رستم" حين استشارهم في أمر المال الذي

---

(1) ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج1، ص39.

(2) ابن عذاري: **نفس المصدر**، مج.2، ص.21 ؛ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، الطبعة التاسعة 1413هـ/1993م، ج.4، ص.499 ؛ الأشْقَرُ من الدواب الأحْمَرُ والعرب تقول:"أكرمُ الخيل وذوات الخير منها شُقْرُها".(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.339.)

(3) ابن عبد الحكم: **المصدر السابق**، ص.93 ؛ يجعل الزركلي تاريخ خروجه عبيدة بن عبد الرحمن من بلاد المغرب سنة 114هـ/732م ووفاته بعد هذا التاريخ.أنظر:**المرجع السابق**، ج.4، ص.199.

(4) أنظر الزركلي:**نفس المرجع**، ج.6، ص.39.

(5) أبو زكرياء: **المصدر السابق**، ص.44.

(6) أنظر: الزركلي: **المرجع السابق**، ج.5، ص.44.

(7) **العبر**، ج.6، ص.148.

(8) ابن الصغير : **المصدر السابق**، ص.29.

أحضره لهم إخوانهم المشارقة، من أهل البصرة، بأن يجعل ثلثه في الكراع[1]، أي الخيل[2]، ويصف "ابن الصغير المالكي" تبدُّل الأحوال بعد ذلك فيقول: "... فقَوِي الضعيف وانتعش الفقير، وحَسُنَتْ أحوالهم وخافهم جميع من اتَّصلَ به خبرهم وأمنوا ممن كانوا يخافون أن يغزوهم"[3]، وقد لاحظ المشارقة عند عودتهم إلى تاهرت للمرة الثانية، بعد ثلاث سنواتٍ من زيارتهم الأولى، هذا التَّبَدُّل الذي حصل، "وذلك أنَّهم نظروا إلى قصورٍ قد بُنِيَتْ وإلى بساتينٍ قد غُرِسَتْ وإلى أرحاءٍ قد نُصِبَتْ وإلى خيولٍ قد ركبت"[4].

وبعدما كان عبد الرحمن بن رستم يُبَيِّتُ فرسه في داره، صار ابنه الأمير عبد الوهاب يتَّخذ داراً للدَّواب "مليئةً بالأفراس"[5]، وصار يَعُدُّ في عسكره ألف فرسٍ أبلقٍ[6]، وقد حذِق أهل تاهرت بالفروسية، لدرجةٍ أبهرت ملك السودان عندما رأى محمد بن عرفة، رسولُ الأمير أفلح بن عبد الوهاب"، وخبرته بركوب الخيل[7]، كما كان لـ"يعقوب بن أفلح"، "... أخلاقٌ في لباسه وركوبه تخرج عن طبع البشر منها ركوبه فرسه من بين يديه"[8]، و تذكر المصادر أنَّه اتخذ فرساً أشقر عظيم الشأن، لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده[9].

واهتمَّ الفاطميون باقتناء الخيول، حيث امتلك الداعية "أبو عبد الله الشيعي" الكثير منها، وقد ذكر "أبو عبد الله الصنهاجي" أنَّه توجه إلى سجلماسة لإنقاذ "عبيد

---

(1) ابن الصغير: **المصدر السابق**، ص.30-31.
(2) الكُراعُ اسم يجمع الخيل، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.245).
(3) **المصدر السابق**، ص.30-31.
(4) **نفس المصدر**، ص.33.
(5) أبو زكرياء : **المصدر السابق**، ص.70 ؛ الأفراس جمع فَرَس وهو واحد الخيل، وهو يطلق على الذكر الأنثى.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.1071- 1072).
(6) ابن الصغير:**المصدر السابق**، ص.47.الأبلق مصدره البَلَقُ والبُلْقة، وهي سوادٌ وبياضٌ.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.1، ص.259).
(7) **نفس المصدر**، ص.77.
(8) ابن الصغير : **المصدر السابق**، ص.98.
(9) أبو زكرياء: **المصدر السابق**، ص.124 ؛ ابن الصغير : **المصدر السابق**، ص.98.

الله" وابنه، "بملء الأرض من الخيل والرِّجال"، وعندما استنقذ عبيد الله قاد له فرساً عتيقاً فركبه[1]، وكان الشيعي يَسِمُ[2] الخيل، فيكتب على أفخاذها "الملك لله"[3]، وهذه العادة معروفةٌ ببلاد المغرب، حسب ما جاء في بعض فتاوى المعيار، التي أشارت إلى أنَّ الخيول المحبَّسة في سبيل الله كانت تُوسَم، فيكتب عليها "**حبسٌ لله**"[4].

ويقول المالكي أنَّ "عبيد الله المهدي" حين غضب على أحد وزرائه، رماه في إسطبل الدَّواب تمشي عليه، فركضت في بطنه حتى مات[5]، ويستنتج من هذه الرواية أنَّه كان يملك إسطبلاتٍ للدَّواب، وقد جهَّزَ ابنَه أبا القاسم عندما أرسله لغزو مصر، بأعدادٍ كبيرةٍ من الخيل، قدِّرت بـ خمسمائة ألف فرسٍ[6]، فتصدَّى له مؤنس الخادم[7]، ووقع الوباء في عسكره، وكثر الموتان في خيله "فعاد العسكر إلى المغرب"[8].

وكان بعض رجال "عبيد الله المهدي" يعتقدون أن خيله مقدَّسةٌ، فَيُبَـيِّتونها في المساجد إذا خرجوا، ويروي ابن عذاري المراكشي، أنَّهم قالوا لمن أنكر عليهم ذلك : " إنَّ أرواثها وأبوالها طاهرةٌ لأنَّها خيل المهدي"[9].

---

(1) **المصدر السابق**، ص.21 .

(2) وسَمَه وَسْماً وسِمةً إذا أثَّر فيه بسِمةٍ وكيٍّ، فالوَسْمُ أثرُ الكَيّ والجمع وُسومٌ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.927.)

(3) أبو عبد الله محمد الصنهاجي: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1984م، ص.19 ؛ ابن عذاري:**المصدر السابق**، مج.1، ص.150 ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.4، ص47.

(4) الونشريسي: مج.7، ص.218. و ص.423.

(5) **المصدر السابق**، ج.2، ص.54.

(6) أبو عبد الله الصنهاجي: **المصدر السابق**، ص.24.

(7) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدى: (231-321هـ/846-933م)أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، كان من خدم المعتضد العباسي، فندبه لحرب العبيديين.(الزركلي:**المصدر السابق**، ج.7، .335.)

(8) ابن خلدون: **العبر**، ج.4، ص 405.

(9) **المصدر السابق**، مج.1، ص.284.

واستطاع أبو يزيدٍ النَّكاري عندما ثار على الفاطميين أن يجمع في جيشه ألفاً من الخيل البُلّق[1]، ولما حاصر مدينة سوسة شهوراً، كان لأتباعه ثمانون ألف حصانٍ[2]، وقد غنم عدوه الخليفة الفاطمي "إسماعيل المنصور"[3] من عسكره في إحدى المعارك، "من الخيل والجمال وصنوف الحيوان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الإستقصاء"[4].

وظلَّت الدولة الفاطمية تعتمد على خيول بلاد المغرب حتى بعد انتقال خلفائها إلى القاهرة، حيث أخرج "نصير الدولة" باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري(374-406هـ/984-1016م)[5]، هديةً إلى الخليفة "الحاكم بأمر الله" في مصر، في سنة 405هـ/1058م، كان فيها مائة فرسٍ[6].

و اختصَّ المرابطون بتربية الإبل دون غيرها كما سبق وذكرنا، لكنَّهم كانوا يكسبون الخيل وغيرها من الدَّواب[7]، ويستنتج من قول ابن عذاري:"إنَّ قتالهم كان على النُّجب أكثر من الخيل"[8]، أنَّ بعضهم كان يقاتل على الخيل.

وممَّا يدلُّ على امتلاكهم للخيول أنَّ هديِّة الأمير"يوسف بن تاشفين" لابن عمه أبي بكرٍ بن عمر، ضمَّت سبعين فرساً منها خمسةٌ وعشرون مجهزةً بفاخر الجهازات[9]، وفي معركة الزَّلاَّقة، نقل المرابطون إلى الأنَّدلس إضافةً لإبلهم،

---

(1) أبو زكرياء:**المصدر السابق**، ص.118.

(2) البكري: **المصدر السابق**، ص.35.

(3) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، المنصور بنصر الله:(302-341 هـ/914-953م) ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب، قام بالأمر بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة334هـ، وبويع سنة 336هـ، بعد أن فرغ من حرب أبي يزيد مخلد بن كيداد، فبنى مدينة قرب القيروان سماها المنصورية ونقل إليها حاشيته، وتوفي بها ودفن بالمهدية.(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.1، ص.322.)

(4) الصنهاجي: **المصدر السابق**، ص42.

(5) أنظر الزركلي:**المرجع السابق**، ج.2، ص.41.

(6) ابن عذاري: **المصدر السابق** ، مج1، ص.260.

(7) أنظر ابن خلكان: **المصدر السابق** ، مج.7، ص.128.

(8) **المصدر السابق** ، ج.4، ص.11.

(9) **نفس المصدر**، ج.4، ص.26 ؛ بابن الخطيب: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، الطبعة الأولى، د.ت.ط، ص.15.

خيولاً، حتى أنَّ "جزيرة الأنَّدلس امتلأت خيلاً ورجلاً من الفريقين" على حدِّ تعبير "ابن خلكان"[1]، كما يروي "البيدق" أن "ابن تومرت" أخذ من أحد حصون المرابطين أو "المُجَسِّمين"[2] _كما يسميهم _ مائةً وخمسين فرساً[3].

وكان الأمير الموحدي "أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن" يملك فرساً أغرَّ أشقر[4]، ركبه في مراكش احتفالاً بمقدم أخيه "السيد أبي حفص" من الأندلس، وخرج إليه بنفسه وهو راكبٌ على جواده العتيق[5]، وشارك في اللّعب بالخيل الذي أقيم لهذه المناسبة، "فأظهر من ركوبه وفروسيته أمراً عظيماً"[6].

وكان الخليفة المنصور الموحدي(554-595هـ/1160-1199م)[7]، يملك عدداً كبيراً من الخيول، بنى لها ثلاثة إسطبلاتٍ يسع كلُّ واحدٍ منها ثلاثة مائة فرسٍ، وعيّن رئيساً لهذه الإسطبلات، وأسكنه قصراً بالقرب من قصوره[8]، كما كان الأمير يوسف المنتصر بالله، "مولعاً بالبقر والخيل"[9]، ممَّا يؤكد أنَّه امتلك الكثير من الخيول.

وقد حظيت الخيل دون غيرها من الحيوانات بالكثير من التَّقدير في بلاد المغرب، لأنَّ القرآن الكريم حثَّ على تربية الخيول والعناية بها إرهاباً لأعداء الإسلام، في قوله تعالى: «"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ

---

(1) ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.7، ص.8.

(2) المجسِّمون من المجَسِّمَة، وهم الذين يصفون الله بأن له جسماً وجثةً وأعضاءً وغير ذلك.(الإمام الطحاوي: **تخريج العقيدة الطحاوية**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (1414هـ/1994م)، ص.45.) ؛ وهي من الألقاب المشينة التي أطلقها المهدي بن تومرت على المرابطين إمعاناً في تحقيرهم. أنظر عبد المجيد النجار:**المهدي بن تومرت حياته وآراءه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، ص.120-121.

(3) أبو بكر الصنهاجي البيدق:**كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تحقيق ونشر مع ترجمة له:ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، باريس، فرنسا، 1928م، ص.129.

(4) ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق** ، ص.431.

(5) **نفس المصدر**، ص.278.

(6) **نفس المصدر**، ص.191.

(7) الزركلي: **المرجع السابق**، ج.8، ص.203.

(8) الحسن الوزان : **المصدر السابق** ، ج.1، ص.132-133.

(9) ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.243.

تُرْهِبُونَ بِه عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"»[1]، وقال رسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم: «"الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"»[2]، ومن مظاهر إكرام الخيل في بلاد المغرب أنَّ الفقهاء كانوا يحضرون سباقاتها التي تُجرى من حينٍ لآخر، ويشجِّعون على حضورها، وكان الفقيه المالكي "أبو خالد عبد الخالق"[3]، يقول عنها :"محضرٌ صالحٌ بلغني أنَّ الملائكة تشهده"[4]، كما كانوا يَعُدُّون الحمل على الخيل بدعةً في الدِّين، ومخالفةً لقوله عزّ وجلّ: «"... لِتَرْكَبُوهَا وزِينَةً ... "»[5] ، ويعتبرون أكلها إتلافاً لها، إلاَّ أن يعارض ذلك دليلٌ قويٌ[6]، مثلما حدث في فتح صقلية سنة212 هـ/827 م، "أين أخذ النَّاس الجوع حتى أكلوا لحوم الخيل"[7].

مناطق تربية الخيول في بلاد المغرب:

تشير المصادر الجغرافية إلى بعض المناطق التي اشتهرت بتربية الخيول في بلاد المغرب، ومن بينها، جبل "أوراس"، الذي غنم المسلمون خيله عند الفتح وأعجبوا بصلابتها وقوَّتها[8]، وبادية مدينة "بونة" التي "قلَّ بها من تفوته الخيل السَّائمة للنِّتاج"[9]، ومن بينها أيضاً مدينة "تاهرت"، و"هي إحدى معادن الدَّواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية"[10]، وقد ذكر كلٌ من "الإدريسي"و"الحميري" أنَّ بها "من نتاج البراذين والخيل كلّ حسنٍ"[11].

---

(1) سورة **الأنفال**: الآية60.
(2) مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم: **صحيح مسلم**، ج.2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ت.ط.، ص.144.
(3) فقيهٌ مالكيٌ سكن بالقرن ثمَّ انتقل إلى مدينة القيروان، توفي بعد موت البهلول بن راشد (ت183هـ/799م)بسنوات كثيرةٍ.أنظر:أبو العرب التميمي:**المصدر السابق**، ص.66-67 ؛ الدباغ : **المصدر السابق**، ج.2، ص.227-228.
(4) الدباغ : **المصدر السابق**، ج1، ص.324.
(5) سورة **الأنفال**: الآية60.
(6) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.31.
(7) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.24.
(8) ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.24 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.76-77.
(9) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.77 ؛ النِّتاجُ اسم يَجْمع وضْعَ جميع البهائِم، وقيل النِّتاجُ في جميع الدَّوابِّ والولادُ في الغنم، والنتاج بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم.(ابن منظور: **المصدر السابق**، المج.3، ص.574).
(10) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.86.
(11) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج1، ص. 256 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.126.

وكان لأهل جبل "بني راشد"، بجبال "ونشريش"، "في الخيل نتاجٌ معروفٌ"[1]، وكذلك اشتهر قوم من البربر في جبال"فازاز" بين نهر "سلا" ونهر "سبو"، بنِتاج خيلهم[2]، التي كانت "... من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها، وهي مدورة القدود حسنة الخلق والأخلاق..."[3].

وكانت منطقة وادي "الاو" في أرض "غمارة"، معروفةً بالخيل "الحُمَيْدِيَة"، نسبةً إلى أصحابها من "بني نقفاوة" من "بني حُميد" وهم من "غمارة"[4].

نقل الخيول من بلاد المغرب إلى الأندلس:

كانت الخيول المغربية تُنقَل إلى الأنَّدلس، ومنها انحدر الجواد الأنَّدلسي الذي يُعرَف أيضاً بالجواد الإسباني[5]، حيث أهدى الأمير المغراوي الزناتي زيري بن عطيّة (ت391هـ/ 1000م)[6]، إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة 381هـ/991م في جملة هداياه الكثيرة، مائتي فرسٍ من عتاق الخيل فجدَّدَ له عهده على المغرب[7].

وحين تولّى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة لـ "هشام بن الحكم"[8]، عقد للمعزّ بن زيري بن عطية على فاس سنة 397هـ/1007م، وقبض على ابنه المسمّى "معنصر" رهينةً، واشترط عليه عِدّةً من الخيل والسّلاح يحملها إلى قرطبة كل سنةٍ[9]، واستمرَّ المعز في إرسال الخيول بعد موت "المظفر"، وتقديم أخيه عبد

---

(1) ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص.145.
(2) **نفس المصدر**، ص.173.
(3) الحميري: **المصدر السابق**، ص.435.
(4) البكري : **المصدر السابق** ، ص.108.
(5) ألوين هارتلي إدوارد :**المرجع السابق:** ص.26.
(6) أنظر الزركلي : **المرجع السابق**، ج.3، ص.63.
(7) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.103. ؛ ابن خلدون: **العبر**، مج.7، ص.43.
(8) أنظر الزركلي: **المرجع السابق**، ج.4، ص.163.
(9) ابن عذاري : **المصدر السابق**، مج.1، ص.253. ؛ ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.108.

الرحمن(ت400هـ/1010م)[1] لحجابة هشام المؤيد، إذ بعث إليه سنة 399هـ/1009م بهديةٍ فيها مائةٌ وخمسون فرساً، فردَّ إليه عبد الرحمن وَلَدَهُ "معنصر" مكرَّماً، فجمع المعز كلَّ فرسٍ كانت عنده وبعث بها إلى قرطبة وكان مبلغها تسع مائة فرسٍ وهي هديةٌ لم يصل من المغرب إلى الأنَّدلس أعظم منها"[2]، كما ضَمِن له إرسال عدَّةٍ من الخيل والدُّرق وجملةٌ من المال في كلِّ سنةٍ[3].

وتواصل إرسال الخيول إلى الأنَّدلس بعد معركة "الزَّلاقة"، "... فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكةً مملكةً، إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها ويوسف بن تاشفين في ذلك كلّه يمدُّهم في كلِّ ساعةٍ بالجيوش إثر الجيوش والخيل إثر الخيل"[4]، وكان يوسف بن تاشفين يكرِّر في كلِّ مجلسٍ من مجالسه تأكيده على مواصلة الجهاد فيقول:" إنَّما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم ... ولئن عشت لأُعيدنَّ جميع البلاد التي ملكها الرّوم في هذه الفتنة إلى المسلمين، ولأملأنَّها عليهم خيلاً ورجالاً لا عهد لهم بالدّعة، ولا علم عندهم برخاء العيش إنَّما همُّ أحدهم فرسٌ يرضه ويَسْتَفْرِهُهُ، أو سلاحٌ يَسْتَجِيدُه أو صريخٌ يُلَبِّي دعوته"[5].

2- تربية البغـال:

---

(1) أنظر الزركلي: **المصدر السابق**، ج.3، ص.325.

(2) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.116-117. قارن بابن عذاري : **المصدر السابق** ،مج.1، ص.252 إلى 254.

(3) ابن عذاري : **نفس المصدر**، مج.1، ص.254.

(4) عبد الواحد بن علي المراكشي:**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م، ص.114-115.

(5) المراكشي:**المصدر السابق:** ص.114-115.

عندما تحدَّث ابن حوقل عمَّا يُتَجهَّز به من المغرب إلى المشرق، ذكر "الخيل النَّفيسة من البراذين والبغال الفُرْه"[1]، وهذا يدلُّ على انتشار تربية البغال ببلاد المغرب، ووفرة أعدادها لدرجة تصديرها إلى المشرق، لكنَّ المعلومات عنها قليلةٌ جداً إذا ما قيست بتلك التي تتحدث عن الخيل، فالمصادر لا تذكر عنها إلاَّ بعض الإشارات، منها وصف ابن حوقل لمدينة تاهرت بأنَّها "إحدى معادن الدَّواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ..."[2]، وقد ذكر نفس المؤلف قوماً من البربر البرانس، يقيمون بين السوس وأغمات وفاس، كانوا" أصحاب خيلٍ وبغالٍ ونتاجٍ، يقتنون الرَّمك ويستنتجون البغال وغيرها"[3]، وذكر "الإدريسي" أنَّ البربر الذين يسكنون جبل "واسلات" بين تونس والقيروان، "...لهم مواش وأبقار وأغنام وبغال ورماك ..."[4]، وذكر الحسن الوزان أنَّ سكان مدينة وجدة كانوا ينتجون بغالاً جميلةً غاليةً[5]، كما ذكر نوعاً من البغال، متناهيةً في القصر لأنَّها نتجت عن خيولٍ قصيرةٍ جداً، وهي تعيش في الجبال[6]، ونوعاً آخر من البغال حجمها حجم الحمير[7].

ويُعدُّ ركوب البغال أقلَّ درجةً من ركوب الخيل، حيث جاء في "المدوَّنة" أن صاحب الحمار والبغل، يُعدّ في تقسيم الغنائم راجلاً، ولا يُقْسَم له مثل الفارس الذي يأخذ من الغنيمة ثلاثة أسْهُمٍ، منها سَهْمَانِ لِفَرسِه[8]، ويقول الشاعر:

---

(1) **المصدر السابق**، ص.94-95 ؛ فَرُهَ الشيءُ بالضم يَفْرُهُ فَرَاهَةً وفَراهِيَةً فهو فارِهٌ، أي نادرٌ، وهو لفظ يقال للبرْذَوْن والحمار إذا كانا سيورين ولا يقال للفرس ؛ والدابَّةُ الفارِهَة، النَشيطة الحادَّة القَويَّة.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.1090).

(2) **نفس المصدر**، ص.86.

(3) **نفس المصدر**، ص.99-100؛ الرَّمَك، جمع رمَكةٍ وهي الفرس والبرْذَوْنة التي تتخذ للنسل. (ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.1227.)

(4) الإدريسي: **المصدر السابق** ، مج1، ص.294.

(5) **المصدر السابق**، ج.2، ص.13.

(6) **نفس المصدر**، ج.1، ص.175.

(7) **نفس المصدر**، ج.1، ص.186.

(8) سحنون بن سعيد التنوخي:**المصدر السابق**، ج.1، ص391-392.

وإنِّي امرؤٌ للخَيل عندي مَزيَّة على فارِس البِرْذَوْنِ أو فارس البَغْل"[1]

وقد لا يَعدُّ بعضهم راكب البغل أو الحمار أو غيره فارساً أصلاً، إذ يقول "عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير"[2] : "لا أقول لصاحب البغل فارسٌ ولكنِّي أقول بغَّالٌ، ولا أقول لصاحب الحمار فارسٌ ولكنِّي أقول حَمّارٌ[3]، ولكنَّ هذا لم يمنع بعض الأشراف من ركوبها حتى لقب بعضهم بـ"روَّاض البغال"، و"عاشق البغل"[4]، وكان الأمير الأموي مَسْلمة بن عبد الملك (ت120هـ/738م)[5] يقول : "ما ركب الناس مثل بغلةٍ قصيرة العذار، طويلة العنان"[6]، وقال بعضهم عن الحمير لمن عاب عليه ركوبها : "إنَّـها نزلت عن خُيلاء الخيل، وارتفعت عن ذِلّة العَيْر، وخير الأمور أوساطها[7]".

وقد ذكرت المصادر أنَّ بعض الأمراء والأشراف في بلاد المغرب كانوا يركبون البغال، مثل "أبي العباس" أخ الأمير الرستمي "أفلح بن عبد الوهاب"، الذي "كان يركب بغلةً شهباء هملاجةً"[8]، وكان إلياس أبو منصور عامل يوسف بن محمد بن أفلح[9] على جبل نفوسة، "إذا خرج في عسكرٍ يركب بغلةً، فلا يتقي نبلاً عن نفسه ولا عن بغلته، ولا يقع فيه ولا في بغلته واحدةٌ"[10]، وأهدى "يوسف

---

(1) ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.1072.

(2) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي(182-239هـ/798-853م): شاعر مقدم، فصيح من أهل اليمامة، وهو من أحفاد جرير الشاعر، كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته، وبقي إلى أيام الواثق، وعمي قبل موته، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه.(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.5، ص.37.)

(3) ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.1072.

(4) أبو عثمان عمروا بن بحر الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، طبعة 1384هـ/1964م، ج.2، ص.216.

(5) أنظر الزركلي : **المرجع السابق**، ج.7، ص.224.

(6) الجاحظ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.217.

(7) **نفس المصدر**، ص.218 ؛ العَيْر، الحمار أيّاً كان أهليّاً أو وَحْشِيّاً.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.939.)

(8) ابن الصغير : **المصدر السابق** ، ص.51.

(9) يوسف بن محمد بن أفلح، من آل رستم، سادس الأئمة الإباضيين في الدولة الرستمية بتاهرت بويع بعد وفاة أبيه سنة(281هـ/894م) وكان يتقلد المهام في حياته (ت294 هـ/906م).(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.8، ص.247).

(10) أبو زكرياء الإباضي: **المصدر السابق**، ص.99.

بن تاشفين" لابن عمِّه "أبي بكرٍ بن عمر"، خمسين من البغال[1]، وقد كان "المنصور الموحدي" يتَّخذ بغلاتٍ للركوب، بنى لها إسطبلا خاصاً بها بجانب إسطبل آخر كان يضم مائة بغلٍ[2].

3- تربية الحمير:

كان الخاصَّة في بلاد المغرب يأنفون من ركوب الحمير، حسب ما يتبيَّن من قصَّة ابن سعيدٍ المغربي[3]، التي ذكرها "المقرِّي" في نفح الطّيب، حيث يقول ابن سعيد: "لما استقررت بالقاهرة تشوَّفت إلى معاينة الفسطاط، فسار معي إليها أحد أصحاب القرية، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدّة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملةً عظيمةً، لا عهد لي بمثلها في بلدٍ، فركب منها حماراً، وأشار إليّ أن أركب حماراً آخر، فأنِفت من ذلك جرياً على عادة ما خلفته من بلاد المغرب، فأخبرني أنَّه غير معيبٍ على أعيان مصر، وعاينت الفقهاء وأصحاب البزَّة والشَّارة الظَّاهرة يركبونها، فركبت"[4].

لكنَّ كتب الطبقات تشير إلى أنَّ بعض الفقهاء كانوا يملكون حميراً يركبونها تواضعاً منهم، فكان كل من "أبي زكرياء الهرفلي" و"سعدون الصّواف"، يملك حماراً[5]، وكان يزيد بن طفيل التجيبي الذي ولاَّه "يزيد بن حاتم" قضاء إفريقيَّة،

---

(1) ابن عذاري: **المصدر السابق** ، ج.4، ص.26 ؛ ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ص.15.

(2) الحسن الوزان : **المصدر السابق** ، ج.1، ص.132-133.

(3) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، العنسي المدلجي، أبو الحسن نور الدين (610-685هـ/1214-1286م):مؤرخٌ أندلسيٌ، من الشُّعراء، العلماء بالأدب، ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة، ونشأ بها، وقام برحلةٍ طويلةٍ زار فيها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس وقيل في دمشق، وأخباره كثيرةٌ وشعره رقيقٌ جزل.(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.5، ص.26.)

(4)لم يكن ركوب ابن سعيد للحمار موفقاً، وانتهى بالسقوط، وقد سجل ذلك في أبياتٍ شعريةٍ طريفةٍ يقول فيها:

لقيت بمصرَ أشدَّ البوار ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكارٍ يفوق الرياح لا يعرف الرِّفق مهما استطار
أناديه مهلاً فلا يرعوي إلى أن سجدت سجود العثار=
=وقد مدّ فوقي رواق الثرى وألحد فيه ضياء النّهار.(**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، طبعة 1997، ج.3، ص.99-100).

(5) أبو العرب: **المصدر السابق**، ص.73 ؛ المالكي : **المصدر السابق**، ج.1، ص.416.

يملك حماراً يركبه في روحته وغدوته إلى المسجد، وكان إذا وصل المسجد خلّى الحمار، فيعود إلى المنزل، وإذا حان وقت عودته يُسَرِّحون له الحمار فيركبه وينقلب إلى أهله[1].

وقد ارتبط ركوب الحمير ببلاد المغرب في كثيرٍ من الأحيان بإظهار الزُّهد في الدنيا، فحين أراد "أبو يزيد" أن يظهر زهده وتقشُّفه، لبس الصُّوف وركب حماراً أشهب، وبه لُقّب بـ"صاحب الحمار"[2]، وكان هذا الحمار سريعاً جداً، "إذا مشى عدت الخيل معه وإذا عدا سبق الخيل"[3]، وقد اختلف المؤرخون حول مصدر هذا الحمار، فذهب كلٌ من ابن خلدون وابن الأثير، إلى أنَّ رجلاً من أهل مرمجانة أهداه إليه[4]، بينما يقول ابن أبي دينار، أنَّه أهدي إليه في مجانة[5]، ويقول أبو زكرياء الإباضي بأنَّه جاء بحماره من مصرَ[6]، لكنَّ أبا يزيدٍ سرعان ما انتقل عن ذلك وركب عتاق الخيل، ولما عوتب على لبس الحرير بعد الصُّوف وركوب الخيل بعد الحمير، ردَّ بقوله تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِه عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"[7].

---

(1) أبو العرب: **المصدر السابق**، ص.26 ؛ المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.173.

(2) ابن الأثير: **المصدر السابق** ، مج7، ص.189 ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.4، ص.52 ؛ أبو زكرياء: **المصدر السابق** ، ص.118 ؛ ابن أبي دينار: **المصدر السابق** ، ص.73.

(3) أبو زكرياء: **المصدر السابق** ، ص.118.

(4) ابن الأثير: **المصدر السابق** ، مج7، ص.189 ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.4، ص.52. ومرمجنة: مدينة بإفريقية قريب من الأربس، وبينها وبين مجانة مرحلتان، وكانت مدينة كبيرة قديمة أولية وفيها آثار للأول.(الحميري: **المصدر السابق**، ص.540.)

(5) **المصدر السابق**، ص.73 ؛ مجانة مدينة قديمة، بإفريقية بينها وبين مرماجنة مرحلةٌ كبيرةٌ، وبينها وبين قسنطينة ثلاث مراحل.(الحميري: **المصدر السابق**، ص.525.)

(6) **المصدر السابق** ، ص.118.

(7) أبو عبد الله الصنهاجي: **المصدر السابق**، ص.26-27 ؛ سورة الأنفال: الآيـة60.

وامتلك "المهدي بن تومرت" في بداية دعوته، حماراً فارهاً، أهدي إليه في طريق عودته من المشرق، وكان يؤثر به "عبد المؤمن بن علي" ويقول لأصحابه: "أركِبوه الحمارَ يُركِبُكم الخيول المُسَوَّمة"[1].

ولكنَّ التَّواضع لم يكن السَّبب الوحيد الذي يُرَغِّب في ركوب الحمير، فقد كان بعضهم يركبها لضعفه أوكبر سنِّه، ويتخذها " ... للدَّبيب والمرْفق"[2]، مثلما هو الحال مع "سعدون بن أحمد الخولاني" (ت324هـ/936م)، الذي قال لعبيد الله الشيعي حين أهداه دابةً ليركبها : "أمَّا الدّابة فأنا شيخٌ كبيرٌ لا أستطيع ركوبها وإنما أركب ما ينبغي من الحمير"[3].

والحمير لم تكن تُربَّى لغرض الرّكوب فقط، بل كانت تُستَعمل أيضاً في الحمل والنقل وغيرها، في فترتي الحرب والسلم، ويروي البيدق أنَّ الموحدين أخذوا من أحد حصون المرابطين خمسمائة حمارٍ[4]، يبدو أنَّهم كانوا يستخدمونها في بعض أعمالهم، كما غنم الموحدون من نصارى الأندلس في معركة "الأرك" سنة (591هـ/1195م)، أربعمائة ألف حمارٍ، جاء بها النّصارى لحمل أثقالهم لأنّهم لا إبل لهم[5]، ولا شكَّ في أنَّ الكثير منها نقلت إلى بلاد المغرب.

ومن أنواع الحمير التي انتشرت ببلاد المغرب، الحمير المصرية، حيث ذكر المقدسي(ق.4هـ/10م)، في حديثه عن مدينة "صبرة" أنَّ تُجَّارها يغدون ويروحون على حُمرٍ مصريةٍ [6]، ويذكر الحسن الوزان حميراً يصفها بأنَّها جميلةٌ وكبيرة القامة، كان سكان مدينة وجدة يربُّون عدداً منها[7].

---

(1) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.167.
(2) أنظر الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، ج.2، ص.217.
(3) المالكي: **المصدر السابق**،ج.2، ص.259.
(4) البيدق : **المصدر السابق**، ص.129.
(5) المقرّي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.423.
(6) **المصدر السابق**، ص.226.
(7) **المصدر السابق**، ج.2، ص.13.

ج/ تربية الحيوانات الأخرى:

1- تربية النَّحل:

يستطيع المتأملّ لكتب الفقه والنوازل أن يستنتج انتشار تربية النَّحل في بلاد المغرب، فقد ذُكِر في المدوَّنة أنَّ النَّحل كانت تهرب من أصحابها وتلتحق بالجبال، فيأخذها من يجدها ليربيها، كما أنَّها كانت تَخْرُجُ مِنْ جَبْحِ[1] هَذَا إلَى جَبْحِ هَذَا، وقد أفتى الإمام مالك بردِّها إلى أصحابها، وفي حالة عدم الاستطاعة "... فَهِيَ لِمَنْ ثَبَتَتْ فِي أَجْبَاحِهِ"[2]، وأفتى الإمام أبو عبد الله المازري[3]، في المعيار، بأنَّه إذا لم يقدر على تمييزه كانوا فيه شركاء[4]، وربما تنـزل النَّحل في سقوف المنازل، مثل تلك التي ذكر الونشريسي أنَّها نزلت في سقف مسجدٍ، فأفتى الفقهاء أن يصرف عسلها في مصالح المسجد من إمامٍ وغيره[5].

ويتبيَّن من بعض النَّوازل أنَّ بعض النَّاس امتلكوا أعدادً من الجِباح وصلت في بعض الأحيان إلى الخمسين جَبحاً للرَّجل الواحد[6]، وأنَّ بعضهم اشترك في تربية النَّحل بحيث يكون عدد أجباح الشركاء متساوياً[7]، لكنهم وقعوا في بعض المشاكل، مثل مشكلة قسمة الشّهد تحرياً دون عصره[8]، بينما كان البعض يعطي الأجباح

---

(1) الجَبَحُ والجُبْحُ والجِبْحُ حيث تُعَسِّلُ النحلُ إذا كان غير مصنوع، والجمع أجْبُحٌ وجُبُوحٌ وجِباحٌ، وأجْباحٌ كثيرةٌ، وقيل هي مواضع النحل في الجبل وفيها تُعَسِّلُ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.39).

(2) سحنون بن سعيد : **المصدر السابق**، ج.3، ص.386.

(3) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله: (453-536 هـ/1061-1141 م)، محدث من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) (Mazzara) بجزيرة صقلية، ووفاته بالمهدية.(الزركلي:**المرجع السابق**، ج.6، ص277.)

(4) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج5، ص.85-86.

(5) **نفس المصدر**، ج.7، ص.165.

(6) **نفس المصدر** ، ج8.، ص.194.

(7) **نفسه.**

(8) **نفسه** ؛ أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي المازوني: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق مختار حساني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مخبر المخطوطات، بوزريعة، الجزائر، الطبعة الأولى2004م، مج.3، ص110.

لمن يخدمها مقابل جزءٍ من غلّتها، وقد أفتى الفقهاء بمنع ذلك، لأنَّه عملٌ في إجارةٍ بأجرةٍ مجهولة الأصل والقدر[1].

ويقول ابن خلدون أنَّ القائمين على تربية الحيوانات بما فيها النَّحل، "... تدعوهم الضرورة ولا بدَّ إلى **البدو** لأنَّه مُتَّسعٌ لما لا يتَّسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك"[2]، ممَّا يدعو إلى الاستنتاج أنَّ تربية النَّحل كانت تتم في البادية[3].

وترجع أهمية تربية النَّحل إلى أهمية العسل، فهو من الأطعمة الأساسية، ويدخل في صناعة كلِّ المعجونات والأنَّبجات[4]، زيادةً على أنَّه دواءٌ حثَّ القرآن الكريم على الاستشفاء به، في قوله سبحانه وتعالى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحل أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلوانه فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[5]، كما حثَّت السنَّة النَّبوية الشَّريفة على الإستشفاء به، بقول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «"إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ عَسَلٍ أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ"»[6]، لهذا كان الطبيب ابن الجزار القيرواني يصف العسل للكثير من الحالات، مثل المرضعة

---

[1] الونشريسي: **المصدر نفسه**، ج8.، ص.192.

[2] **المقدمة**، ص.114.

[3] يستعمل ابن خلدون لفظة "البدو" للدلالة على أكثر من معنى، لكنه هنا يستعملها بمعنى "سكنى البادية والعيش فيها"، بينما يطلق لفظ البادية على الصحراء وما يجاورها مباشرة من الأرض المزروعة بالمطر. (أنظر محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية والدولة = = معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة السادسة 1994م، ص.286 ؛ محمد أحمد ترحيني: **المؤرخون والتاريخ عند العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.ط، ص.121-122.)

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: **الحيوان**، تحقيق يحيى الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1990م، مج.2، ص306. ؛ الأنْبجاتُ بكسر الباء للمُرَبَّاتُ من الأدْوية، أو هي التي تُربَّبُ بالعسل من الأثْرُجّ والإهْلِيلج.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.3.، ص.564.)

[5] سورة **النحل**، الآية(68-69).

[6] محمد ناصر الدين الألباني : **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، د.ت.ط، ج.1، ص.490.

القليلة اللَّبن، التي اقترح لها أطعمةً معينةً من بينها أن تتحسَّى ماء الشَّعير مع العسل[1]، والصبيان الذين لم يسبق لهم تناول الطعام، والذين رأى أن يُقرَّب إليهم في إبَّان أكلهم أول شيءٍ العسل، لأنَّه يَشَهيهم الطعام بحلاوته"[2].

وتشير المصادر إلى وفرة العسل ببلاد المغرب، فيروي الدَّباغ أنَّ الفاتحين المسلمين وجدوا الكثير منه بإفريقيَّة[3]، ويذكر الإدريسي(ق.6هـ/12م) أنَّ بجبال "أوثان" في آخر عمالة "طلميثة" عسلاً عجيباً، كما يذكر قوماً من لخمٍ في آخر عمل هيب بعد البندرية على نحو عشرة أميالٍ، يسكنون قصراً كبيراً يسمَّى بهم، كانوا عسَّالةً يتّخذون النَّحل ويشتارون عسلها[4].

وفي حديث المقدسي(ق.4هـ/10م) عن أطرابلس يذكر أنَّها "...كثيرة الفواكه والألبان والعسل"، كما ذكر في حديثه عن بَرقة، "أنَّها كثيرة الفواكه والخيرات والأعسال"[5]، وكان العسل يُحمل منها إلى مصر[6]، في حين كانت مدينة "جلولا" مضرب المثل بطيب عسلها، لكثرة ياسمينها وجَرَس نحلها له[7].

ويذكر ابن حوقل (ق.4هـ/10م)، أنَّ العسل كان من غلاّت مدينة تونس[8]، كما يروي أنَّ صيادي المرجان بـ"مرسى الخرز"، كانوا "يَنْتَبِذون نبيذ العسل فيشربونه

---

(1) ابن الجزار القيرواني: **سياسة الصبيان وتدريبهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر مطبعة المنار، تونس، طبعة1968م ص81-82.

(2) ابن الجزار: **نفس المصدر**، ص.67.

(3) **المصدر السابق**، ج.1، ص.213 ؛ أنظر ما قبل ص.57 ؛ اشتار العسل وشارَه وأشاره استخرجه واحتَناه وأخذه من موضعه.(ابن منظور:**المصدر السابق**، ج.2. ص.376-380.)

(4) ا **المصدر السابق**، مج.1، 319..

(5) **المصدر السابق**، ص.224.

(6) البكري:**المصدر السابق**، ص.5 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.91.

(7) البكري: **المصدر السابق**، ص.32. الجَرْسُ الأكل، وجَرَسَتِ النحلُ تَجْرُسُ إذا أكلت ومنه قيل للنحل جَوارسُ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.440.)

(8) **المصدر السابق**، ص.75.

من يومه ويسكرهم الإسكار العظيم ويعمل من الصداع ما لا يعمله نبيذ الدُّرة وغيره من الأشربة"[1].

ويفيد البكري(ق.5هـ/11م) أنَّ مدينة بونة كانت كثيرة العسل[2]، مثلها مثل مدينة "قسنطينة" التي يُتَجَهَّزُ بعسلها وسمنها إلى سائر البلاد[3]، ويذكر الإدريسي أنَّ بجيجل من الألبان والسَّمن والعسل والزُّروع الكثير[4].

ويتفق كلٌ من ابن حوقل والبكري والحميري(ت727هـ/ 1327م) أنَّ مدينة "اشرشال" كثيرة العسل[5]، وأنَّ أهل "جزائر بني مزغنا" كذلك كانوا يتخذون النَّحل كثيراً، ولهم من العسل ما يُجهّز عنهم إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم[6].

وتتحدَّث المصادر عن كثرة العسل والسَّمن وضروب الغلاَّت في تاهرت[7]، ويذكر الإدريسي والحميري، أنَّ مدينة مازونة كثيرة العسل[8]، ويقول الحميري إنَّ العسل في وهران كثيرٌ جداً[9].

وكانت مدينة "بني تاودا" التي بناها أميرٌ من المرابطين على مقربةٍ من جبل غمارة، غزيرة العسل[10]، واختصت بلاد "حاحه" بالعسل الأبيض[11]، وقد لاحظ الحسن الوزان في فترة لاحقةٍ أنَّها "تنتج كميةً كبيرةً من العسل الذي يعتبر الغذاء

---

(1) ابن حوقل:**نفس المصدر**، ص.77.
(2) البكري: **المصدر السابق**، ص.55 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.115.
(3) الحميري: **نفس المصدر**، ص.480.
(4) **المصدر السابق**، مج1، ص.255.
(5) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.78 ؛ الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص258. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.340.
(6) ابن حوقل: **نفس المصدر** ، ص.78.الإدريسي: **نفس المصدر** ، مج.1، ص258. ؛ الحميري: **نفس المصدر** ، ص.163.
(7) ابن حوقل: **نفس المصدر** ، ص86 ، الإدريسي:**المصدر السابق**، مج1، ص.256. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.126.
(8) الإدريسي: **نفس المصدر** ، مج1، ص.272. ؛ الحميري: **نفس المصدر** ، ص.521-522.
(9) **المصدر نفسه**، ص.613.
(10) الإدريسي:**المصدر السابق**، مج1، ص.248-249.
(11) ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص.125.

العادي لسكان هذه البلاد[1]، وأنَّ مدينة "مْلِيلة" التي ينتج إقليمها كميةً هامةً من العسل، اشتُقَّ اسمها من العسل الذي يسمى "مليلة" في لغة الأفارقة[2]، كما لاحظ البكري قبله أنَّ عسل السُّوس الذي يشبه لونه لون الرَّماد، فاق عسل الأمصار، وكان يُستَخدَم في صناعة النَّبيذ[3].

وسجلَّ الإدريسي وجود العسل في بلاد صنهاجة، حيث كان يدخل في إعداد وجبتهم الشَّهيرة المسمَّاة بالبربرية "آسلوا"، والتي وصف لنا كيفية إعدادها فقال:"إنَّهم يأخذون الحنطة فيقلونها قلياً معتدلاً ثم يدقونها حتى تعود جريشاً[4]، ثم يمزجون العسل بمثله سمناً ويعجنون به تلك الحنطة على النار ويضعونه في مزاود فيأتي طعاماً شهياً وذلك أن الإنسان منهم إذا أخذ من هذا الطعام ملء كفه وأكله وشرب عليه اللَّبن ثم مشى بقية يومه ذلك لم يشته طعاماً إلى الليل"[5].

2- تربية دودة القز:

يبدو أن تربية دودة الحرير لم تكن بالكثرة التي كانت بها تربية النَّحل، فالمصادر لا تتحدَّث عنها بإسهابٍ كبيرٍ، مع أنَّ ابن حوقل ذكر الحرير في جملة ما يُتَجَهَّز به من المغرب إلى المشرق[6]، ومن المدن التي ذكرت المصادر أنَّها اختصت بتربيتها، مدينة "قابس"، التي تحدَّث ابن حوقل (ق.4هـ/10م) عن كثرة حريرها[7]، وقال البكري (ق.5هـ/11م) إنَّها: "... اشتهرت بطيب حريرها ورِقَّتِهِ، وبكثرة أشجار التُّوت، فيقوم من الشَّجرة الواحدة بها من الحرير، ما لا يقوم من

---

(1) **المصدر السابق**، ج.1، ص.96.

(2) عقَّب محقق كتاب "وصف إفرقيا" على هذا الرأي فيقول: إنَّ العسل بالبربرية يسمَّى "تامنت"، وأنَّ إسم مدينة"مليلة" تعريب لكلمة "تامليلت" بمعنى موقع مدرج وكذلك كانت مليلة على منحدرٍ صخريٍ.(الحسن الوزان: **المصدر السابق** ،ج.1، ص.341، هامش148.)

(3) البكري: المصدر السابق، ص162 ؛ الحميري: المصدر السابق، ص.330.

(4) الجَريش دَقيقٌ فيه غِلَظٌ يَصلُح لِلخَبيص المُرَمَّل.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.441.)

(5) **المصدر السابق**، مج1، ص224.

(6) **المصدر السابق**، ص.95.

(7) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.72.

خمس شجراتٍ بغيرها، وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس في عمل إفريقيَّة حرير إلاّ في قابس"[1]، ويوافقه في هذا القول كلٌ من صاحب الاستبصار(ق.6هـ/12م) والحميري(ت727هـ/ 1327م)[2]، ولكنَّ الإدريسي(ق.6هـ/12م) عندما يتحدَّث عنها لا يذكر وجود صناعة الحرير بل يقول: "وكان بها فيما سلف طرُزٌ يعمل بها الحرير الحسن، وبها الآن مدابغٌ للجلود، ويتجهز بها منها"[3].

ويذكر الحسن الوزان أن الأنَّدلسيين الذين فرُّوا من غرناطة بعد سقوطها، اشتغلوا في مدينة "شرشال" التي كانت خاليةً من السُّكان بصناعة الحرير، وقد وجدوا هنالك كميةً لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود[4]، كما يذكر نفس المؤلف أنَّ الغرناطيين غرسوا حول مدينة "خميس مطغرة" منذ قدومهم، الكثير من أشجار التوت الأبيض لأنَّهم من كبار تجار الحرير[5].

ووردت نوازل كثيرة في المعيار تعرضت لتعليف دودة الحرير ورق التّوت، وللشّراكة في علوفتها[6]، كما تحدثت عن السَّلم في دود الحرير، وكيفية قسمته[7]، وعن استئجار من يخدم الدّود[8]، والرَّاجح أنَّ أغلب هذه النوازل، وقعت في الأندلس، التي اشتهرت مدنها بتربية دود الحرير وإنتاجه، مثل مدينة "جيَّان" التي سميت "جيَّان الحرير" لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير[9].

3- تربية الدَّجـاج:

---

(1) البكري: **المصدر السابق**، ص.117.
(2) مجهول:**الاستبصار**، ص.113. الحميري: **المصدر السابق**، ص.450.
(3) **المصدر السابق**، مج.1، ص.279.
(4) **المصدر السابق** ،ج.2، ص.34.
(5) **نفس المصدر** ، ج.1، ص.217.
(6) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.5، ص.36-37.
(7) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج.6، ص.97.
(8) الونشريسي: **المصدر نفسه**، ج.5، ص.59-60.
(9) الحميري: **المصدر السابق**، ص.183 المقري : **المصدر السابق**، ج.4، ص.191.

عرفت بلاد المغرب كغيرها من البلاد، تربية الدَّجاج للإستفادة من لحمه وبيضه، وقد ذكر ابن خلدون أنَّ عامَّة مآكل أهل الضواحي من المغرب، لحوم الضَّأن والدَّجاج[1]، وكانت تربية الدجاج تتمُّ في المنازل _ بما فيها منازل الفقهاء_ حسب ما يُفهَم من رواية صاحب "رياض النُّفوس" التي يذكر فيها أنَّ الدَّجاجة كانت إذا باضت في دار الفقيه "أبي عثمان سعيد" المعروف بـ"ابن الحداد"(ت302هـ/ 914-915م)، "فرحوا بها لأنَّهم يشترون بذلك بقلاً"[2]، ويروي الحسن الوزان أنَّ كلَّ واحدٍ من سكان مدينة فاس كان يقتني عدداً كبيراً من الدَّجاج يُسمِّنه، ولم يكن هذا الدَّجاج يترك طليقاً في البيت، بل يُسجن في أقفاصٍ كبيرةٍ تُصنع من القصب حرصاً على النَّظافة، وقد ازدهرت صناعة الأقفاص وتجارتها، حيث كان في سوق فاس لوحدها، أربعون دكاناً متخصصا فيها[3].

ولكنَّ اتِّخاذ الأقفاص للدَّجاج لم يكن أمراً متبعاً من طرف الجميع، فقد ذكر الونشريسي في "المعيار" أنَّ الدَّجاج كان يؤذي الجيران في مزارعهم، ويتسبَّب في إتلافها، لذلك أفتى الفقهاء بوجوب منعه عن المزارع وقصرها عنها، وأنَّ صاحبه إن فتح الباب وسَيَّبه يَضمَن ما أفسد، إلا أن يتلفها باللَّيل فلا شيء عليه، وإن عقر منها صاحب الزَّرع شيئاً ضُمِّن[4].

وقد عرفت تربية الدَّجاج نظام الشراكة أيضاً، فكان بعضهم يدفع بيضاً إلى آخر ليحضنها له بدجاجته وتكون الفراريج بينهما، ولكنَّ هذا الأمر كان محلَّ خلافٍ بين الفقهاء، فمنهم من رأى أنَّ الفراريج لصاحب الدَّجاجة وعليه لصاحب البيض

---

(1) **المقدمــة**، ص .86.
(2) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.97.
(3) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج.1، ص.238.
(4) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.9، ص.48.

بيضٌ مثلها، ومنهم من قال إنَّ الفراريج لصاحب البيض وعليه كراء تحضّن الدَّجاجة لها[1].

وقد اكتسب المغاربة بعض الخبرة في تربية الدَّجاج، فكانوا يستنتجون منه نوعاً كبيراً جداً، وذلك أنَّهم يغذُّونه بالحبوب المطبوخة في بعر الإبل، ثمّ يُتَّخذ بيضه، فإذا حُضِن، جاء الدَّجاج منها أعظم ما يكون، ويستغني بعضهم عن تغذيتها وطبخ الحبوب، بطرح ذلك البعر مع البيض المحضَّن، فيجئ دجاجها في غاية العِظَم[2]، وكان بعضهم يُطعم الدَّجاج حبَّ الزَّبيب الذي يطرحه النَّبَّاذون، لكنَّ الفقهاء امتنعوا عن أكله[3].

ويذكر المالكي عن سعد الخولاني الذي كان يخدم الفقيه واصلاً بن عبد الله الجمِّي (ت252هـ/866م)، قوله: "... فمضيت وبلغت قريتي وأهلي فأخذت دجاجاً وفراريجاً فسلقتها وسوَّيت بعضها..."[4]، و أفاد نفس المؤلف في ترجمة أبي القاسم حماس بن مروان (ت303هـ/ 915-916م)، أنَّ أخته عملت له دجاجةً إفريقيَّة ووجهت بها إليه عند إفطاره[5]، وهذا يوحي بوجود أنواع خاصةٍ من الدَّجاج منها ما تُنسَب إلى إفريقيَّة، وكان الطبيب ابن الجزار القيرواني يصف للمرضعة القليلة اللّبن مع لحم الفراريج الذكور[6]، كما اشترط لمرضعة الصّبي اللّحم الطَّري وأطراف الدَّجاج والطير[7].

---

(1) عبد الواحد المراكشي: **وثائق الموحدين والمرابطين**، ص.538.
(2) ابن خلدون: **المقدمــة**، ص.88.
(3) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.479.
(4) **المصدر السابق**، ج.1، ص.437. الفَرُّوجُ الفَتِيُّ من ولد الدُّجاج والفَرُّوجة الدّجاجةِ، والجمع فَراريجَ .(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.2، ص.1067.)
(5) المالكي: **نفس المصدر**، ج.2، ص.120.
(6) **المصدر السابق**، ص81-82.
(7) **نفس المصدر** ، ص.75-76.

ومن الأمور النَّادرة في بلاد المغرب أنَّ الدَّجاج كان مقدساً في "برغواطة"[1]، لذلك كان أكله مكروهاً إلا أن يُضطرَّ إليه، وكان أكل البيض محرماً[2]، وقد حظي الدِّيك عندهم بمكانةٍ خاصةٍ[3]، حيث سمَّى نبيهم صالح بن طريف (ت.175هـ/791م) [4] إحدى سور القرآن الذي ادَّعى أنَّه نزل عليه، بسورة الدِّيك[5]، وهذا يؤكد أنَّ تربية الدَّجاج ازدهرت هناك، وأنَّ أعداده تكاثرت، لكن ليس لغرض الإنتفاع به.

4- تربية الحمـام:

تعتبر المعلومات عن تربية الحمام قليلةً، لأنَّ المصادر التاريخية والجغرافية المعروفة لم تتعرَّض للحمام بالذكر إلاّ نادراً، وقد جاء في المدوَّنة أنَّ الحمام كان يُربَّى في أبرجةٍ، ويتسبَّب في نشوب نزاعاتٍ، حيث يحدث أن يدخل حمام هذا البرج في حمام البرج الآخر، وقد أفتى الإمام مالك بوجوب ردِّه إلى بُرجِه الأصلي إنْ كان يُستطَاع وإنْ كَانَ لا يُستطاع فهو لم يرَ على أصحاب البرج الثاني شيئًا[6]،

---

(1) إمارة بربريةٌ أسستها قبيلة مصمودة ببلاد "تامسنا" على طول ساحل المحيط الأطلسي، للمغرب الأقصى في منتصف القرن (2هـ/8م)، واستمرت إلى أن أسقطها المرابطون في منتصف القرن(5هـ/11م)، كانت لها ديانة خاصة بها.أنظر: ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.82 ؛ أحمد الطاهري: **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، الطبعة الأولى1426هـ/2005، ص.154 ؛ الفيلالي عبد العزيز:**دولة برغواطة(نشأتها، ديانتها، علاقتها بجيرانها)**، مجلة سيرتا، السنة الأولى، العدد 2، ذو الحجة 1399هـ/1979م، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة الجزائر، ص.48وما بعدها ؛ Un Comité De Rédaction :**ENCYCLOPEDIE DE LISLAM**, Edition G.P.MAISONNEUVE ET LAROSE S.A, PARIS, France, 1975, TOME 1 , P.1075.

(2) البكري: **المصدر السابق**، ص139-140 ؛ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.131.

(3) يذكر البكري أنَّ سبب تحريم الديوك هو الاعتماد على صياحها للصلاة.(البكري: **المصدر السابق**، ص.139-140.) ؛ لكن عبد العزيز الفيلالي يرجع تقديس برغواطة للديكة إلى التأثير اليهودي في ديانتهم (الفيلالي عبد العزيز:**المرجع السابق**، ص.51.) ؛ وهذا أمرٌ ينفيه مسعود كواتي ويرجعه إلى عاداتٍ مغربيةٍ وثنيةٍ انتشرت في بلاد المغرب منذ القديم.(كواتي مسعود: **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة الجزائر، د.ت.ط، ص.78.)

(4) الزركلي: **المرجع السابق**، مج.3، ص.192.

(5) البكري: **المصدر السابق**، ص139-140 ؛ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.131 ؛ ابن خلدون: **العـبر**، ج.6، ص.276.

(6) سحنون بن سعيد : **المصدر السابق**، ج.2، ص.6.

كما رأى أن لا يُصَاد شَيْءٌ من حمام الأبرجة، وَأنَّ مَنْ صاده "... فعليه أن يردَّهُ أو يُعَرِّفَهُ ولا يأكلهُ"[1].

وقدَّم الحسن الوزان بعض التفاصيل عن تربية الحمام التي انتشرت في زمنه بكثرةٍ في مدينة فاس، والتي لا تختلف بلا شكٍ عما كانت عليه خلال الفترة المدروسة، إذ ذكر أنَّ الكثير من النَّاس في فاس، يجدون في العناية بالحمام متعةً كبيرةً، فيقتنون منه أعداداً كثيرةً جميلة الشَّكل مختلفة الألوان، وكان الحمام يعيش على سطوح المنازل داخل أقفاصٍ تشبه خزائن العطَّارين، يفتحها أصحابها مرتين في اليوم، مرةً في الصّباح وأخرى في المساء، للاستمتاع بطيران الحمام، وتُحدَّد قيمته عندهم بمدَّة طيرانه، فالذي يستمر طيرانه مدةً أطول تكون قيمته أكبر، وذكر نفس المؤلّف أنَّ بعض النَّاس كانوا يصيدون هذا الحمام، بتثبيت شراكٍ صغيرةٍ في رؤوس عِصِيٍ طويلةٍ يمسكونها بأيديهم على سطوحهم، فيتصيدون كلَّ ما مرَّ بهم منه [2].

5- تربية الكـلاب:

لم تكن الكلاب كغيرها من الحيوانات، لأنَّ الشريعة الإسلامية حرَّمت اقتناءها وتربيتها إلاَّ لأغراضٍ محددةٍ، حيث يقول النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «"مَنْ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ زَرْعٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ صَيْدٍ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ"» [3]، يعني قيراطاً من حسناتٍ، وقد جاء في المدوَّنة أنَّ كِلاب الدُّور تُقْتَلُ وَلَا تُتْرَكُ، وأنَّ كَلْبَ الزَّرْعِ وَكَلْبَ الْمَاشِيَةِ وَكَلْبَ الصَّيْدِ إنْ قَتَلَهَا أَحَدٌ يَكُونُ عَلَيْهِ الْقِيمَةُ"[4]، وكان سحنون بن سعيد يأمر بقتل الكلاب ويتتبَّع حركاتها بواسطة أعوانٍ مجهزين

---

(1) **نفسه**.
(2) **المصدر السابق** ،ج.1، ص.258.
(3) مسلم بن الحجاج: **المصدر السابق**، ج.1 ص.686.
(4) سحنون بن سعيد : **المصدر السابق** ، مج.2، ص.6.

بالحراب[1]، كما كان المرابطون "يقتلون الكلاب ولا يستصحبون منها شيئاً في سكناتهم ولا حركاتهم"[2]، وقد أفتى "عبد الرحمن الوغليسي"، بعدم جواز اتّخاذ الكلب لغير الماشية والزَّرع والصَّيد[3]، ويرجع الأمر بقتل الكلاب إلى ما قد تحدّثه من قذارةٍ داخل البيوت، فالشَّعائر اليومية للمسلمين تقتضي نظافة المكان والآنية والبدن، كما أنَّها إن تركت، قد تؤذي النَّاس[4].

وقد كان بعض الأمراء والأثرياء يربُّون الكلاب للصَّيد، فيعتنون بها ويعملون على إضرائها[5]، مثلما هو حال إسحاق بن الأمير يزيد بن حاتم الذي كان يملك كلاباً، أغراها على ضبيٍ ليُضريها، فنهشته ومزقت جلده[6]، وكان العامَّة يتَّخذونها للرَّعي والحراسة.

ولم يذكر الكُتَّاب الذين تحدَّثوا عن بلاد المغرب الكثير عن تربية الكلاب، لكنَّ المقدسي يشير إلى مدينتين بإفريقيَّة "... تباع بهما لحوم الكلاب على القنارات"[7]، وهما قسطيلية ونفطة، ويُتهمُّون بطرح لحوم الكلاب في الهرائس مع غشامةٍ وسوء خلقٍ وغلظةٍ"[8]، وذكر كلٌ من البكري والحميري أنَّ أهل قسطيلية، "يستطيبون لحوم الكلاب ويُسَمِّنُونَها في بساتينهم ويطعمونها التَّمر ويأكلونها"[9].

---

(1) لقبال موسى: **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأتها وتطورها)**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1971م، ص.44.

(2) البكري: **المصدر السابق**، ص.166 ؛ ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.4.، ص.11.

(3) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.2، ص.7 ؛ أبو زكريا يحيى المغيلي المازوني: **المصدر السابق**: ج.1، ص.282.

(4) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص.33.

(5) ضَرِيَ الكَلْبُ اعْتَادَ الصَّيْدَ، وأَضْرَاهُ صاحِبُه أي عَوَّده وأغراهُ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.532.)

(6) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.244-245.

(7) لم أعثر على معنى هذه الكلمة في كتب اللغة المعروفة.

(8) **المصدر السابق**، ص.243.

(9) البكري: **المصدر السابق**، ص.49 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.480.

ونفس الشيء كان يصنعه أهل سجلماسة[1]، وقد تعجّب صاحب الاستبصار والحميري من انعدام الكلاب بسجلماسة، وفسَّرا ذلك بأنَّهم يُسمنونها ويأكلونها كما يصنع أهل البلاد الجريدية[2]، وانفرد "الخُشني" بذكر روايةٍ نسبها إلى أسلم بن عبد العزيز[3]، يقول فيها أنَّه "رأى بتاهرت لحوم الكلاب والفطاطيس تباع على الأوضام وتؤكل"[4]، مع أنَّ بقية المصادر لا تتحدَّث عن أكل الكلاب في تاهرت.

واشتهر أكل المغاربة للكلاب في المشرق، فصار مصدر تندرٍ عليهم، مع ملاحظة أنَّ ذلك كان يُنسَب إلى كلِّ سكان بلاد المغرب دون استثناءٍ، وهذا ما كان يغيظهم[5].

ويُرَّجح أن تكون ظاهرة أكل الكلاب ظاهرةً قديمةً، تعود لما قبل الفتح الإسلامي، لأنَّ جمهور المالكية، يكرِّهون أكلها فهي من السِّباع ذوات الأربع، التي روى ابن القاسم عن مالكٍ أنَّها مكروهةٌ[6]، ويروي مالك في الموطَّأ حديث أبي هريرةٍ الذي جاء فيه أنَّ النَّبي عليه الصلاة والسلام قال: «أَكْلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ حَرَامٌ»[7]، وذهب الشَّافعي وأشهب وبعض أصحاب مالك وأبو حنيفة إلى

---

(1) البكري: **المصدر السابق**، ص.148.

(2) مجهول: **الاستبصار**، ص.201-202. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص. 305-306.

(3) أسلم بن عبد العزيز بن هاشم، أبو الجعد: (231-317هـ/845-929 م) قاض أندلسي من أهل قرطبة، أخذ عن علماء مصر والقيروان وغيرهما، وحج، وولي قضاء قرطبة وتوفي بها.(الزركلي:**المرجع السابق**، ج.1، ص.305.)

(4) محمد بن حارث الخشني:**أخبار الفقهاء والمحدثين**، تحقيق ماريا لوسيا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد إسبانيا، طبعة 1992م، ص.44.الأوضام جمع وَضَم وهو كلُّ شيء يوضع عليه اللحمُ من خشبٍ أو غيره يُوقى به من الأرض.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.943.)

(5) مثلما حدث في مجلس عالم المالكية "أبي العباس شهاب الدين القرافي"(ت684هـ/1285م)، في مصر، عندما قال له بعض المصريين:"... يا مولانا وأكل المغاربة لحوم الكلاب فأورثتها الهرش"، وقد أثار هذا أحد المغاربة الذين كانوا هناك.(البرزلي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.641.)

(6) أبو الوليد محمد بن رشد الشهير (بابن رشد الحفيد):**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1409هـ/1988م، ج.1، ص.476.

(7) مالك بن أنس: **موطـأ الإمام مالك**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1984م، ص.219. ؛ ابن رشد: **المصدر السابق**، ج.1، ص.476.

تحريمها[1]، ويقول ابن الأخوة:"وأمّا النَّجس فهو الكلب والخنزير وما تولَّد منهما أو من أحدهما فلا يجوز أكل شيءٍ منها بحالٍ"[2].

يتبيَّن مما سبق أنَّ بلاد المغرب عرفت تربية الماشية بشكل واسع، وهي لم تكن حكراً على طبقةٍ دون غيرها، وقد اختصت بعض المناطق بأنواعٍ معينةٍ منها دون غيرها، كما عرفت تربية الخيول، وقد حظيت هذه الأخيرة بالكثير من التكريم، وكانت الخيول المغربية من أشهر السُّلالات، ففاقت شهرتها حدود المنطقة، فنُقِلت إلى المشرق والأندلس، وعرفت المنطقة تربية البغال والحمير وإن كانت المعلومات عنهما أقلَّ من سابقتها، كما عرفت تربية حيواناتٍ أخرى وعلى رأسها النحل، الذي كثرت في المصادر الإشارات إلى توفر عسله، ودودة القز التي لم تتوفر عنها معلوماتٌ كثيرة، كما عرفت تربية الدجاج والحمام وغيره، وتعتبر الكلاب الحيوان الوحيد الذي جعلت الشريعة الإسلامية شروطاً لتربيته، وقد انتشرت في بعض المناطق ظاهرة أكله.

---

(1) ابن رشد:**المصدر السابق**، ج.1، ص.476.

(2) محمد القرشي المعروف بابن الأخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، حققه ونشره مع ترجمة للإنجليزية روبن ليوى، مطبعة دار الفنون بكمبرج، 1637م، أعاد طبعه مكتبة المثنى ببغداد، د.ت.ط، ص.102.

الفصل الثالث:
طرق تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين

الفصل الثالث: طرق تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين

- أ/ الرُّعاة
- ب/ المراعي
- ج/ العناية بالحيوانات
- د/ مشاكل تربية الحيوانات
- هـ/ الرفق بالحيوانات

أ/ الرُّعـاة:

الرُّعاة والرِّعاء والرُّعيان جمع راعي، وهو الذي يَرْعى الماشية، أي يَحوطُها ويحفظُها[1]، وهم ينقسمون حسب طريقة رعيهم وتحركاتهم بقطعانهم إلى قسمين: الرُّعاة المستقرون والرُّعاة المتنقلون[2].

1- الرُّعاة المستقرون:

يقوم هؤلاء بنشاطاتٍ أخرى إلى جانب الرَّعي، وتتمثَّل هذه النَّشاطات غالباً في الزِّراعة، حيث يكون صاحب الماشية هو صاحب الزَّرع[3]، وهم لا يبتعدون في طلب المراعي ولا يتجاوزون في أغلب الأحيان حدود قُراهم، وقد يبعد الرجل منهم بماشيته منفرداً[4]، كما قد يتولى مهمة الرَّعي بعض أفراد العائلة، حيث يُسنِد بعض أصحاب الماشية رعايتها لأولادهم، فيطلبون بها المواضع الخصبة[5].

ولم يكن الرَّعي في بلاد المغرب حكراً على الرِّجال فقط، فقد ذكر "الونشريسي" امرأةً تخرج بادية الوجه وترعى[6]، وأفاد الحسن الوزان أنَّ النِّساء في جبل "بني منصور" في منطقة الرِّيف بالمغرب الأقصى، كنَّ يذهبن خلف قطعان الماعز ليرعينها[7].

---

(1) ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.1187.

(2) يقسم" Golvin " القبائل المتنقلة إلى ثلاث أقسام 1- الرحالة الكبار (grands nomades)، 2-أنصاف الرحالة (semi-nomades)، 3- الرحالة الصغار(Petits transhumants)).أنظر (le Maghrib Central, p.32-33).

(3) عز الدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق،القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى1413هـ/1983م، ص.198.

(4) المـازوني: **المصدر السابق**: ج.1، ص.220.

(5) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.7، ص.70.

(6) **المصدر السابق**، ج.11، ص.193.

(7) **المصدر السابق**، ج.1، ص.330.

ويضم أهل القرى في أحيانٍ كثيرةٍ مواشيهم ليرعوها بالدُّوَلة، لكلِّ واحدٍ يومُه[1]، ينطلق بها في النَّهار إلى مَرَاعِيهَا ليرَعاها ويسقيها، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ انْقَلَب بها إلى دُورِ أَصْحَابِهَا، وَالدُّورُ مُفْتَرِقَةٌ تَبِيتُ عِنْدَهُمْ يَحْتَلِبُونَهَا ويحفظونها ويُسمَّى هؤلاء "الخُلَطَاء" لأنَّهم يخلطون مواشيهم[2]، وقد يقوم آخرون بحلبها مجتمعةً، وجمع لبنها لإخراج الجبن منه ثم قسمته بينهم، لكنَّ هذه القسمة لا ترضي بعضهم لأنَّها لا تُراعي اختلاف الحيوانات في إدرار الحليب[3]، وقد عرف هذا النَّوع من الرَّعي بعض المشاكل، مثل مشكلة تغريم أحدهم إذا تَلِفَت المواشي بالضَّياع أو الموت في نوبته[4]، أو أن يكتري أحدهم رجلاً يرعى عنه المواشي في اليوم الذي كان يجب عليه في الدولة، فتتلف جميعها أو بعضها[5].

ولم يكن الرَّعي من الحرف المحتقرة، لأنَّ جميع الأنَّبياء مارسوا هذه الحرفة، وقد جاء في الحديث الشريف عن النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّه قال: «"مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ؟. فَقَالَ:نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[6] لِأَهْلِ مَكَّةَ"»[7]، لذلك، اشتغل به الخاصَّة من الفقهاء وأهل العلم، ورأوا فيه خلوةً وتفرغاً للعبادة، ومهرباً من الفتن، فرعى أبو القاسم سمجوا بن واسلول المكناسي أبو اليسع، جد بني مدرار الماشية، مع أنَّه كان صاحب علمٍ، أدرك التابعين، وأخذ عن عكرمة مولى ابن عبَّاس[8]؛ ورعى الفقيه "أبو محمد يونس بن محمد الورداني

---

(1) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.8، ص.330.
(2) سحنون بن سعيد : **المصدر السابق** ، مج.3، ص.277.
(3) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.6، ص.462.
(4) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.342.
(5) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.330.
(6) القراريط جمع القِيراط وهو من الوزن، وأصله قولهم: قَرَّط عليه إذا أعطاه قليلاً قليلاً.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.3، ص.62.)
(7) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي:**تفسير القرآن العظيم** تحقيق:سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 420هـ/1999م، ج.5، ص.478 ؛ نفس المؤلف: **البداية والنهاية**، تحقيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ/1988م، ج.6، ص.318.
(8) البكري: **المصدر السابق**؛ ص149. ؛ مجهول : **الاستبصار**، ص201. ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.172.

البقر" فترةً طويلةً، هرباً من فتنة بني عبيد، حيث قال لأهله:"أخيِّركم بين أحد وجهين، إمَّا أن تتركوني أهرب من إفريقيَّة لا تروني أبداً، وإمَّا أن تتركوني أرعى البقر"، فكان إذا أصبح أخذ مصحفه فجعله في مخلاةٍ وتقلَّد بها، وأخذ عصاه وساق البقر بين يديه، وأبعدها عن العمارة، وأقبل على قراءة القرآن النَّهار أجمع، فإذا أمسى واختلط الظَّلام، أقبل بالبقر إلى منزله، وكان هذا دأبه حتى مات[1]، وعندما أراد الشيخ "أبو نوح سعيد بن زنغيل"[2]، الاختباء من رسل "المعز أبي تميم" الذين خرجوا في طلبه[3]، تنكَّر في زيِّ راعٍ ولبس عباءةً وصار يرعى إبلاً[4].

اتخـاذ الرُّعـاة:

كان الكثير من أصحاب المواشي يفضلون البقاء داخل المدينة، وتسريح ماشيتهم خارجها، إذ ليس من المعقول أن يقضي صاحب الماشيةٍ حياته خلف قطيعه، إذا كان من أصحاب الوظائف أو الحرف، أو كان من الموسرين، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو زكرياء الإباضي الورجلاني، أنَّ الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر، جاءه ضيوفٌ وغنمه مع رعاته في البراري[5]، وأنَّ الشّيخ أبا الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي، الذي يقيم بوارجلان، كانت له غنمٌ كثيرةٌ بـ"أندرار"[6]، لذلك كانوا يسندون أمر رعايتها إلى الرُّعاة الذين يكونون إمَّـا من العبيد أو مستأجَرين.

الرُّعاة من العبيد:

---

(1) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.45-46.

(2) أحد الشيوخ الإباضية الذين ثاروا ضد المعز لدين الله الفاطمي، وانهزموا في موقعة "باغاي" عن هذه الثورة وعن ترجمة الشيخ أنظر: أبو زكرياء الإباضي:**المصدر السابق**، ص144.

(3) معد بن إسماعيل المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي، أبو تميم الملقب بالمعز لدين الله صاحب مصر وإفريقية، ولد بالمهدية سنة (319 هـ/931م) وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة(341هـ/953م)، فتح مصر سنة (358هـ/969م)، واختط مدينة القاهرة وسماها:القاهرة المعزية، ثمّ استخلف على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي، ودخل القاهرة سنة (362هـ/973م) ، فكانت مقر ملكه وملك الفاطميين إلى آخر أيامهم، توفي سنة (365هـ/975م).(الزركلي، **المرجع السابق**، مج.7، ص.265.)

(4) أبو زكرياء الإباضي: **المصدر السابق**، ص144.

(5) **نفس المصدر**، ص.178.

(6) أبو زكرياء :**نفس المصدر**، ص.187. لم أعثر على مكان **أندرار** في كتب الجغرافيا والبلدان التي أتيح لي الإطلاع عليها.

استُغِلَّ العبيد ببلاد المغرب في حرفٍ كثيرةٍ، وكان الرَّعي واحداً منها[1]، لكنَّ المعلومات عن اشتغالهم في الرَّعي قليلةٌ، لأنَّ المصادر تُهمل الحديث عن العبيد بصفةٍ عامةٍ، باعتبارهم الشَّريحة الدنيا في المجتمع[2]، ماعدا بعض الإشارات، منها ما ذكره "ابن الصَّغير" أنَّ الرُّستميين عهدوا للعبيد بتربية مواشيهم بحصن "نـماليت" بطرف لواتة[3]، وجاء في ترجمة القاضي "أبي العباس عبد الله بن طالب" (ت275هـ/ 888م)، أنَّه عرض له غلامٌ خماسٌ راعي غنمٍ فأخذ بلجام دابته وجوَّزه الماء، فأراد أن يكافئه فاشتراه من مولاه بعشرة دنانيرٍ وأعتقه[4]، كما أعتق غلاماً راعياً آخر ناوله سوطاً سقط منه، فاشتراه وأهداه الغنم التي كان راعياً عليها عند صاحبه وقال له:" إذهب أنت حرٌ لوجه الله والغنم لك"[5].

الرُّعاة المستأجرون:

انتشرت عملية استئجار الرُّعاة ببلاد المغرب، وقد أشار المالكي في ترجمة الفقيه أبي جعفر القمودي (ت324هـ/936م)، إلى شبابٍ استأجروا أنفسهم في غنمٍ يرعونها، لكنَّهم كانوا يأخذون من صوفها بغير إذن أربابها[6]، وجاء في إحدى نوازل المعيار، أنَّ الجزارين كانوا يجمعون شياههم في قطيعٍ ويؤجرون عليها راعياً[7]، وفي نازلةٍ أخرى أنَّ رجلاً استُؤْجِرَ على رعاية بقرٍ لكنَّها أفسدت بالليل زرعاً[8].

---

(1) بشاري لطيفة بن عميرة: **الرّق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (ق.1-4هـ/ 7-10م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذة الدكتورة: بوبة مجاني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،2007 – 2008، ص.358.

(2) بشاري لطيفة: **المرجع السابق**، مقدمة الرسالة، ص. (ع).

(3) **المصدر السابق**، ص.93.

(4) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.165.

(5) المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.474 ؛ الدباغ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.166.

(6) **المصدر السابق**، ج.2، ص.229.

(7) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.8، ص.341.

(8) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.353.

وأُخضِعَت عملية استئجار الرُّعاة لتعاليم الشَّريعة الإسلامية، فضبطتها كتب الفقه وبيَّنت ما للأجير وما عليه، وكانت أحكام الإجارة على الرَّعي، تتشابه مع أحكام الإجارة على إمامة الصلاة وآذانها، أو تعليم الصِّبيان[1].

ونقل عبد الواحد المراكشي في كتابه"وثائق المرابطين والموحدين"، نماذج من العقود التي كانت تُكتب لاستئجار الرُّعاة، ممَّا يدلُّ على انتشار هذه الظَّاهرة آنذاك[2]، وتحتوي هذه العقود على اسم الرَّاعِي، واسم أبيه وجدِّه ولقبه وكنيته، وعدد المواشي وأنواعها إن اختلفت، وتُحدَّد مدَّة الإجارة من بدايتها إلى نهايتها، والمبلغ المتفق عليه وما استُلم منه وما بقي، ثمَّ تُذكر الشُّروط إن وُجدت، ويوقِّع الشُّهود وتُذكر أسماؤهم[3]، وفي بعض وثائق العقود يُوصف الرَّاعِي وصفاً دقيقاً، فيُذكر لونه، ولون عينيه، وشكل حاجبيه، وأنفه، وقامته،... وغيرها من الصفات[4].

وتكون فترة الاستئجار في الغالب سنةً واحدةً[5]، وقد يؤاجر بعضهم لثلاثة أشهرٍ فقط[6]، أمَّـا أجرة الراعي فاختلفت باختلاف فترة الرَّعي، وعدد المواشي، وجاء في المعيار ذكر لراعي غنمٍ استؤجر لرعاية سنةٍ بعشرة دنانير[7].

شروط عقد استئجار الرعاة:

تنقسم شروط عقد استئجار الرُّعاة إلى شروطٍ يشترطها ربُّ الماشية، وأخرى يشترطها الراعي، فلِرَبِّ الماشية أن يشترط على الرَّاعِي الرِّفق بحيواناته، وتخيُّر المسارح لها، كما يشترط عليه أن يتجنَّب بعض المسارح ويتحفظ من إدخال الغنم

---

(1) أنظر الونشريسي : **نفس المصدر** ، ج.8، ص.226 و ص.263.
(2) المراكشي: **وثـائـق المرابطين والموحدين** ، ص.479، وما بعدها.
(3) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.484.
(4) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.481.
(5) سحنون بن سعيد:**المصدر السابق**، مج.3، ص.22 ؛ المراكشي:**وثـائـق**، ص.479 ؛ الونشريسي:**المصدر السابق**، ج.8، ص.263.
(6) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.263.
(7) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.263.

فيها، وألاَّ يرعى مع غنمه غيرها لأحدٍ من النَّاس[1]، وإن خالف هذا الشَّرط ورعى معها غيرها، فأجرة ما رعى لربِّ الغنم الأول[2]، وقد يشترط على الرَّاعِي إخراج غنمه مدَّة شهور الشِّتاء إلى مواضع معينةٍ، ووفي الصَّيف إلى مواضع أخرى محددةٍ أيضاً[3]، وأجاز بعض الفقهاء اشتراط رعاية خرفانها حتى تفطم، وقال بعضهم لا يجوز هذا الشَّرط لما فيه من مشقةٍ[4]، ويجوز لربِّ الماشية أن يَشترط الحِلَابَ على الرَّاعِي إن أراد ذلك[5]، كما يجوز له أن يَشترط عليه أن لا يسقي أحداً من لبن ماشيته[6].

ولكنَّ ليس للمالك اشتراط الخلف من الرَّاعي إذا مات، يقول ابن القاسم[7]: «"وَإِنْ اشْتَرَطَ إنْ مَاتَ الرَّاعِي فَعَلَيْهِ فِي مَالِهِ خَلْفٌ مِنْ الرَّاعِي فَذَلِكَ فَاسِدٌ"»[8]، كما لا يجوز له اشتراط الضَّمان فيما هلك من الغنم أو غيرها[9].

ومن شروط الرَّاعِي على المستأجِر، نفقته ومؤنة أكله، وكسوته إلى انقضاء أمد الإجارة[10]، أمَّا اشتراطه خلف ما نقص من الماشية بموتٍ أو بيعٍ خلال مدَّة الإجارة، فهو من الشُّروط الواجب توفرها في العقد إذا حُدِّدت الشِّياه بأعيانها، ولا يصحُّ العقد إلاَّ به، حيث جاء في المدونة:«" أَنَّ الرَّجُلَ لَو اكْتَرَى رَاعِيًا يَرْعَى لَهُ مِائَةَ شَاةٍ بأعيانها سنةً، فَإِنَّه إنْ لم يَشترِطْ أَنَّ مَا مَاتَتْ مِنْ الْغَنَمِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِبَدَلِهَا فَيَرْعَاهَا لَهُ الرَّاعِي فَالْكِرَاءُ فَاسِدٌ، لأَنَّه لَا يَدْرِي أَتُسَلَّمُ الْغَنَمُ إلَى رَأْسِ السَّنَةِ أَمْ

---

(1) عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص.485.
(2) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.481.
(3) المراكشي: **المصدر السابق**، ص.480.
(4) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.482.
(5) المراكشي: **المصدر السابق**، ص.487.
(6) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.482.
(7) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم، مولده ووفاته بمصر (132-191هـ/ 750-806م) فقيه، جمع بين الزهد والعلم، وتفقه بالإمام مالك ونظرائه، روى عنه المدونَّة التي هي من أجل كتب المالكية. (الزركلي: **المرجع السابق**، ج.3، ص.323.)
(8) سحنون بن سعيد:**المصدر السابق**، مج.3، ص.422 .
(9) سحنون: **نفس المصدر**، مج.3، ص.409.
(10) عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص.479.

لا"»[1]، ويرى المرَّاكشي وجوب فسخ الإجارة متى ما ظُفِر بذلك[2]، فإن لم تكن بأعيانها أُسقِط ذِكر الخلف، ويُسَجَّل في العقد:"ولم ينعقد التعامل المذكور على غنمٍ بأعيانها"[3].

تضْمِين الرَّاعِـي:

لم يكن الإمام مالك يرى ضَمَانًا على الرُّعاة إلاَّ إن تعدَّوا وفرَّطوا، سواءً كانوا أحراراً أو عبيداً، بل كان يرى وجوب تصديق الرَّاعِي إن قال:"سُرقت منِّي"، أو قال:"ذبحتها وسُرقت منِّي مذبوحةً"[4]، وعلى هذا الرَّأي اعتمد فقهاء المالكية ببلاد المغرب في مختلف الفترات، فقد ذكر المراكشي، أن لا ضَمَانَ على الرَّاعِي فيما تلف من الماشية إلاّ إن فرَّط وتعدَّى، وأنَّ أقصى ما على الرَّاعِي إذا كان من أهل التُّهم فيما ضلّ أو هلك، اليمين أنَّه ما فرَّط ولا تعدَّى ولا دلَّس[5].

وسُئِل الونشريسي في فاس سنة 874هـ/1470-1469م، عن راعي لأهل قريةٍ بالدُّولة ضاع منه ثورٌ، فأفتى بألاَّ ضمان عليه[6]، لكنَّ بعض الفاسيين اعترض عليه بحجة أنَّه أدرك شيوخاً يُضَمِّنون الرَّاعِي المشترك، فألَّف كتاباً في الرَّدّ على من خالفه سماه:"**إضاءة الحلك، والمرجع بالدّرك، على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الرَّاعِي المشترك**"[7].

---

(1) سحنون بن سعيد: **المصدر السابق** ، مج.3، ص.422 .

(2) المراكشي: **المصدر السابق**، ص.480.

(3) المراكشي: **نفس المصدر**، ص.486.

(4) أنظر سحنون بن سعيد : **المصدر السابق** ، مج.3، ص.409.

(5) المراكشي: **المصدر السابق**، ص.482.

(6) **المصدر السابق**، ج.8، ص.341-342..

(7) لم نعثر على هذا الكتاب الذي يقول الونشريسي عنه: "...ألفت في المسألة تأليفا مفيداً، أبديت فيه حججاً ظاهرةً فاقرة، ولبطنه باقرة، ولقفاه ناقرة، ولساقيه عاقرة، سميته:**إضاءة الحلك،...**"، فمن طمحت عيناه للوقوف عليه فليلتمسه فإنه متين البضاعة، مؤيد لمذهب الجماعة، مزيف لمذهب ابن حبيب ومن أخذ به بحيث لا يساوي سماعه...".(**نفس المصدر**، ج.8، ص.343.)

واختُلِف في أمر الرَّاعِي إذا أنزى[1] على الرَّمَكِ أو على الإبل والبقر والغنم بغير أمر أربابهَا فَعَطِبَتْ أيَضْمَنُ أمْ لا [2]، ولا خلاف على تضمين الراعي إن اشترط عليه ربُّ الغنم ألاَّ يرعى إلاَّ في موضع كذا، فرعى في مَوْضِعٍ سِوَى ذَلِكَ [3].

2- الرُّعاة المتنقلون:

أسباب تنقل الرُّعاة:

انتشر الرُّعاة المتنقلون، المعروفون بالبدو الرُّحل، في بلاد المغرب منذ القديم[4]، وكان الإنتقال الموسمي للرُّعاة وقطعانهم من الصَّحراء إلى المناطق القريبة من السَّواحل والأكثر خصوبةً معروفاً[5]، وقد أزعجت قبائل الجيتول"Gétules" السُّلطة الرُّومانية لأنَّها شكَّلت خطراً على الأراضي الزراعية[6]، ولكنَّ تفسير أسباب لجوء هذه القبائل إلى الرَّعي المتنقل أمرٌ في غاية الصعوبة كما يرى "كينيث والطون"، فلماذا يضطرّ الرُّعاة إلى ترك المناطق شبه الجافة ذات المطر الفصلي، ويختارون لأنَّفسهم حياةً غير مستقرةٍ دائمة التنقُّل في مناطق تتباين فيها الأمطار توزيعاً وكميةً بصورةٍ ملحوظةٍ من سنةٍ لأخرى؟[7]،

---

(1) أنزا من النَّزْو، وهو الوَثَبانُ ومنه نَزْو التَّيس في معنى السِّفاد ونَزا الذكر على الأنثى نِزاء بالكسر، ولا يقال إلاَّ للشاء والدَّوابِّ والبقر ذلك في الحافر والظِّلف والسِّباع.(ابن منظور :**المصدر السابق**، مج.3، ص.621.)

(2) سحنون بن سعيد: **المصدر السابق**، مج.3، ص.410.

(3) سحنون: **نفس المصدر**، مج.3، ص.410.

(4) أنظر موريس لومبار: **الإسلام في مجده الأول(القرن 8-11م/2-5هـ)**، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر الطبعة الأولى 1979م، ص.79.ومابعدها.

(5) أنظر مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية مصر، د.ت.ط، ص.236.

(6) أنظر بشير شنيتي: **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 149ق.م/40م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية 1985م، ص.120.

(7) كينيث والطون: **الأراضي الجافة**، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة سنة 1978م، ص.233.

وقد أرجع كل من البكري وابن خلدون أسباب الترحال إلى طبيعة الحيوانات التي لا تتلاءَم مع بعض المناطق، مما يُحتّم على أصحابها التنقُّل إلى أخرى أكثر ملاءَمةً لها، مثلما يفعل سكان فحص باغاية، من مزاتة وضريسة، الذين يُظعنون في زمن الشّتاء إلى الرِّمال حيث لا مطرٌ ولا ثلجٌ خوفاً على نتاج إبلهم[1]، كما أنَّ " ... الإبل لا تستغني بمسارح التلول ونباتها وشجرها في قوام حياتها، عن مراعي الشجر بالقفر، وورود مياهه الملحة، والتقلُّب فصل الشّتاء في نواحيه فراراً من أذى البرد إلى دفء هوائه وطلباً لماخض النِّتاج في رماله، إذ الإبل أصعب الحيوان فصالاً ومخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدِّفء فاضطروا إلى إبعاد النُّجعة[2]، لكنَّ ابن خلدون يقول:" ... وربَّما ذادَتهم الحامية عن التُّلول أيضاً فأوغلوا في القِفار نفرةً عن الضّعة منهم، فكانوا لذلك أشدَّ النَّاس توحشاً"[3]، فهو يضيف سبباً آخر يتمثل في هروب تلك القبائل إلى عزَّة التقلُّب في القفار من دُلِّ البقاء والاستقرار، الذي يتبعه خضوع للسلطة الحاكمة، وهذا التفسير يبدو معقولاً إلى حدٍ ما.

ويرى "توينبي" أنَّ النَّفر الذي قبل تحدي ظروف المطر غير المستقرَّة عن أن يستكين في مناطق المطر الفصلي، يكون قد اقتنع بفكرة أن استئناس الحيوانات أرقى وأرفع من حرفة الزراعة، لكنَّه يعتقد أنَّ الجفاف هو العامل الرَّئيسي لازدياد النَّشاط الرَّعوي المتنقّل، لأنَّه دفع بهؤلاء - سواءٌ كانوا أصلاً مزارعين أو رعاةً دوريين- إلى الانتقال إلى أماكن أكثر رطوبةً[4]، لكنَّ "كينيث والطون" ينتقده في

---

(1) البكري: **المصدر السابق**، ص."144.145.
(2) ابن خلدون: **المقدمة**، ص.115.
(3) **نفس المصدر**، ص.115.
(4) كينيث والطون: **المرجع السابق**، ص.334.

هذا، ويرى أنَّ الرَّعي المتنقّل نتج عن تزايد السُّكان في المنطقة الرَّعوية ممَّا دفع ببعض المجموعات منها إلى الارتحال[1].

ومهما كانت الأسباب التي نتج عنها هذا النوع من الرَّعي، فإنَّ رأي كلٍ من البكري وابن خلدون يبدو أقرب إلى الصَّواب، لقربهما من زمن البداوة والترحال، ومعرفتهما بالرُّعاة الرحل خلال الفترة المدروسة، كما أنَّهما كانا يقصدان بلاد المغرب بالتحديد، بينما كان "توينبي" و"كينيث والطون" يتحدَّثان عن الرَّعي المتنقل بصفةٍ عامةٍ.

أهم القبائل المتنقلة في بلاد المغرب:

يبدو أنَّ القبائل التي تمارس الرَّعي المتنقل كانت كثيرةً، لأنَّ ابن خلدون يذكر أنَّ عمران إفريقيَّة والمغرب، كان كلُّه أو أكثره بدوياً، وأهله أهل خيامٍ وظواعنَ وقياطنَ وكنٍ في الجبال[2]، ومن القبائل التي ذكرت المصادر أنَّها كانت تنتقل طلباً للنُّجعة في بلاد المغرب "قبيلة زناتة" التي أخذت من " ... شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين"[3]، وكانت بطونها التي استقرت في المغرب الأوسط بين تلمسان وتاهرت ظاعنةً تنتجع من مكانٍ إلى مكانٍ غيره[4].

وكانت صنهاجة الجنوب أكثر القبائل ارتحالاً في صحراء بلاد المغرب، يقول ابن خلدون: "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرِّمال الصَّحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهورٍ قبل الفتح لا يُعرَف أوّلها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الأنَّعام ولحومها انتباذاً عن العمران، واستئناساً بالإنفراد،

---

(1) كينيث والطون: **المرجع السابق**، ص.334.
(2) ابن خلدون: **المقدمة**، ص.331.
(3) ابن خلدون: **العبر**، ج.7، ص.3.
(4) الإدريسي: **المصدر السابق** ، مج1، ص.257.

وتوحشاً بالعزِّ عن الغلبة والقهر".. [1]،"وهم ينتقلون من ماءٍ إلى ماءٍ كالعرب وبيوتهم من الشَّعر والوبر"[2]، ويرعون مواشيهم في أداني الصحراء وأطرافها، وليس لهم ثبوتٌ في مكانٍ ولا مقامٌ بأرضٍ وإنما يقطعون دهرهم في الرحلة والانتقال دائماً وهم لا يخرجون عن حدودهم ولا يفارقون أرضهم ولا يمتزجون بغيرهم ولا يطمئنون إلى من جاورهم، مع أنَّ أكثر هذه الأرضين صحارٍ متصلةٌ غير عامرةٍ وجهاتٌ وحشةٌ وجبالٌ حرشٌ جردٌ لا نبات فيها والماء بها قليلٌ جداً لا يوجد إلاَّ في أصل جبل أو في ما اطمأنَّ من سباخها وبالجملة أنَّه هناك قليل الوجود يتزود به من مكانٍ إلى مكانٍ[3].

وهناك قبائل أخرى كانت تنتجع تاهرت وأحوازها في أشهر الرَّبيع، ومنها قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم[4]، وكان "بنو موليت" يظعنون في الأرض الممتدَّة بين نفزاوة وبلاد قسطيلية وكانوا يعملون أدلاءً على الطريق[5].

ب/المراعـي:

دور المرَاعـي في تأسيس المدن:

جعل ابن أبي الرَّبيع[6] في كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك"، القرب من المرعى من الشُّروط الواجب توفرها لبناء أيِّ مدينةٍ[7]، ويقول ابن خلدون:"وممَّا يُراعى من المرافق في المدن، طيب المراعي لسائمتهم، إذ صاحب كلِّ قرارٍ لا بدَّ له من دواجن الحيوان للنِّتاج والضَّرع والرُّكوب، ولا بدَّ لها من المرعى، فإذا كان

---

(1) ابن خلدون: **العبـر**، ج.6، ص.241.
(2) ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.7، ص.128.
(3) الإدريسي:**المصدر السابق**،ج.1، ص.109.
(4) ابن الصغير:**المصدر السابق**، ص.41.
(5) البكري: **المصدر السابق**، ص.48 ؛ عن هذه الطريق أنظر الحميري: **المصدر السابق**، ص.578.
(6) أحمد بن محمد بن أبي الرَّبيع، شهاب الدين: (218-272 هـ/833-885م)، أديبٌ من رجال المعتصم العباسي، له تصانيفٌ منها الكتاب الذكور.(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.1، ص.205.)
(7) محمد عبد الستار عثمان: **المدينـة الإسلاميـة**، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى1419هـ/1999م، ص.29-30.

قريباً طيباً، كان ذلك أرفق بحالهم، لما يعانون من المشقَّة في بُعده..."[1]، وقد اتبع هذه القاعدة الكثير من مؤسسي الحواضر التي بنيت في بلاد المغرب، حيث أنَّ عقبة عند تأسيسه لمدينة القيروان سنة50هـ/ 670م، حرص على تقريبها من المرعى الملائم[2]، حتى تكون إبل أصحابه "... على بابها في مراعيها آمنة من البربر"[3].

وكانت مدينة سجلماسة ثاني مدينةٍ إسلاميةٍ تشيَّد ببلاد المغرب بعد القيروان سنة 140هـ/ 757م، وقد بنيت في قلب واحةٍ خصبةٍ، هي عبارةٌ عن مراعي للمواشي وسوقٍ يجتمع فيه السّكان[4]، كان جدَّ أمراء بني مدرار أصحاب سجلماسة، ينتجع نواحيها، ويأتي ببعض ماشيته إلى سوقٍ كانت تقام في البقعة التي بنيت عليها المدينة بعد ذلك[5].

وكان موضع مدينة فاس قبل بنائها، مرعى للقبائل، وفي بعض المواضع منها خيامٌ من شعرٍ يسكنها قبيلتا زواغة وبني يرغش، وكان بين القبيلتين قتالٌ على حدود الأرض، فأصلح إدريس بن إدريس بينهما، ثم اشترى منهما الغيظة التي بنا بها المدينة[6].

---

(1) **المقدمة**، ص.332.

(2) حول تأسيس مدينة القيروان أنظر: المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.11 ؛ الدباغ:**المصدر السابق**، ص.9 ؛ مجهول:**الاستبصار**، ص.113 ؛ ابن عذاري: **المصدر السابق**، مج.1، ص.19-20 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.486 ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.3، ص.13 ؛ لقبال موسى: **المرجع السابق**، ص.32 وما بعدها.

(3) الحِميري: **المصدر السابق**، ص.486 ؛ مجهول: **الاستبصار** ،ص113-114.

(4) شنايت العيفة :**دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجري**، رسالة لنيل شهادة ماجستير تحت إشراف الدكتور موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1410-1411هـ/1990-1991م)، ص.44.

(5) البكري أبو عبيد: **المصدر السابق**، ص.149 ؛ مجهول : **الاستبصار**، ص.201 ؛ الحميري: **المصدر السابق**:ص306/305. ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.172 ؛ الزركلي : **المرجع السابق**، ج.7، ص. 195.

(6) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص30.31. ابن خلدون: **العبر**، ج.4، ص.18.

كما كان حول الموضع الذي بنيت عليه مراكش مسرحٌ خصبٌ للجمال والدَّواب، ممَّا جعل أمير المرابطين وشيوخهم يغتبطون عندما عاينوه[1]، وشرعوا في بنائها سنة(462هـ/ 1070م)[2].

ويؤاخذ ابن خلدون العرب لأنَّهم لمَّا اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان"...لم يراعوا فيها إلا الأهمَّ عندهم، من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشَّجر والماء الملح، ولم يراعوا الماء، ولا المزارع، ولا الحطب، ولا مراعي السَّائمة من ذوات الظَّلف ولا غير ذلك، ...ولهذا كانت أقرب إلى الخراب..."[3]، وهذا يؤكد أهمية المراعي في تأسيس المدن لدرجة إهمال غيره من الشروط إذا توفر.

أهمّ المراعـي في بلاد المغرب:

يتَّضح من كتب الجغرافيا التي تحدَّثت عن بلاد المغرب كثرة المراعي، حيث لا تكاد تخلو منها منطقةٌ واحدةٌ، لكنَّها اختلفت في خصوبتها واتساعها ومُلاءمتها لأنواع الحيوانات، وقد لاحظ الإصطخري (ق.4هـ/10م) أنَّ بَرقة الواقعة في مستوٍ من الأرض، خصبةٌ، يحيط بها من كلِّ جانبٍ باديةٌ يسكنها طوائفٌ من البربر[4]، وتحدَّث كلٌ من البكري والحميري عن مراعيها التي تصلح بها السَّائمة[5]، كما

---

(1) ابن الخطيب: **الحلل الموشية**، ص. 6.

(2) يتفق ابن عذاري مع ابن الخطيب على أن بناء مراكش تم على يد الأمير أبي بكر بن عمر سنة 462هـ. (**البيـان** ، ج.4، ص.19 ؛ **الحلل الموشية**، ص.6) ؛ بينما يقول ابن خلدون والحميري أن مؤسس مراكش هو يوسف بن تاشفين، ويحدد الأول تاريخ بنائها بسنة 454هـ1062م، ويجعله الثاني بين سنتي447هـ/1055م و459هـ1067م.(**العبر**، ج.6، ص.245 ؛ **المصدر السابق**، ص.540-541) ؛ ويرجح محمد الأمين بلغيث الرَّأي الأول، لأن الجغرافي الأندلسي البكري الذي أنهى كتابه سنة462هـ/1068م لم يذكر مراكش أبداً، مما يدل على أنها لم تكن بنيت بعد.(**الحياة الفكرية بالأندلس في عهد المرابطين**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2002-2003م ، ص. 65.)

(3) **المقدمـة**، ص.332.

(4) الإصطخري: **المصدر السابق**، ص.33.

(5) البكري: **المصدر السابق**، ص05. ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.91.

يذكر ابن الأثير أنَّ العرب لما حلُّوا بأرض بَرقة وما والاها سنة (442هـ/ 1050م) وجدوها بلاداً كثيرة المرعى[1].

أمَّا مراعي مدينة سُرْت فكانت ملائمةً لتربية الماعز أكثر من الضَّأن، وهي تُقصد وتُنتجع إذا مُطرت[2]، كما كانت جزيرة "قرقنة" المقابلة لسفاقس خصبةً، يُدخل فيها أهل هذه الأخيرة ماشيتهم[3]، وكانت مدينة "تِيجَس" الواقعة على الطَّريق من القيروان إلى قلعة أبي الطَّويل، كثيرة الكلأ والرَّبيع[4]، ومدينة تونس حسنةً يحيط بها من جميع جهاتها فحوصٌ، ومزارع للحنطة والشَّعير"[5]، وتميّزت مراعي مدينة "سوسة" بطيب لحوم ماشيتها، حتى كانت من أطيب لحوم إفريقيَّة[6]، أمَّا مدينة باغاية، التي تقع في بساطٍ من الأرض عريضٍ كثير المياه، يطلُّ عليه جبل أوراس[7]، فهي ذات أنَّهارٍ وثمارٍ ومزارع ومسارح[8].

وفي مرسى الزَّيتونة الواقع بين القلِّ وجيجل[9]، مزارع كثيرةٌ ومراعي مريعةٌ[10]، ويقع "حصن بكرٍ" على مراعٍ ممتدةٍ، على الطَّريق من بجاية إلى القلعة[11]، وكان لمدينة "متيجة" القريبة من جزائر بني مزغنة، والواقعة على نهرٍ

---

(1) ابن الأثير: **المصدر السابق**، مج.8، ص.296/295.
(2) ابن حوقل: **المصدر السابق** ص 70-71.
(3) البكري **: المصدر السابق**، ص. 20.
(4) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.53.
(5) الإدريسي **:المصدر السابق**، مج.1، ص.284 ؛ والفحوص جمع الفَحْص وهو ما استوى من الأرض.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.2، ص.1057.)
(6) مجهول : **الاستبصار**،ص120.؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.331.
(7) البكري:**المصدر السابق**، ص.144-145.
(8) الحميري: **المصدر السابق**، ص.76.
(9) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.274.
(10) البكري: **المصدر السابق**، ص.83. أرضٌ مَرِيعة بفتح الميم أي مُخْصِبة.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.1267.)
(11) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.266.

كبيرٍ، مزارع ومسارح، وفيها عيونٌ سائحةٌ وطواحن ماءٍ[1]، ولمدينة "بني واريفن" قرب "مليانة"، مسارح واسعةٌ كثيرة الكلأ[2].

وكانت لمدينة المسيلة التي تقع في بسيطٍ من الأرض، مراعٍ ومزارع ممتدةٌ أكثر مما يحتاج إليها[3]، بينما تميَّزت مراعي القلعة بجودتها وخصوبتها وصلاحيتها للسَّوائم والدَّواب[4]، ومراعي مدينة تاهرت بكبرها وخصوبتها وسعة البريِّة والزُّروع والمياه[5]، وقد أخبر ابن الصَّغير أنَّها كانت كثيرة الكلأ خاصةً في فصل الرَّبيع[6].

أمَّـا مراعي وجدة فهي من أنجع المراعي في بلاد المغرب وأصلحها للظَّلف والحافر[7]، ومراعي مدينة البصرة من أوسعها في تلك النَّواحي وأكثرها زرعاً[8].

ومن الملاحظ أنَّ المراعي وحدها، لم تكن كافيةً، لأنَّها لا تكون خصبةً طول فصول السَّنة، لذلك كانت فضلة التِّبن التي تبقى في الحقول بعد الحصاد، تضمن لأصحاب المواشي مراعي غنيةً لفترةٍ غير قصيرةٍ، خاصةً وأنَّها تتزامن مع فصل الصَّيف الذي تبدأ فيه المراعي بالجفاف، وقد أفتى الفقيه "ابن أبي زيد القيرواني" بجواز رعي فضلة التبن لأنَّها ممَّا لا يرجع إليه صاحبه[9].

---

(1) الحميري: **المصدر السابق**، ص.523.
(2) البكري: **المصدر السابق**، ص.61.
(3) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.254.
(4) **نفس المصدر**، مج.1، ص261.
(5) الإصطخري: **المصدر السابق**، ص.34.
(6) **المصدر السابق** ، ص.41.
(7) البكري: **المصدر السابق**، ص.87-88. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.607 ؛ الظَّلف والظِّلف ظفُرُ كل ما اجترّ وهو ظِلْف البَقرة والشاة والظبْي وما أشبهها والجمع أظلاف.(ابن منظور:**المرجع السابق**، مج.2 ، ص.646) ؛ والحافِرُ من الدَّواب يكون للخيل والبغال والحمير والجمع حَوافِرُ.(ابن منظور: **نفس المرجع**، مج.1 ، ص.670.)
(8) البكري أبو عبيد: **المصدر السابق** ؛ ص110. مجهول : **الاستبصار**،ص.189. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص108.
(9) الونشريسي:**المصدر السابق**، ج.6، ص.149.

وتميَّزت المنطقة الجنوبية الواقعة بين المناطق التلية من بلاد المغرب وبلاد السودان، بكونها صحراءً جافةً تكاد المراعي تنعدم بها، ووصفها ابن حوقل بأنَّها"... مفاوزٌ وبراري منقطعةٌ قليلة المياه متعذرة المراعي لا تُسلك إلاَّ في الشّتاء، وسالكها في حينه متَّصلُ السَّفر دائم الورود والصَّدر..."[1]، وأضاف الإدريسي أنَّ أكثرها "... صحارٍ متصلةٌ غير عامرةٍ وجهاتٌ وحشةٌ وجبالٌ حرشٌ جردٌ لا نبات فيها، والماء بها قليلٌ جداً، لا يوجد إلا في أصل جبلٍ أو في ما اطمأنَّ من سباخها، وبالجملة أنَّه هناك قليل الوجود، يُتَزَوَّد به من مكانٍ إلى مكانٍ..." [2]، ولكنَّ هذا لا يعني انعدام حياةٍ رعويةٍ في بعض المناطق منها، حيث أنَّ المؤلّف الأخير يفيد أنَّ:"...في هذه الصحاصح المذكورة يقع أقوامٌ رحالةٌ ينتقلون في أكنافها ويرعون مواشيهم في أدانيها وأطرافها وليس لهم ثبوتٌ في مكانٍ ولا مقامٌ بأرضٍ وإنَّما يقطعون دهرهم في الرِّحلة والانتقال دائماً، غير أنَّهم لا يخرجون عن حدودهم ولا يفارقون أرضهم ولا يمتزجون بغيرها ولا يطمئنون إلى من جاورهم..."[3].

مـراعي الجبـال:

مثَّلت معظم الجبال في بلاد المغرب مراعي خصبةً، يؤمُّها الرُّعاة بقطعانهم ويقضون فيها معظم أيَّام السَّنة، ومن هذه الجبال، جبل أوراس الذي ذكر "ابن حوقل" أنَّ فيه المراعي الكثيرة، والمياه الغزيرة الدَّائمة[4]، وجبال درن بالمغرب الأقصى التي يقول عنها ابن خلدون: "...تفجَّرت فيها الأنَّهار، وجلَّل الأرض حمراء الشعراء، وتطابقت بينها ظلال الأدواح، وزكت فيها مواد الزرع والضرع،

---

(1) **المصدر السابق**، ص. 99-100.
(2) **المصدر السابق**،ج.1، ص.109.
(3) الإدريسي: **المصدر السابق**،ج.1، ص.109.
(4) **المصدر السابق**، ص.84.

وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد، وطابت منابت الشجر ... [1]، ويذكر الحسن الوزان أن أكثر الرُّعاة يغادرون هذه الجبال في الشتاء خوفاً من البرد الشديد، بينما يقضي بعضهم الشتاء هناك[2]، أمّا جبل "الدّرقة" الذي يقع بالقرب من مدينة تطوان، فوصفه "البكري" بأنَّه في غاية المنعة، وبأنَّ في أعلاه مسارحَ واسعةً، ومروجاً خصبةً للماشية[3].

و كانت الجبال الصَّحراء تمثّل هي الأخرى مناطق مناسبةً للرَّعي، ومنها جبل "المتونة" الذي ذكر البكري أنَّه كثير الماء والكلأ[4].

ملكية المراعي:

أجاز الإمام مالك لأصحاب الأراضي التي عرَّفها أهلها واقتسموها، أن يمنعوا كلأها عن غيرهم إذا احتاجوا إليه، ما عدا في الصحاري والبراري[5]، فبقيت هذه الأخيرة مشاعاً، وكانت الملكية الخاصة مقسمةً إلى فرديةٍ وجماعيةٌ، حيث تكون مساحاتٌ واسعةٌ من المراعي ملكاً لأهل القرية الواحدة، يتوارثونها ويستغلّونها جماعياً، ولكنَّهم كانوا يفضّلون اقتسامها أحيانا فيما ، الأمر الذي كان يوقعهم في خلافاتٍ دفعتهم إلى الاحتكام إلى الفقهاء[6]، وقد تقوم نزاعاتٌ حول ملكية المراعي، بين أهل القرى إذا كانت تقع بينها، ويدعي أهل كل قريةٍ ملكيتها[7].

ج/ رعايـة الحيوانـات:

1- تعليف الحيوانـات:

---

(1) **العبر**، ج.6، ص.298 .
(2) أنظـر: **المصدر السابق**، ج.1، ص.73-74. و ص.187.
(3) **المصدر السابق**، ص.107.
(4) **نفس المصدر**، ص.167.
(5) سحنون بن سعيد: **المصدر السابق**، مج.4، ص.374.
(6) أنظر الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.2، ص.132.
(7) الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.35.

يقوم أصحاب الحيوانات بتعليفها، حتى تحافظ على قوَّتها، وخاصةً إذا أجدبت الأرض، وقد مارس البربر هذه العملية قبل الفتح، حيث كانوا يخبِّئون العلف لحيواناتهم، وكان العلف من ضمن غنائم المسلمين أثناء الفتح[1].

وتزداد الحاجة إلى العلف في فترة الحرب أكثر من غيرها، لأنَّ الحيوانات تبذل مجهوداتٍ مضاعفةٍ، و تزيد الحاجة إلى قوَّتها ونشاطها، لهذا كان الأمراء يجمعونه استعداداً للحرب، وقد كان الأمير الرُّستمي أبو اليقظان يجمع العلف في بيت المال، ويتورَّع عن إطعامه لفرسه[2]، وعندما أراد أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي التجهز لقتال ابن مردنيش[3]، وابن همشك [4]، والنصارى في غرناطة، جمع كمياتٍ كبيرةً من العلف،"... وأعدَّ من القمح والشَّعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو ... ما لم يتقدَّم لملكٍ قبله، ... بقي في ذلك الموضع معداً من عام سبعةٍ وخمسين إلى عام اثنتين وستين وخمس مائةٍ حتى فَنِيَ في أكداسه، وعاد تراباً ورماداً باحتراق بعضه في بعض وإفساد الزَّمان له إفساداً" [5].

واتَّخذ الخليفة المنصور الموحدي أيضاً مخازن للحبوب، بما فيها الشَّعير الذي كان يُخزِّنه لخيله، حيث بنى قرب قصوره هريان[6]، كلٌّ واحدٍ منهما بسقفٍ مقوسٍ، وفي كلِّ سقفٍ طبقةٌ علويةٌ، يوضع العلف في الطَّبقة الأرضية، ويخزَّن في إحدى الطبقتين العلويتين الشَّعير للخيل، وفي الأخرى يخزن القمح، وأُعدِّت طاقاتٌ في

---

(1) المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.17 ؛ الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.34.

(2) ابن الصغير المالكي: **المصدر السابق**، ص.89.

(3) يوسف بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي، أبو الحجاج أمير بلنسية وجهاتها، من قبل "الموحدين" فاستقر فيها، شبه مستقل، إلى أن توفي سنة(582هـ/1186 م).(الزركلي : **المرجع السابق**، ج.8، ص.232.)

(4) إبراهيم بن أحمد بن همشك، أبو إسحاق:كان صاحب جيان Jaen بالأندلس. استقل بحصن (شقوبش) سنة 539هـ، تغلب على شقورة وتزوج بنت محمد بن مردنيش، واتصلت له الرياسة والإمارة.ثم فسد ما بينه وبين ابن مردنيش، وكانت له حروب شديدة مع الموحدين ثم خدمهم آخر أيامه، وكان ذلك من أسباب خروج الأمر عن ابن مردنيش، وقدم إبراهيم على مراكش سنة 571هـ وأسكن بمكناسة، فمات فيها سنة (572هـ/1176م).(الزركلي:**المرجع السابق**، ج.1، ص.29.)

(5) ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص.144.

(6) الهُرْيُ بيتٌ كبيرٌ ضَخْمٌ يُجْمَع فيه طَعام السُّلْطان والجمع أهْراء.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.801.)

سقف هاتين البنايتين يُرقى إليهما بواسطة مدرجٍ من الحجر، تصعد فيه الدَّواب محملةً إلى هذا السَّطح، حيث يُكال الحبُّ ثم يُصبُّ في هذه الطاقات، وإذا أريد إخراج الحبِّ أُكتفي بفتح الثَّقب الموجود في أسفل الهَري، وهكذا يمكن أخذ الحبِّ منهما ووضعه فيهما دون عناءٍ[1].

وجاء في المدوَّنة ذكرٌ لبعض الأنَّواع من العلف مثل الْقِرْطِ[2]، وَالْبِرْسِيمِ وَالشَّعير[3]، لكنَّ هذا الأخير كان يمثِّل المادَّة الأساسية التي يكون منها علف الدَّواب، ويتحكَّم سعره في أسعارها، حتى قالت العامَّة بالأنَّدلس وبلاد المغرب في أمثالها:"إذا رخص الشَّعير غَلَت الحمير"[4]، ومما يدلُّ على أهميته أنَّ يوسف بن تاشفين، عندما أراد صرف ابن عمه أبا بكرٍ بن عمر، عن ملك المرابطين بعد عودته من الصَّحراء، أهداه هديةً ضمَّت سبع مائة مُدٍ من الشَّعير[5].

وتكمن أهمية الشَّعير في أنَّه يُقدَّم علفاً على شكل حبوبٍ أو يزرع قصيلاً فترعاه المواشي[6]، والهدف من زراعة القصيل، هو الحصول على فائدتين معاً، الأولى ضمان المرعى طول فترة الشِّتاء وإلى مستهلِّ الرَّبيع، وهي فترةٌ عصيبةٌ جداً على الرُّعاة المستقرّين، لأنَّ المراعي تُستَهلك خلال فترة الصَّيف، وبقايا الحقول تحرث وتزرع، فتَتَقَلَّص مساحات الرَّعي، أمَّا الفائدة الثَّانية فهي ضمان

---

(1) الحسن الوزان:**المصدر السابق**، ج.1، ص.132-133.

(2) القُرْط الذي تُعْلَفه الدوابّ وهو شبيه بالرُّطْبة وهو أجلُّ منها وأعظم ورَقاً.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.62.)

(3) سحنون بن سعيد : **المصدر السابق** ، مج.3، ص.176.

(4) الزجالي أبو يحيى عبد الله بن أحمد: **أمثال العوام في الأندلس**، مستخرج من كتابه:**ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام**، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، المملكة المغربية، طبعة 1391هـ/1971م، ج.2، ص.20.وجاء في الهامش رقم(67)أن المثل مذكور في أمثال أهل فاس لـ"ابن سودة" مما جعلنا ننسبه إلى أهل المغرب.

(5) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ج.4، ص.26.

(6) القصيل ما اقتُصِل من الزرع أَخْضَرَ والجمع قُصلان، وهو من القَصْل وهو قطع الشيء من وسطه أو أسفل من ذلك قَطْعاً و سمي القَصِيل الذي تعلف به الدواب قَصيلاً لسرعة اقتِصاله من رَخَاصَتِه.(ابن منظور :**المصدر السابق**، مج.3، ص.105.)

محصولٍ من الشَّعير يُستَخدَم علفاً، أو يُخبَّأ زريعةً للعام المقبل، فالأمطار المتساقطة في أواخر الشِّتاء كفيلةٌ بنمو خِلفة القصيل ليكون جاهزاً للحصاد مع بداية الصَّيف.

ويقوم أصحاب المواشي ببيع خلفة القصيل، بعد رعيه، لمن يهتمّ بحصاده، ومن الواضح أنَّهم كانوا يقومون بذلك لعدم حاجاتهم إليه بعد اخضرار المراعي، فينقلون بهائمهم إليها ويربحون أموالاً ببيع خلفته، لكنَّه كان لا يُثمر في بعض المرَّات، بسبب قلّة المطر، أو بسبب رعي المواشي لحبِّه إذا تحبَّب قبل بيعه، دون علم المشتري[1].

ولم يكن الشَّعير العلف الوحيد للبهائم، فالبكري يذكر أنَّ الماشية بأرض أغمات والسوس تعلف ثمر شجر الهلجان، "الذي لا يكون إلا هناك"[2]، كما علَّف سكان بلاد المغرب دوابَّهم نوى التَّمر على عادة أهل الحجاز والعراق[3]، الذين كانوا يطحنونه ويُعلّفونه للبقر، "لقلّة الأقوات عندهم"[4]، وكان النَّوى ببلاد المغرب يُطحنُ في المنازل، و يُسبِّب هذا الأذى للجيران، فهو يُضِرُّ بالبناء وحسُّ سماع الضَّرب يُضِرُّ بالسَّاكن، لذلك كانوا يشكون صاحبه إلى الفقهاء، الذين أفتوا بمنع دقَّ النَّوى داخل المنازل إلاَّ في بعض الأوقات[5]، ويباع نوى التَّمر في الأسواق بثمنٍ معقولٍ، لكنَّ ثمنه يرتفع أحياناً خاصةً وأنَّه كان يستخدم كوقودٍ لصناعة الزُّجاج،

---

(1) البرزلي: **المصدر السابق**، مج.3، ص.20. ؛ أبو زكريا المازوني: **المصدر السابق**: ج.2، ص.716.717.

(2) يذكره البكري باسم الهلجان دون أن يبين صفته.(**المصدر السابق**، ص.163) ؛ ويقول الإدريسي أن اسمه بالبربرية:أرقان، وأنَّه "شجرٌ كبيرٌ يشبه شجر الإجاص أغصاناً وفروعاً وأوراقاً وله ثمرٌ شبيهٌ بثمر العيون في أول نباته قشرته العليا رقيقة خضراء فإذا تناهت اصفرت لكنها في نهاية العفوصة والحموضة وداخله نرى شبيه بالزيتونة المحدودة، الرأس صلب، ولا يطيب طعم هذا الثمر البتة". (الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.230-231) ؛ ويتفق الحميري مع الإدريسي في تسمية هذا النبات إلاَّ أنه يصفه وصفاً مخالفاً".(الحميري: **المصدر السابق**، ص.330) ؛ ويقول عز الدين أحمد موسى إنَّ اسمه الهرجان أو الأرقان.(**المرجع السابق**، ص.196.)

(3) يقول عز الدين أحمد موسى:"... إن البلاد الجريدية لم تعرف الأبقار مع كثرة ثمرها مما يدعو إلى الظن أنهم لم يعرفوا تجارب العراق في طحن نوى التمر والرطب والبسر علفاً للبقر".(**نفس المرجع** ، ص.199.) لكن استنتاج غياب عادة طحن نوى التمر لتعليفه، من غياب البقر أمرٌ غير منطقي.

(4) ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.6، ص.255-256.

(5) الونشريسي:**المصدر السابق**، ج.8، ص.445.

لدرجة أنَّ الفقيه "السيوري"، أفتى بمنع استخدامه في هذه الصناعة إذا كانت حاجة النَّاس إليه، وليست حاجتهم إلى عمل الزُجاج[1].

2- إيـواء الحيوانات:

يُؤوي سكان بلاد المغرب حيواناتهم، حفاظاً عليها من السَّرقة أو السِّباع أو العوامل الطبيعية المختلفة، وقد اختلفت أساليبهم في ذلك، لكنَّ أغلبهم كانوا يتَّخذون إسطبلاتٍ، وكانت إسطبلات الملوك والأمراء وأهل الجنود ومن في معناهم، تعبِّر عن ثرائهم وقوَّتهم[2]، ويقدَّم الحسن الوزان وصفاً للإسطبلات التي هيَّأها المنصور الموحدي لدوابه في مدينة مراكش، فيذكر أنَّه اتَّخذ ثلاثةً للخيول، وواحداً للبغال التي كان يركبها، وآخر بالقرب من قصر رئيس إسطبلاته خصَّصه للحجرات، وكانت إسطبلات الخيول مقوَّسة السُّقوف، ويسع كلُّ واحدٍ منها ثلاثة مائة فرسٍ، بينما تضمُّ إسطبلات البغال مائة بغلٍ[3].

وكان بعض الأمراء يبيِّتون دوابَّهم في ديارهم، زهدا منهم وتقشفاً، مثل إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر المخزومي[4]، الذي كان يعيش هو وأمُّ ولده وفرسه في بيتٍ واحدٍ[5]، وعبد الرحمن بن رستم، الذي كان يربط فرسه في ناحيةٍ من داره[6].

أمَّا العامَّة فاتَّخذوا إسطبلاتٍ خلف بيوتهم أو في مواضع خربةٍ بالقرب من منازلهم حتى يتجنَّبوا ضررها من زبلٍ ورائحةٍ، ولكنَّها كانت تُسبِّب الأذى للجيران

---

(1) أنظر الونشريسي : **نفس المصدر**، ج.8، ص.440.
(2) ابن خلدون: **المقدمة**، ص.377.
(3) **المصدر السابق** ، ج.1، ص.132-133 ؛ الحُجُرات بضم الجيم والحُجَرٌ، جمع حُجْرَةٍ وهي حظيرة الإبل.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1ص.572.)
(4) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، أبو عبد الحميد وهو أحد التابعين العشرة، مخزوميٌ قرشيٌ بالولاء، استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين سنة 99 هـ/718-717م، فأسلم على يديه جمهورٌ كبيرٌ من البربر، توفي بالقيروان132 هـ/750م.(الزركلي : **المرجع السابق**، مج.1، ص.319.)
(5) الدباغ : **المصدر السابق**، ج.1، ص.206.
(6) ابن الصغير : **المصدر السابق**، ص.29.

في بعض الأحيان، فيشكون ذلك إلى الفقهاء الذين يجبرون أصحابها على إزالتها رفعاً للضَّرر، وقد يستشيرون أهل البناء، لكي يحتالوا لصاحب الدَّابة الذي لا غنى له عن دابته[1].

ويتبيَّن من خلال إحدى الوثائق التي أوردها عبد الواحد المراكشي، أنَّ سكان بلاد المغرب كانوا يُبَلِطُون الإسطبلات، ويسندون تبليطها إلى الصَّخاريين الذين يحضرون الصَّخر من الجبال، ويشترط أن يكون الصخر مبسوطاً مرتفعاً غليظاً[2].

ولم يكن الرُّعاة الرُّحل يبنون إسطبلاتٍ لأنَّهم في تنقلٍ دائمٍ، لكنَّهم كانوا يحفظون حيواناتهم بطرقٍ تتلاءم مع ظروفهم، فيحيطها بعضهم بسياجاتٍ عاليةٍ جداً من الأشواك[3]، بينما يقوم رعاة الجبال ببناء شبه إسطبلاتٍ منخفضةٍ مغطاةٍ بأغصان الشجر يخبئون فيها حيواناتهم بالليل[4]، وفي أيام الثَّلج يدخلونها في كهوفٍ يجعلون فيها كمياتٍ كبيرةً من العلف لأنَّ الثلج يستمرُّ هناك لفتراتٍ طويلةٍ[5]، وهذا ما كان يفعله أهل مدينة "تبسا"[6]، وأمَّا الرُّعاة الذين ينتجعون جبال الأطلس في المغرب الأقصى فيذكر الحسن الوزان أنَّ بعضهم كانوا يوقدون ناراً شديدةً قرب الزَّرائب لتدفئة المواشي، وأنَّهم لم يكونوا يحيطون هذه الزرائب بسياجٍ عالٍ لأنَّ الرِّياح تحمل النَّار إليها أحياناً، فيسهل خروج المواشي[7].

3- تكاثر الحيوانات:

اهتم المغاربة بتكاثر حيواناتهم، والحرص على نقاء جنسها، فكانوا يختارون أفضل الأنَّواع من الذكور ليزاوجوها من إناثها، عن طريق تربيتها مثلما كان يفعل

---

(1) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.9، ص.8.
(2) **وثائــق**، ص.309.
(3) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج.1، ص.365.
(4) الحسن الوزان:**نفس المصدر**، ج.1، ص.187.
(5) الوزان: **نفس المصدر**، ج.1 ص.74.
(6) البكري:**المصدر السابق**، ص. 145-146. ؛ الحِميري:**المصدر السابق**، ص.130.
(7) **المصدر السابق**، ج.1، ص.187.

المنصور بن أبي عامر الذي يُعِدُّ أوان الاستنتاج، مائة رأسٍ من فحول الخيل، لثلاثة آلاف من الرِّماك[1]، أو عن طريق الاستعارة، أو الكراء الذي أجازه الإمام مالك دون أبي حنيفة والشافعي[2]، حيث أباح أن يكري الرَّجل الفحول من الإبل والبقر والدَّواب، لكنَّه اشترط في ذلك أن يسمِّي الفترة التي اكتراه من أجله، سواء كانت طويلةً أو قصيرةً، ولا يجوز استئجاره حتى تَعْلِقَ الأنْثى، فهذه إجارة فاسدة[3].

د/ مشاكـل تربية الحيوانـات:

1- الفتن والاضطرابات السياسية:

عرفت تربية الماشية في بلاد المغرب، خلال الفترة الممتدَّة من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، الكثير من المشاكل التي أثَّرت عليها سلباً، ومن بين هذه المشاكل، الفتن والإضطرابات السياسية، والحروب التي شهدتها المنطقة من حينٍ لآخر، والتي أثَّرت في الحياة الاقتصادية بصفةٍ عامةٍ، وتربية الحيوانات بصفةٍ خاصةٍ، لأنَّ الحروب والفتن _كما يقول عبد الله العروي _ يلحق ضررها بالشَّجر المثمر والحيوان أكثر مما يلحق بالمحاصيل الزراعية[4].

ومن أضرارها، أنَّها كانت تؤدي إلى موت الحيوانات، سواءٌ بسبب الأمراض التي تتعرَّض لها، مثلما حدث في غزوة أبي القاسم بن عبيد الله على مصر، حين وقع الموتـان في خيله[5]، فـجاءت

---

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص.99-100.
(2) سحنون بن سعيد: **المصدر السابق**: مج.3، ص.401. ؛ ابن رشد :**المصدر السابق**، ج.2، ص.224.
(3) سحنون بن سعيد:**المصدر السابق**، مج.3، ص.401 ؛ عَلِقَتْ من العَلُوق وهو ماء الفحل، ويراد بالعَلُوق الولد في بطنها.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.863.)
(4) **مـجمل تـاريخ المـغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1996م، ج.2، ص.223.
(5) ابن خلدون: **العبـر**، ج.4، ص 405.

الخسائر كبيرةً، حيث كان عدد خيوله عند خروجه من بلاد المغرب، خمسمائة ألف فرسٍ، وعند رجعته، وجد الخيل خمسة عشر ألفاً فقط[1]، أو بسبب تعرضها لإصاباتٍ قاتلةٍ[2].

وتُعرِّض حالةُ الفوضى الحيوانات للسَّلب والنَّهب، لضعف أو غياب السلطة المركزية التي توفّر الأمن، أو لانشغالها بإخماد الحروب والثَّورات، ويبدو أنَّ هذه الظاهرة كانت كثيرة الإنتشار في بلاد المغرب، حتى تورّع الفقهاء في بعض الفترات عن أكل اللَّحم مخافة الحرام، فيذكر المالكي أنَّ "أبا جعفر القمُّودي" (ت324هـ/ 936م)،لم يكن يأكل اللَّحم لاشتباه أغنام الناس واختلاطها في الحروب التي كانت[3].

وأصبحت الدَّواب المغصوبة تشكلُّ مشكلاً للمتعاملين فيها شراءً أو استخداماً، لخوفهم من الحرام، وصار النَّاس يقسِّمونها حلالاً وحراماً، فيقولون لفلان دابةٌ حلالٌ، وللآخر دابةٌ حرامٌ[4]، وكثرت أسئلة النَّاس للفقهاء، الذين لم يكونوا يتساهلون في أمرها، فقد أفتى الفقيه ابن لبابة عندما سئل عمن اشترى غنماً وفيها شياهٌ مغصوبةٌ لا يعرفها، بأنَّ عليه أن يتحرَّى ويخرج مالاً يشاكلها إلى المساكين إن لم يعرف أهلها[5]، كما ألزم نفس الفقيه الرَّجل الذي اشترى دابةً وهو يعلم أنَّها حرامٌ مغصوبةٌ، بردِّها على صاحبها بلا ثمنٍ، وبأن يطالب هو بائعها بالثَّمن، وإن فاتت الدَّابة بالنماء أو بالنُّقصان، غَرِم إلى صاحبها قيمتَها فتكون توبته[6]، وأفتى

---

(1) الصنهاجي: **المصدر السابق**، ص.24.
(2) أنظر الونشريسي:**المصدر السابق**، ج.5، ص.204.
(3) **المصدر السابق**، ج.2، ص.217.
(4) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.6، ص.181-182.
(5) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج.5، ص.251-252.
(6) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.6، ص.189.

بعض الفقهاء بحرمة المعاملة في نسل الدَّواب المغصوبة إلا بإذن من غُصِبَت منه، وبعد أن يتخلَّص الغاصب من تباعتها بدفع قيمتها وقيمة أمَّهاتها إلى المالك[1].

ولم تكن الصَّحراء بعيدةً عن هذه المشاكل، فقد كانت الإبل معرَّضةً للسَّلب هي الأخرى، حسب ما جاء في نص فتوى سئل فيها ابن الحاج[2] عن أهل الصَّحراء من المرابطين، "... الذين كان بغى بعضهم على بعضٍ في أموالهم وأكثرها الإبل، فتناتجت وتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، وذهبت تلك الإبل وبقيت نسولها ويريد من هي بيده أن يتحلَّل منها، وكيف إذا أهدى من نسلها من هي بيده لأمير المسلمين هل له أن يقبلها ثم يُثيب عليها من بيت المال أم لا؟، وكان جوابه أنَّ " ... من بغى، فيتحلَّل منها بأن يتصدَّق بقيمتها وينوي بذلك الصَّدقة على أربابها، وأما أكل أمير المسلمين منها ويثيب عليها من ماله فلا، وله أن يقبلها للمسلمين ويثيب عليها للمسلمين ومن بيت مالهم"[3].

ومن الأمثلة على تأثير الاضطرابات السياسية سلباً على تربية الحيوانات، ما ذكره ابن حوقل عن مدينة "طبنة" التي قال إنَّها:"كانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنَّعم، فحدث بينهم البغي والحسد إلى أن أهلك الله بعضهم ببعضٍ، وأتى على نعمهم فصاروا بعد السَّعة والدّعة إلى الضِّيق والذِّلَّة والصَّغار والشَّتَّان والقلَّة، مشرَّدين في البلاد مطَّرحين في كلِّ جبلٍ وواد"[4].

ونفس الأمر حدث لمدينة تاهرت، حيث أصبح أهلها وجميع من قاربها في وقت ابن حوقل، "...فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط وكثرة القتل

---

(1) أبو زكريا المازوني: **المصدر السابق ،** مج.3، ص.152-153.

(2) محمد بن أحمد بن خلف التجيبي، المعروف بابن الحاج:(458هـ/529هـ- 1134/1066 م)قاضي قرطبة، كانت الفتيا في وقته تدور عليه، واستمر في القضاء إلى أن قتل ظلماً بجامع قرطبة وهو ساجد، له كتاب في " نوازل الأحكام " تداوله الناس زمنا بعده.(الزركلي: **المرجع السابق**،ج.5، ص.317.)

(3) البرزلي: **المصدر السابق**، ج.5، ص.119 ؛ الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.10، ص.449 ؛ وسئل ابن رشد أيضاً عن نفس الفتوى. أنظر البرزلي: **المصدر السابق**، ج.5، ص.118 ؛ الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.9، ص.542.

(4) **المصدر السابق**، ص.85.

والموت"[1]، بعدما كانت"... إحدى معادن الدَّواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسَّمن وضروب الغلات"[2].

ويعتبر دخول العرب الهلاليين إلى بلاد المغرب[3]،في منتصف المائة الخامسة[4]، من أكبر المشاكل التي أثَّرت سلباً على تربية الحيوانات بصفة عامةٍ والماشية بصفة خاصة، لأنَّهم كانوا بدواً رحلاً يربُّون المواشي والخيل ويطلبون المراعي[5]، وأحدثوا حالةً من الفوضى وعدم الاستقرار، حيث"...سارت قبائل دياب وعوفٍ وزغبٍ وجميع بطون هلالٍ إلى إفريقيَّة كالجراد المنتشر، لا يمرُّون بشيءٍ إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى إفريقيَّة سنة ثلاثٍ وأربعين"[6]، ونازلوا مدينة القلعة، "... وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخرَّبوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضِّياع والمدن فتركوها قاعاً صفصفاً أقفر من بلاد الجنِّ، وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشَّجر وأظهروا في الأرض الفساد، وهجَّروا ملوك إفريقيَّة والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار وملكوا عليهم الضواحي يتحينون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ويأخذون لهم الإتاوة على التصرُّف في أوطانهم..."[7].

---

(1) **نفس المصدر**، ص.93.

(2) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.86.

(3) حول دخول العرب إلى بلاد المغرب أنظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، مج.8، ص.296/295 ؛ ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.6، وما بعدها.

(4) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.17.

(5) مارسيه جورج: مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية مصر، د.ت.ط، ص.237.

(6) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.20.

(7) ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج.6، ص.16.

ويفيد الإدريسي أنَّ العرب أضرَّت أطرابلس وما حولها، وأجْلَت أهلها وأقفرَتْ بواديها وغيَّرت أحوالها وأبادَت أشجارها وأغورَت مياهها[1]، ويذكر ابن سعيدٍ المغربي (ت685هـ/ 1286م)، أنَّ مدينة سُرت التي تقع شمالي زويلة، كانت من القواعد القديمة المذكورة في الكتب وعلى ألسن المارَّة، وقد خرَّبها العرب ولم يبق فيها إلاَّ قصورٌ سكنها أتباعهم"[2].

وكانت القوافل إذا خطرت بين قصور قفصة في البلاد الجريدية، تكمُّ إبلها ودوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على تلك الطريق، بينما صارت خربةً لا أنيس بها منذ دخلت العرب بلاد إفريقيَّة وأفسدت بلاد القيروان وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثير من المدن بإفريقيَّة[3].

وكان البدو البربر هم أوَّل من تضرَّر من أعمال البدو العرب[4]، لأنَّ الفلاَّح "...يستطيع أن يُخبِّئ الحبوب في مطامير، ولكنَّه لا يستطيع أن يخفي الأشجار والماشية"[5].

وقد اغتصب الأعراب الدّواب من أصحابها، حتى صارت كلُّ أموالهم في نظر غيرهم حراماً، وصار شراء الحيوانات منهم أمراً محاطاً بالخوف من الوقوع في الحرام، فأمر الفقيه "اللّخمي" من اشترى بقراً من العرب ليستعمله في السقي

---

(1) الإدريسي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.297.
(2) **المصدر السابق**، ص.128.
(3) مجهول:**الاستبصار**، ص.154. ؛ الحميري:**المصدر السابق**، ص.398.
(4) العروي عبد الله: **المرجع السابق**،ج.2، ص.223.
(5) "مارسل أمري"نقلا عن؛ العروي: **نفس المرجع**، ج.2، ص.223.

والحرث وغير ذلك من أعمال الفلاحة ويستعين به على ضرورياته، أن يتصدَّق بثمن ما اشتراه حتى يطيب له، إلاّ أن يكون ضيِّق الحال[1].

وتعدَّت تأثيرات العرب على تربية الحيوانات، مجرَّد الخراب وحالة الفوضى التي عمَّت أرجاءاً كثيرةً من بلاد المغرب، إلى إحداث تغييرٍ جذريٍ في حياة الرُّعاة من البربر الذين عرفوا حياة التّرحال والإنتقال الموسمي بقطعانهم إلى المناطق القريبة من السَّواحل الخصبة منذ القدم[2]، فارتفع عدد البدو في المنطقة بنسبٍ كبيرةٍ[3]، حيث انضافت إلى القبائل الرَّعوية البربرية قبائل أخرى عربية[4]، ولأنَّ البدو يحتاجون إلى مراعٍ، كان لابدَّ للوافد أن يطرد من سبقه إليها[5]، وكانت قبيلة زناتة تمثل العنصر البدوي البربري[6]، وتنتقل بطونها في منطقةٍ واسعةٍ تمتد في جنوب وغرب إفريقيَّة والمغرب الأوسط، من الجريد حتى سهول ولاية وهران[7]، وعندما جاء العرب "... دخلوا البلد واستباحوه، واكتسحوا المكاسب، وخرَّبوا المباني، وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها، واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها، وشملوا بالعيث والنَّهب سائر حريمها، وتفرَّق أهلها في الأقطار، فعظمت الرَّزية، وانتشر الدّاء، وأعضل الخطب، ثم ارتحلوا إلى المهدية فنزلوها وضيَّقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السَّابلة، ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي[8]، وقد تمكَّنوا من دحرها في

---

(1) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.9، ص.560.
(2) مارسيه جورج: **المرجع السابق**، ص.236.
(3) مارسيه جورج: **المرجع السابق**، ص.238.
(4) العروي: **المرجع السابق**، ج.2،ص.223.
(5) العروي: **نفسه**.
(6) مارسيه جورج: **المرجع السابق**، ص.238.
(7) مارسيه جورج: **المرجع السابق**، ص.239.
(8) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.22.

المغرب الأوسط، وإجبارها على الإتّجاه نحو الغرب إلى ما وراء نهر ملوية[1]، فلم يعد لهم اتصالٌ بسهول قسنطينة والزَّاب حيث استقرَّ العرب[2].

2- الظروف المناخية:

هدَّدت التقلُّبات المناخية حياة الحيوانات، وكان الجفاف هو الأكثر خطورةً، لأنَّ مدّته تطول أحياناً لأكثر من ثلاث سنواتٍ[3]، وقد تَكرَّر عدَّة مراتٍ خلال قرنٍ واحدٍ، واستمرَّ في إحداها أكثر من عشر سنوات[4].

وكان فصل الشّتاء يشكل أيضاً خطراً على الحيوانات، حيث تنخفض فيه درجات الحرارة ببعض المناطق المرتفعة في الشَّمال إلى درجاتٍ دنيا[5]، لذا كان أهل المغرب يجنِّبون حيواناتهم ومواشيهم البرد الشَّديد عن طريق الرِّحلة قبل حلول الشّتاء، نحو الجنوب حيث المناطق الأكثر دفئاً، وخاصةً الإبل، لأنَّها كما قال ابن خلدون: "...أصعب الحيوان فصالاً ومخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدِّفء"[6]، وكان الرُّعاة الذين ينتجعون جبال الأطلس في المغرب الأقصى أثناء الصَّيف، يغادرونها في فصل الشّتاء خوفاً من الرِّياح الخطيرة التي تعقب سقوط الثَّلج، وتقتل كل الحيوانات التي تصيبها فيها[7].

ويتسبَّب البَرَدُ أحياناً في قتل المواشي والدَّواب، مثلما حدث سنة 339هـ/950-951م، عندما نزل بَرَدٌ عظيمٌ كبير الحجر، زنة الحجر منه رطلٌ وأزيد، قتل

---

(1) العروي عبد الله: **المرجع السابق**، ،ج.2،ص.223.
(2) مارسيه جورج: **المرجع السابق**، ص.240.
(3) أنظر ما قبل، ص.38.
(4) أنظر ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.96 وما بعدها، و ص.115.
(5) أنظر ما قبل، ص.34.
(6) **المقدمة**، ص.115.
(7) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج.1 ص.73.

الطيور والوحوش والبهائم، وطوائفَ من النَّاس وكسر الثِّمار والشَّجر[1]، وفي سنة 342هـ/953م، نزل بَرَدٌ لم يعهد مثله، قتل المواشي أيضاً[2].

3- الأمـراض:

كانت الحيوانات عرضةً للكثير من الأمراض التي تُعطبها وتؤدِّي إلى هلاكها[3]، ومن بين هذه الأمراض الحفا[4] الذي يصيب حوافر الدَّواب، ويعالج عن طريق تسخين الرَّمل وجعله في بيتٍ تدخله الدَّابة مدة ثلاثة أيامٍ[5]، والجُدَريُّ[6] الذي يصيب الشِّياه، والذي اختلف العلماء حول عدّه عيباً ترد به الشَّاة[7]، وكان القُرْدُ الذي يتسبب في هلاك الدَّواب، يعدُّ عيباً تردُّ به الدَّابة[8].

وتحدث "الونشريسي" في "المعيار"، عن داءٍ لم يذكر اسمه، وهو يُضعِف الدَّابة فتمسي لا تطيق المشي إلاَّ أن تأكل[9]، ويبدو أن ذبح المواشي المريضة كان وسيلةً يلجأ إليها أصحابها، لينتفعوا بلحمها عن طريق أكله أو بيعه، بدل خسارتها كليةً[10].

4- الأسـود:

---

(1) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.100.
(2) **نفسـه**.
(3) أنظـر الملحقين: 1و2.
(4) الحَفا رقَّة القَدم والخُفِّ والحافر، وهي أن يكثر عليه المشي حتى يُؤلِمَه، ويقال حَفِيَ يَحْفَى حَفاً إذا انْسَحَجَتِ القدم أو فِرْسِنُ البعير أو الحافرُ من المَشْيِ حتى رَقَّت.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.677.)
(5) أبو زكرياء : **المصدر السابق**، ص.70.
(6) وردت في متن المعيار الجذري بالذال، لكني لم أعثر على هذه الكلمة،ولعلها الجُدَريُّ، بضم الجيم وفتح الدَّال وبفتحهما لغتان، وهي قُروحٌ في البدن تَنَقَّطُ عن الجلد مُمْتَلِئَة ماءً وتَقَيَّحُ.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.417.)
(7) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج6، ص.50.
(8) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج.6، ص.189. القُرْدِ جمع القُرادُ وهو دُوَيبَّةٌ صغيرة تَعَضُّ الإبل.(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.3، ص.50.)
(9) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص.28.
(10) أنظر البرزلي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.623 ؛ الونشريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص.28

شكّلت الأسود خطراً حقيقياً هدَّد الحيوانات، خاصةً في بعض المسارح المجاورة للأراضي المَأسَدَةً[1]، وتميَّزت الأسود في بلاد المغرب بقوَّتها وشراستها، حيث ذكر الحسن الوزان أنَّها متوحشةٌ وخطيرةٌ جداً على الحيوانات وعلى النَّاس، حيث كانت تهاجم القطعان دون ترددٍ وهي من القوَّة بحيث تستطيع أن تحمل جملاً[2]، وكانت الأسود التي تعيش في الأماكن الباردة أقلُّ جرأةً وشراسةً وإذايةً، من التي تعيش في المناطق الحارَّة فكلَّما اشتدَّ الحرُّ، زادت شراستها وجرأتها، وتعتبر الأسود التي تعيش بين "تامسنا" و"فاس"، وفي صحراء "أنكاد" بالقرب من تلمسان، وبين عنابة وتونس، أشهر أسود بلاد المغرب وأكثرها شراسة[3]، ومن المناطق التي انتشرت فيها الأسود منطقة أجرّ التي تقع قرب جلولا، والتي ذكر البكري أنَّها كانت مَأسَدَةً، لا تكاد تخلوا من أسدٍ، مع وعورتها وكثرة حجارتها حتى قيل فيها:"إذا جئت أجرّ فعجِّل فإنَّ فيها أسداً يفرى وحجراً يبرى وريحاً تذرى[4].

وكان الرُّعاة يحيطون مواشيهم بسياجاتٍ عاليةٍ جداً من الأشواك ويسهرون الليل كله في حراستها من الأسود، مثلما هو حال الرُّعاة الذين ينتجعون سهل أزغار إيكمارن في إقليم فاس في فصل الصَّيف وهو سهلٌ محاطٌ بجبالٍ مكسوةٍ بالغابات يشبه مرجاً ينمو فيه العشب طوال السَّنة[5].

هـ/ الرّفق بالحيوانات:

يحثُّ الإسلام على الرفق بالحيوانات ويحرِّم إذايتها أو تعذيبها، لقوله صلى الله عليه وسلَّم: «"عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ

---

(1) أرض مأسَدةٌ كثيرة الأسود والمأسَدة يقال لموضع الأسد ويقال لجمع الأسَد مأسدة أيضاً.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.1، ص.59.)

(2) **المصدر السابق**، ج.2 ص.265-266.

3 الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج.2 ص.265-266.

(4) **المصدر السابق**، ص.54.

(5) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج.1، ص365.

أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"»[1]، وقد فرَّق المسلمون بين ذبح الحيوانات لأكلها والإنتفاع بها، وبين قتلها للمتعة أو التّنافس أو غيرها، ولا يحلُّ قتل ما يحلُّ أكله منها[2].

وأوجب على المسلم مراعاة الإحسان إليها، حتى عند ذبحها، لقوله صلَّى الله عليه وسلّم:«"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبح وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"»[3]، لذا أجمع فقهاء المالكية في بلاد المغرب على كراهة الذَّبح بغير الحديد مع وجود الحديد[4]، واعتبروا الذَّبح بمنجل الحصاد المضرَّس أو المنشار، قتلاً للبهيمة وليس ذبحاً، وجاء فيه النّهي الشّديد لأنَّه يعذِّبها، إلاَّ أنَّ "البرزلي" ذكر أنَّ بعض المتأخرين أفتى بجواز تذكية المنجل الذي دَثَرَ سِنُه كالسكّين، شرط أن يذبح به ذبحا حسناً[5].

وبيَّنت كتب الحسبة بعض المخالفات التي كان النَّاس يقعون فيها، وتتسبَّب في إذاية الحيوانات أو إرهاقها، بتحميلها فوق طاقتها، وحثت أرباب الدَّوابِّ " ... أن يَتَّقوا اللَّهَ سبحانه وتعالى فِي اسْتِعمالِهَا، وأن يُريحوهَا فِي كلِّ يومٍ، وليلةٍ لحاجتها إلى الرَّاحة والسُّكون"[6]، وعدَّ المحتسبون إثارة التَّحريش بين الحيوانات منكراً معروفاً، كما أنكروا نطاح الكباش، ونقار الدُّيوك وغيره[7]،وكانوا يلزمُون الجزارين والقصَّابين بألاَّ يجرُّوا الشَّاة برجلها جراً عنيفاً، ولا يذبحوا بسكينٍ كالَّـةٍ[8]، ويأمرون جلاَّبي الحطب والتِّبْن ونحوهم إذا وقفوا بها في العِرَاصِ، أن

---

(1) الألبـاني: **السلسلة الصحيحة**، ج.1، ص.66.
(2) ابن الأخوة: **المصدر السابق**، ص.242.
(3) مسلم بن الحجاج: **المصدر السابق**، ج.2، ص.177.
(4) ابن رشد:**المصدر السابق**، ج.1، ص.448.
(5) البرزلي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.614-615.
(6) ابن الأخوة: **المصدر السابق**، ص.89.
(7) ابن الأخوة: **المصدر السابق**، ص.242.
(8) عبد الرحمن بن نصر الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1401هـ/1981م، ص.27. ابن الأخوة: المصدر السابق، ص.98 ؛ الكـالُّ هو السَّؤُوم الذي

يضعوا الأحمال عن ظهور الدَّواب، لأنَّها إذا وقفت والأحمال عليها أضرَّتها وكان في ذلك تعذيبٌ لها[1].

وقد أنكر الفقهاء في بلاد المغرب على من يعذِّب الحيوانات أو يؤذيها، سواءٌ كان متعمداً أو غير متعمدٍ، وجاء في المعيار أنَّ أذى البهائم والعنف على الدَّواب، كإثقالها بالأحمال التي لا تَستَقِلُّ بها، وإرهاقها في سرعة المشي بالضَّرب والزَّجر الشَّديد، ليُستَخْرَج منها فوق وُسعها، من المَنَاكِرِ التي يجب الإحتساب فيها ومنعهم منها، ولا حجَّة لصاحبها في كونها ملكٌ له، فإن الحيوان محترَمٌ، وحفظ النَّفس واجبٌ"[2]، وكانت هذه المخالفات معروفةً عند بعض النَّاس من حمَّالي الزرع ونقَّالي الحجارة والجبص والخدَمَةِ من الزّمَّالين وغيرهم[3].

حيث تصدَّى الفقيه أبو محمد عبد الله بن فَرُّوخ الفارسي[4]، لإسحاق بن الأمير يزيد بن حاتم، عندما رآه يغري كلابه على ضبيٍ ليُضريها، فنهشته ومزَّقت جلده، وقال له: "بابنيَّ إنِّي رأيتك آنفاً تغري كلابك بشيءٍ من البهائم، وما أحبّ ذلك لأنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم نهى عن ذلك"، فقال: صدقت يا أبا محمد جزاك الله خيراً، ثمَّ قال: "والله لا فعلت ذلك بعد هذا أبداً"[5].

أصابَتْه السآمةُ(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.3، ص.879.) ، أما السيف والسكين وغيره من الشيء الحديد إذا لم يقطع فيقال له كَلَّ يَكِلُّ كَلاً وكِلَّة فهو كَلِيل وكَلٌّ أي بيّن الكِلَّة (**نفسه**:مج.3، ص.287.)

[1] الشيرزي: **المصدر السابق** ، ص.13-14. ابن الأخوة: **المصدر السابق**، ص.78.

[2] الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.2، ص.501.

[3] الونشريسي:**نفس المصدر**، ج.2، ص.501 ؛ الزَّمال الحمَّال، لأنَّ الزَّمْل والزِّمْل عند العرب الحِمْل.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.2 ص.47.)

[4] عبد الله بن فروخ الفارسي، أبو محمد (115-176هـ/733-792م): فقيه من العلماء بالحديث، من أهل إفريقية، ولد بالأندلس، سكن القيروان وعرض عليه روح بن حاتم القضاء، فأبى وخرج حاجاً فتوفي بمصر في عودته.(الزركلي:**المصدر السابق**، ج.4، ص.112.)

[5] الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.244-245.

وأفتى ابن القاسم بتضمين الرَّجل الذي يَرُشُّ بين يدي حانوته رشاً كثيراً فتَنْزَلِق الدَّواب وتَنْكَسِر، إلاَّ أن يكون الرَّشُّ شيئاً خفيفاً[1]، وأوجب أبو الحسن القابسي(ت403هـ/1012م)، الأدب الوجيع على رجلٍ أراد أن يذبح تيساً، فعمد إلى موضع منبت الشَّعر من شدقيه، فسلخ الجلد من ذلك الموضع إلى أن بلغ المذبح ثمَّ ذبح"...حتَّى لا يعود واحدٌ إلى هذا الفعل"[2].

وعيَّن الأمير الرُّستمي أبو اليقظان محمد بن أفلح، "... قوماً من نفوسة يمشون في الأسواق، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وإن رأوا دابةً حُمِلَ عليها فوق طاقتها أنزلوا حِمْلها وأمروا صاحبها بالتَّخفيف عنها"[3]، وهذا يبين أنَّ الحرص على حماية الحيوانات من تعدِّي أصحابها لم يكن من شأن المالكية وحدهم.

وفي الأخير يمكن الاستنتاج أنَّ الرعاة في بلاد المغرب، كانوا ينقسمون إلى مستقرين وهم الذين يمارسون حرفاً ونشاطاتٍ أخرى إلى جانب الرّعي، وهؤلاء إما مُلَّاك للحيوانات أو مستأجَرون لرعايتها أو عبيد، ومتنقلين وهؤلاء لا يشتغلون بغير الرعي، وقد كانت المراعي كثيرةً في بلاد المغرب، واشتهر بعضها بملاءمته لنوعٍ معينٍ من الحيوانات دون غيره.

واهتمَّ المغاربة بإيواء الحيوانات، وعملوا على تعليفها حفاظاً على قوتها، كما حرصوا في تكاثرها على اختيار أنواعها، وواجهت تربية الحيوانات بعض المشاكل التي أثرت عليها سلباً، مثل الحروب والظروف المناخية والأمراض، وغيرها، وقد عرف المجتمع المغربي ظاهرة الرفق بالحيوانات، وكان للفقهاء دورٌ كبيرٌ فيها.

---

(1) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.6، ص.240 ؛ أحمد بن سعيد المجيليدي: **التيسير في أحكام التسعير**، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1970م ص.70.

(2) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.2، ص.30.

(3) ابن الصَّغير: **المصدر السابق**، ص.89.

الفصل الرابع:
دور الحيوانات في اقتصاد بلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين

الفصل الرابع: دور الحيوانات في اقتصاد بلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين

- أ/ استخدام الحيوانات في الزراعة
- ب/ استخدام الحيوانات في الصناعة

- ج استخدام الحيوانات في التجـارة

أ/استخدام الحيوانات في الزراعة:

عرَّف ابن خلدون الزِّراعة بأنَّها "القيام على إثارة الأرض للأقوات والحبوب وازدراعها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسَّقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثمَّ حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه، ودواعيه"[1]، ويُبَيِّن هذا التَّعريف أهمَّ مراحل العملية الزِّراعية، من إثارة الأرض، إلى علاج النَّبات وسقيه، وحتى حصاد السُّنبل واستخراج حبِّه من غلافه، وسنحاول في هذا العنصر أن نُبيِّن دور الحيوانات في هذه المراحل ببلاد المغرب.

1- التَّسميـد:

تسميدُ الأرض هو أن يُجْعَل فيها السَّمادُ، وهو ما يُطرح في أُصول الزَّرع والخُضَر من العذرة والزِّبْل ليَجود نَباتُه[2]، وهو مهمٌ جداً في العملية الزِّراعية

---

[1] **المقدمـة**، ص.376.

[2] ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.2، ص.199.

فـ"... تعمير الأرض بالزِّبل والتِّبن يُصلح الأرض، ... والزِّبل يفتح مسام الأرض ويُجوِّدها لولوج العروق..."[1].

وقد وَضَع أهل البصر بالفلاحة معايير لتزبيل الأرض، وتحديد أصناف الزُّبول وخصائص السِّرْقِين[2]، فاختلفت أهميَّة زبل كلِّ بهيمةٍ عن غيرها، وكان أجوده "... زَرْقُ الحمام، ثم زبل النّاس، ثم زبل الحمير ثم المعز ثم الضَّأن ثم البقر ثم الخيل، والبغال أخسُّها، إلاَّ أن يُخلط بغيره"[3]، كما خصَّصوا كلَّ صنفٍ منها، بنوعٍ معينٍ من النَّباتات والأشجار والزُّروع[4].

واشترطوا في زبل البهائم أن يُترك مدةً حتى ينضج وتموت البذور التي فيه، لأنَّ الدَّواب تأكل الحشائش وبذورها لا تنضج في بطونها، ممَّا قد يؤدِّي إلى نمو هذه الحشائش في الأرض المزروعة[5]، والمستعمل منه للحبوب والبقول، يحتاج فترةً أكبر من تلك التي يحتاجها الزِّبل المستعمل للشجر، وفي ذلك يقول النابلسي: "ولا يستعمل الزِّبل في سنةٍ إلاَّ معتَّقاً وكلَّما عتق كان أحسن ليذهب نتن رائحته وطراوته، لأنَّ الطري يتولَّد منه الهوام المفسدة للبقول، والمستعمل للشجر ما أتى عليه سنة أو أقلّ والبقل أكثر لضعفه... [6].

والإفراط في تزبيل الأرض قد تكون له نتائجٌ عكسيةٌ، لأنَّ :" ...الأرض كلَّها إذا زبِّلت فوق الحاجة احترقت واحترق ما فيها"[7]، كما أنَّ بعض النَّباتات لا

---

(1) عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري: **كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1979م، ص.18.

(2) أحمد الطاهيري: **الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، طبعة2004م، ص.196 ؛ السِّرْقِين والسَّرقين ما تُدْمَلُ به الأرضُ ويقال سِرْجين.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.2، ص.138.)

(3) النابلسي: **المصدر السابق**، ص.18 ؛ وزَرْقُ الطائر، ذَرْقُه، وهي فضلاته.(أنظر ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.1، ص.1065 ؛ و مج.2، ص.22.)

(4) الطاهيري: **المرجع السابق**، ص.203.

(5) حركات: **المرجع السابق**، ص.74-75.

(6) **المصدر السابق**، ص.18.

(7) النابلسي: **نفس المصدر**، ص.18.

تنتفع بالزِّبل، فمنها ما لا تحتمله مثل الرَّيحان والياسمين والأترج والنارنج والموز، ومنها ما يهلكها، مثل السَّفرجل والقراصيا والتُّفاح والورد والصَّنوبر والمشمش والنعع والموز والفجل واللفت والجزر، ومنها ما لا يحتاج إليه كالجوز والبندق[1].

وقد لقي زبل البهائم في بلاد المغرب الكثير من الإهتمام، حيث كانت قيمته تُحسب في المعاملات بين المزارعين من شراكةٍ ومزارعةٍ وغيرها[2]، لذلك استُعملت طرقٌ كثيرةٌ للحصول عليه، فكان بعض أصحاب الأراضي يجمعون مع مواشيهم مواشي غيرهم، ويُبيِّتونها في الأرض التي يريدون تزبيلها، حيث تُلقي فضلاتها، ويتداولون تبييتها، بحيث يكون نصيب كلِّ واحدٍ منهم على قدر غنمه[3]، بينما كان آخرون يحرصون على استضافة الغرباء ليحصلوا على فضلات دوابهم مثلما هو حال منطقة تيكورارين الواقعة في الصَّحراء[4].

وكان الزِّبل في بلاد المغرب، سلعةً تُباع وتُشترى[5]، وقد اعتبره الفقهاء من النَّجاسات التي تدعو الضَّرورة إلى استعمالها، واختلفوا في أمر بيعه[6]، فلم يكن الإمام مالك يرى في ذلك بأساً، وكان يُشترى له بعر الإبل[7]، بينما أجاز ابن القاسم بيع زبل البقر والغنم والماعز، وكرَّه زبل الخيل والبغال[8].

ويجب الإشارة إلى أنَّ الزِّبْل لم يكن يُباع لغرض استعماله في تسميد الأرض فقط، حيث يذكر الحسن الوزان أنَّ غلماناً وبغَّالين كانوا يجوبون أرجاء مدينة فاس، ليشتروا الزِّبْل من الإسطبلات وينقلونه خارج المدينة فيجعلوه أكداساً ويتركوه

---

(1) النابلسي: **نفس المصدر**، ص.20.
(2) البرزلي: **المصدر السابق**: مج.3، ص.422-423 ؛ المراكشي: **وثائق**، ص.545-546.
(3) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.8، ص.337.
(4) الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص.133-134 ؛ ذكرها الوزان في حديثه عن إقليم سجلماسة ممَّا يدلّ أنَّها من المناطق الواقعة جنوب سجلماسة.
(5) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.6، ص.314-315.
(6) ابن رشد: **المصدر السابق**، ج.2.ص.103.
(7) سحنون بن سعيد:**المصدر السابق**، مج.3، ص.218.
(8) المراكشي: **المصدر السابق**، ص.546.

ليجفَّ مدَّة شهرين أو ثلاثة أشهر، ثم يبيعونه لأصحاب الحمامات التي تُسَّخن بإشعال الزِّبْل[1]، لكنَّ رماد الحمامات كان يُستَخدَم أيضاً كسمادٍ، إمَّا مباشرةً، أو عن طريق خلطه لتصنيع نوعٍ جديدٍ من السَّماد يعرف بالسَّمادُ المولد، ويتمُّ تحضيره بأن يُخلط العشب والتِّبن في حفرةٍ، ويُلقى عليه رماد الحمامات أو الأفران، ثمَّ يصبُّ عليه الماء أو يُعَرَّض للمطر ويُقلَّب مراتٍ عديدةً[2].

2- الحرث:

ويعني الحرثُ قلبَ الأرض للزَّرْع[3]، ويكون بـ "... أن يُؤخذ ما كان على وجه الأرض من ترابها الذي أثَّرت فيه الشَّمس والهواء، فيجعل أسفل الأرض المحفورة، ليظهر أثره الجميل ممَّا اكتسب من الشَّمس والهواء في أصول الأشجار المغروسة، وعروقها، فيُربي حملها وينميه بحرارته ورطوبته"[4]، وقد تتكرَّر العملية من مرتين إلى أربعٍ، حسب نوع الأرض، ونوع الزَّرع أو الغرس، وهو يبدأ عادةً في يناير ويستمر إلى يونيو حيث تترك الأرض للحرِّ المفرط، والحرث ضروريٌ للزراعة، فبعض المحاصيل لا يَجُود إلا في أرض القليب[5]، لذلك تجدهم يشترطونه للشركة في الأرض، أو لكرائها، أو مزارعتها[6].

ويعتبر المحراث الوسيلة الأساسية لهذه العملية[7]، وقد استعمله سكان بلاد المغرب منذ القديم[1]، فكانوا يُسندون إليه من جهةٍ حماراً حروناً، ومن الجهة

---

(1) **المصدر لسابق**، ج.1، ص.229.

(2) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص.74-75 ؛ أحمد الطاهيري: **المرجع السابق**، ص.203.

(3) يعني الحَرْثُ العَمل في الأرض زَرْعاً كان أو غَرْساً، وقد يطلق الحَرْثُ على الزَّرْع، كما قد يعني قلب الأرض للزرع. أنظر ابن منظور:**المصدر السابق**: مج.1، ص.598 ؛ البرزلي: **المصدر السابق**، ج.3، ص.403.

(4) النابلسي: **المصدر السابق**، ص.13.

(5) أنظر عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.189.

(6) أحمد موسى: **نفس المرجع**، ص.189.

(7) يذكر صاحب كتاب الاستبصار أنَّ أهل مدينة أودغشت يزرعون فيها القمح بالحفر بالفؤوس، ويبدو هذا الأمر استثناءاً وإلا لما ذكره. (**المصدر السابق**، ص.215.)

الأخرى امرأةً[2]، وهذا الأمر كان معروفاً في بعض مناطق المغرب خلال الفترة المدروسة، حيث يذكر ابن خلدون أنَّ العرب المستقرين قرب برقة، وهم من ذباب بن سليم، كانوا يثيرون الأرض "...بالعوامل من الجِمال والحمير وبالنساء، إذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكبوا ضرورة المعاش"[3]، ولكنَّ المعروف في بلاد المغرب هو استخدام الحيوانات في هذه العملية، وتختلف هذه الأخيرة باختلاف المناطق، حيث كان مُزارِعو منطقة حاحا في المغرب الأقصى يحرثون بالحمير والخيل[4]، بينما كان أهل الصَّحراء يحرثون الأرض بزوجٍ من فرسٍ وجملٍ لأنَّهم لا يملكون البقر[5].

والبقر هي أكثر الحيوانات استعمالاً في الحرث؛ ذكورها وإناثها في ذلك سواءٌ[6]، لذا كان الحرص على كثرتها يُعدُّ من الحرص على ازدهار الزِّراعة، وقد كان المحتسبون في بلاد المغرب يُشدِّدون الرَّقابة على الجزارين في الأسواق، حتى لا يُذبَح منها ما يصلح للحرث[7].

وقد وردت في المصادر إشاراتٌ كثيرةٌ إلى استخدام البقر في الحرث، حيث يذكر المالكي أنَّ الأمير عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب(ت.201هـ/817م)[8]، جعل "على كلِّ زوجٍ تحرث ثمانية دنانيرٍ"[9]، وجاء في "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، أنَّ مستولياً على قبيلةٍ" ...طالت يده عليهم بغرم الأزواج الحارثة،

---

(1) شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ج.1، ص.207 ؛ محمد الهادي حارش: **التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول203-46ق.م**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د.ت.ط، ص.101-102.

(2) أندري جوليان: **المرجع السابق**، ج.1، ص.207.

(3) **العبر**، ج.6، ص.114.

(4) الوزان: **المصدر السابق**، ج.1، ص.97.

(5) الوزان: **نفس المصدر**، ج2، ص.116.

(6) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.6، ص.55.

(7) الطاهيري: **المرجع السابق**، ص.206.

(8) الزركلي: **المرجع السابق**، ج.4، ص.63.

(9) **المصدر السابق**، ج.1، ص.331-332 ؛ والزوج بقرتان أو ثوران يتخذان للحرث.(**نفسه** ، هامش 2.)

واستمرَّ على ذلك أعواماً"[1]، وهذا يعني أنَّ الضَّرائب المفروضة على الأرض كانت في أحيانٍ كثيرةٍ تُقدَّر بعدد رؤوس البقر التي يملكها صاحبها، ويؤكّد أهمية البقر في الزراعة.

وكان الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي يملك من البقر ثورين للحراثة تبيت بداره[2]، وعندما أراد الشيخ أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب(ت275هـ/888م)، أن يتصدَّق على شيخٍ فقيرٍ، اشترى له زوجاً من البقر يحرث به، وزريعةً وغلاماً ليحرث له[3]، ويذكر الحسن الوزان أنَّ سكان الجبال كانوا يستخدمون البقر قصير القامة للحرث[4]، ويفيد نفس المؤلّف عندما يتحدَّث عن جبل زَلاغ الذي يبتدئ من نهر سبو شرقاً وينتهي غرباً، على بعد نحو أربعة عشر ميلاً منه، أنَّ مساحة الأراضي الفلاحية تساوي ما يستطيع أن يحرثه مائتا زوجٍ من الثيران[5]، ويُستنتج من هذا أن مساحة الأرض كانت تُقدَّر بأعداد البقر التي تستطيع حرثها.

وقد حرص الفلاحون في بلاد المغرب على شراء البقر لأجل الحرث، ومنهم من كان يقع في مشاكل، لأنَّ بعض البقر "جاهلٌ لا يحرث"[6]، وهو الأمر الذي اختلف فيه الفقهاء، فكان سحنون يرى أنَّ عدم حرث الثور أو البقرة ليس بعيبٍ إلاّ أن يُشترط، ولو اشتراه في إبَّان الحرث[7]، ورأى غيره أنَّ من اشترى بقراً في إبَّان الحرث ولم يجده حرَّاثاً فله الرُّجوع إلاّ أن يشترط البائع أنَّه غير حرَّاثٍ[8]، ورأى

---

(1) المازوني: **المصدر السابق** ، مج.3، ص130.
(2) المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص224-225.
(3) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.168.
(4) **المصدر السابق**، ج.2، ص264.
(5) **نفس المصدر**، ج.1، ص.293-294.
(6) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.6، ص.55.
(7) **نفس المصدر**، ج.6، ص.55.؛ إبَّانُ كلِّ شيء بالكسر والتشديد وقتُه وحِينُه الذي يكون فيه(ابن منظور: **المصدر السابق**، مج.1، ص.10.)
(8) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.6، ص.190.

الفقهاء ردَّ الذُّكور إذا كانت تحرث بأعناقها ولا تحرث برؤوسها، ولم يروا ردَّ الإناث لأنَّه المعروف فيها[1].

ولم يكن شراء البقر الوسيلة الوحيدة لاستخدامها في الحرث، إذ كان بعض الفلاحين يحصلون عليها عن طريق الشّراكة، فيشترك من يملك بقرةً أو ثوراً واحداً، ولا يستطيع أن يحرث به منفرداً، مع غيره، فيقدِّم كلّ واحدٍ ثوراً ويختلف نصيب كلِّ طرفٍ في وسائل الإنتاج الأخرى[2]، بينما يتساوى البعض في البقر والآلة والزَّريعة والعمل[3]؛ أمَّا أصحاب الأراضي الذين لا يملكون أبقاراً يحرثون بها، فيشتركون مع غيرهم من أصحاب البقر الذين لا أرض لهم، فيقدم صاحب الأرض أرضه والثاني بقره ويكون البذر والعمل بينهما، وقد جاء في المدوَّنة جواز هذا النَّوع من الشّركة شريطة أن يكون ثمن كِرَاءُ الأرضِ وثمن كِرَاء البقر سواءٌ[4].

وانتشرت ببلاد المغرب ظاهرة استئجار البقر للحرث، فكان بعض المستأجرين يشترطون لبنها[5]، وكان البعض يؤجِّر بقراً يحرث عليه بجزءٍ من الزَّرع مُتَّفقٍ عليه، خمسٍ أو ربعٍ أو نحوه، لكنَّ الفقهاء لم يُجِيزوا هذه الأجرة لأنَّها أجرةٌ بقدرٍ مجهولٍ[6]، وقد يَستأجِر صاحب الأرض بقراً بصاحبها ليعمل عليها، وفي مثل هذه الحالة يحقُّ لصاحب البقر أن يشترط عليه في عقد الاستئجار سقي بقره وعلفها وتبييتها وغير ذلك من مؤنتها[7]، ولجأ بعض الفلاحين إلى استعارة

---

(1) **نفس المصدر**، ج.6، ص.55.
(2) **نفس المصدر**، ج.8، ص.164.
(3) **نفس المصدر**، ج.8، ص.147.
(4) سحنون : **المصدر السابق**، مج.4، ص.29.
(5) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.5، ص.252.
(6) أنظر البرزلي: **المصدر السابق**، ج.3، ص.408.
(7) المراكشي: **وثـــائق**، ص.494.

البقر بدل كرائه[1]، لكنَّ البقر كانت تتعرَّض لبعض المشاكل مثل الضياع أو التلف، الأمر الذي يدفع صاحبها إلى التوجه نحو الفقهاء لتغريم المستعير[2].

3- السقـي:

أفاد البكري (ق.5هـ/11م) أنَّ النَّخيل والزَّرع بمدينة زويلة كان "يسقى بالإبل"[3]، دون أن يبيِّن الطريقة التي تتمُّ بها هذه العملية، لكنَّ الإدريسي(ق.6هـ/12م) ذكر بأرض فزان مدينتين هما: جرمة وتساوة، "... مياههم من الآبار وعندهم نخيلات ويزرعون الدّرة والشعير ويسقونهما بآلاتٍ يسمونها أنجقة وتسمى ببلاد المغرب هذه الآلة بالخطارة[4]، وقد استنتج محمد بن عميرة أنَّ هذه الآلة تدار بالإبل، وأنَّ الإبل التي ذكر البكري أنها تسقي الزَّرع في مدينة زويلة كانت تحرك هذه الآلة[5].

وانتشرت في بلاد المغرب العجلة التي تحرِّكها الدَّواب في مدارٍ، والتي اختلفت تسميتها بين الدولاب أو الناعورة أو السَّانية[6]، وظلَّت القوَّة المحرّكة لهذه العجلات المائية في معظمها حيوانيةً[7]، ولا يُعرف متى ظهر هذا النَّوع من آلات السَّقي ببلاد المغرب، لكنَّ أبا عبيد البكري ذكر أنَّ عبيد الله المهدي جلب الماء في القرن الرابع الهجري(10م)، إلى المهدية من قرية منانش القريبة منها، في أقداسٍ، وكان هذا الماء يُصبُّ في صهريجٍ عند جامعها ويُرفع من الصهريج إلى القصر بالدَّواليب[8].

---

(1) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.8، ص.353.
(2) **نفس المصدر**، ج.9، ص.108.
(3) **المصدر السابق**، ص.10.
(4) **المصدر السابق** ، مج.1، ص.112.
(5) أنظر : **الموارد المائية** ، ص.225.
(6) أنظر محمد بن عميرة: **نفس المرجع**، ص.226.
(7) الطاهيري: **المرجع السابق**، ص.191.
(8) البكري: **المصدر السابق**، ص.29-30.

وقد لفتت انتباه ابن حوقل(ق.4هـ/10م) في سجلماسة أنَّ أهلها يزرعون بنهرها الذي يزيد في الصَّيف كزيادة النيل"[1]، وهو نفس ما ذكره الحميري (ت727هـ/ 1327م)[2]، ولم يُبَيِّن هذان الجغرافيان طريقة استعمال مياه النَّهر، لكنَّ الحسن الوزان(ق.10هـ/16م) الذي جاء بعدهما بفترةٍ، يقول إنَّ ماء سجلماسة يُجلب " ... من النَّهر تأخذه الناعورات من واد زيز وتقذف به في قنوات تحمله إلى المدينة"[3]، وهذا يحمل على الاعتقاد بأنَّ مياه نهر سجلماسة خلال فترة كلّ من ابن حوقل والحميري، كانت تُحوَّل إلى المزارع والبساتين، عن طريق نواعيرٍ تديرها حيواناتٌ.

وتحدَّثت المصادر عن انتشار السَّواني في بلاد المغرب، فذكر ابن حوقل(ق.4هـ/10م) في حديثه عن الطريق من المغرب إلى إفريقية أنَّ لبني واريفن الواقعة قرب تنس"... كرومٌ وسوانٍ كثيرةٌ وهي على نهر شلف"[4]، وأنَّ سوق كران قرب مليانة وهو "...حصنٌ أزليٌ له مزارع وسوانٍ وهو على نهر شلف"[5]، وأخبر الإدريسي (ت548هـ/1154م) أنَّ قصر اليهودية في منطقة طرابلس فيه زراعاتٌ على مياهٍ تُستخرج بالسَّواني من الآبار[6]، وأنَّ حول قصر توكرة الواقع غرب طلميثة، أرضاً عامرةً وسوانٍ يُزرع عليها القطاني والشعراء محيطةٌ بها[7]، وأمَّا مدينتا أجدابية وبرقة فليس بهما ماءٌ جارٍ،"... وإنَّما مياههم من المواجل والسَّواني التي يزرعون عليها قليل الحنطة والأكثر الشعير وضروب من القطاني

---

(1) **المصدر السابق**، ص.90.
(2) **المصدر السابق**، ص.306.
(3) **المصدر السابق**، ج.2، ص.127.
(4) **المصدر السابق**، ص.89.
(5) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.89.
(6) **المصدر السابق**، مج.1، ص.314.
(7) **نفس المصدر**، مج.1، ص.315.

والحبوب" [1]، وذكر الونشريسي في المعيار أنَّ بالقيروان زرع سواني، يحرسه قومٌ يأخذون عن كلِّ سانيةٍ ديناراً[2].

وقد اختلفت مدلولات كلمة "سانية"، فهي عند ابن منظور ما يُسقى عليه الزَّرع والحيوان من بعير وغيره[3]، بينما كان هذا اللفظ في اصطلاح الأندلسيين يُطلَق على الدَّواليب نفسها[4]، حيث قالوا في أمثالهم "بحال حمار السَّانية يمشي فارغ ويجي فارغ"[5]، فقصدوا الآلة ولم يقصدوا الدَّابة التي تحرّكها، ومهما كان معنى السَّانية سواءٌ قصد بها أصحابها الآلة التي تُحرِّكها الدَّواب أو الدَّابة نفسها، فهو يؤكد استعمال الحيوانات في الرَّي بشكلٍ واسع.

وتعدَّدت الحيوانات التي استُعملت في عملية الرَّي، حيث كان أهل بمدينة زويلة "يسقون النَّخيل والزَّرع بالإبل"[6]، بينما كان أهل تونس يستعملون البغال والإبل[7]، واستنتج الطاهيري محمد من مثل أهل الأندلس "بحال حمار السَّانية يمشي فارغ ويجي فارغ" أن الحمار كان الحيوان الأكثر استخداماً في تحريك دواليب السَّقي[8]، لكنَّ البقر ظلَّ أكثر الحيوانات استخداماً في هذه العملية[9].

4- الـدِّراس:

---

(1) **نفس المصدر**، مج.1، ص.311.
(2) **المصدر السابق**، ج.8، ص.229.
(3) **المصدر السابق**، مج.2، ص.225.
(4) الزجالي: **المصدر السابق** ، ج.2، ص.152، هامش 680.
(5) الزجالي: **نفس المصدر**، ج.2، ص.152.
(6) البكري: **المصدر السابق**، ص.10.
(7) الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص.75.
(8) الطاهيري: **المرجع السابق**، ص.195.
(9) الونشريسي: **المصدر السابق** ، ج.9، ص.560. بن عميرة: **المرجع السابق**، ص.227.

الدِّراسُ؛ الدِّياسُ بلغة أهل الشام ودَرَسُوا الحِنْطَة دِراساً أي داسُوها[1]، وهو عملية استخراج حبِّ السُّنبل من غلافه بعد حصاده، كما عبَّر عن ذلك ابن خلدون[2]، وهو آخر المراحل التي تنتهي بها العملية الزِّراعية التي تستمر سنةً كاملةً، وقد استخدم أهل المغرب الحيوانات في الدِّراس منذ القديم[3]، لكنَّ المعلومات عن هذه العملية؛ في بلاد المغرب؛ خلال الفترة المدروسة قليلةٌ جداً، وقد أفاد ابن عذاري أنَّ أبا عبد الله الشِّيعي عندما أراد اللَّحاق بحُجَّاج قبيلة "كُتامة" بعد أن فارقهم في القيروان، مرَّ في طريقه إليهم بأندرٍ والبقر فيه تدرس الزَّرع[4]، وتدلُّ هذه الرواية إضافةً إلى ما ورد في المعيار من إشاراتٍ[5]، أنَّ البقر هي أكثر الحيوانات التي تستعمل في عملية الدِّراس، لكنَّ ما ذكرته كتب التراجم عن الفقيه أبي زكرياء الهرفلي الذي ربط حمار شريكه في الزَّرع، الفقيه سعدون الصّواف، على الأندر ليأكل منها[6]، يوحي باستعمال الحمير في الدِّراس.

أذى الحيوانات للزروع:

يتبيَّن مما سبق أن الحيوانات كانت مهمَّةً في العملية الزّراعية، فهي ترافق الفلاح منذ انطلاق العملية إلى نهايتها، لكنَّها إذا ما تمكنَّت من الزُّروع أو الأشجار، تلتهم ما تقع عليه وتحطّم الأشجار[7]، وقد كانت تتسبَّب في نزاعاتٍ بين أصحابها، وبين المزارعين الذين كانوا يشتكونهم إلى الفقهاء، واعتمدت فتاوى هؤلاء على حديثٍ جاء فيه أنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم «"قضى أنَّ على أهل الحوائط

---

(1) ابن منظور : **المصدر السابق**، مج.1، ص.968..

(2) **المقدمة**، ص.509.

(3) جوليان: **المرجع السابق**، ج.1، ص.207.

(4) **المصدر السابق**، مج.1، ص.126 ؛ الأندُر الموضع الذي يجمع فيه الزرع بعد حصاده وهي كلمة شامية نقلها أهل الشام إلى الأندلس وأهل العراق يقولون البيدر ومازالت كلمة الأندر مستعملة في المغرب بصيغة الجمع.(الزجالي:**المصدر السابق**، ج.2، ص.51، هامش رقم200.)

(5) أنظر الونشريسي: **المصدر السابق** ، ج.5، ص.158، و ج.9، ص.110.

(6) أبو العرب التميمي: **المصدر السابق** ، ص.73 ؛ المالكي: **المصدر السابق**، ج.1، ص.416.

(7) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.9، ص.548-549.

حفظها في النَّهار وأنَّ ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها"»[1]، فأفتى بعضهم بألاَّ ضمان على صاحب الماشية في النَّهار سرَّحها عمداً أو خطئاً، وأنَّ على أصحاب الزّرع حرز زروعهم[2]، وأفتى أحدهم حين سئل عن ثورٍ دخل حائط رجلٍ فامتدَّ إلى شجرةٍ فدخل رأسه بين غصنين فيها ولم يقدر على إخراجه بأن يُنظَر إلى وقت دخوله فإذا "...كان الثَّور دخل الحائط ليلاً قُرضت قُرونه وخلصت الشَّجرة وإن دخله نهاراً انقطعت الشَّجرة وخلص الثَّور"[3]، ورأى الإمام مالك أن تُبَاعَ الماشية التي تَعْدُو فِي زُرُوعِ النَّاس فِي بلادٍ لا زرعَ فيها، إلاَّ أن يَحْبِسَهَا أهلُها عن النَّاس[4] .

ولكنَّ سقوط الضَّمان على أرباب المواشي لا يكون إلاَّ بتوفر شروطٍ منها: أن يُخرج صاحب الماشية ماشيته من جملة الزَّرع والحوائط بقائدٍ يقودها إلى مراعيها، وألاَّ يُهملها بين الزروع والحوائط دون راعٍ أو مع راعٍ يُهمل ويُفرِّط، كما يجب أن يكون ما رعته البهائم في المواضع التي لا يغيب عنها أهلها، وأما إن كان ممَّا لا يأتي إليه أصحابه إلاَّ في أيام الحصاد فإن الضَّمان لازمٌ فيما رعته نهاراً[5].

وكان بعض مربّي الماشية، يتعمدَّون إرسالها في الزُّروع والبساتين، وهو الأمر الذي لم يكن الفقهاء يتساهلون فيه، حيث أمر الفقيه ابن عرفة، الحاكمَ أن يغرِّمهم بالمال عقوبةً لهم [6]، وأفتى نفس الفقيه حين سئل عن الغارة تُصيب البهائم التي تكون في كروم الغير ويقدر الإنسان على الذَّبِّ عنهم بألاَّ يفعل، لأنَّهم ظلمةٌ،

---

(1) الألباني: **المرجع السابق**،ج.1، ص.477 ؛ قارن بالونشريسي: **المصدر السابق**، ج.8، ص.338. الحوائطُ تعني البَساتِينَ مفردها حائطٌ. (ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.1، ص.757.)

(2) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.8، ص.338.

(3) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج.8، ص.351-352.

(4) سحنون: **المصدر السابق** ، مج.3، ص.216-217.

(5) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.8، ص.338.

(6) الونشريسي :**نفس المصدر**، ج.8، ص.227-228 ؛ محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها(ت 803هـ/1400م).(الزركلي، **المرجع السابق**، مج.7، ص.43.)

ولا يُعانُون بوجهٍ من الوجوه، "...لأنَّ في إعانتهم تتميماً للجرأة على أموال النَّاس"[1].

ب/استخدام الحيوانات في الصناعة ببلاد المغرب:

1- الصناعة الجلدية:

تتطلَّب هذه الصّناعة تنظيف الجلود وتَليينَها قبل استغلالها، وتُسمَّى هذه العملية: الدِّباغة، وتكون بنقع الجلد في حوض ماءٍ، أو نهرٍ مدةً معلومةً تتزايد بقِدَم عهد الجلد، ويتكرَّر النَّقع والتَّنظيف عدَّة مرَّاتٍ[2]، وقد أفاد ابن حوقلٍ(ق.4هـ/10م)، أنَّ الجلود بقابس تُدبَغ بالقَرَظ[3]،"...فتأتي من طيب الرَّائحة ونعمة اللمس بمثل حال الأديم الجُرشي" وهي تعمُّ أكثر المغرب[4]، وتحدَّث الإدريسي (ق.6هـ/12م) عن كثرة مدابغ الجلود بنفس المدينة لكنَّه لم يشر إلى المادة المستعملة في الدباغة[5]، وذكرت كتب الجغرافيا الجلد الغدامسي الذي كان يدبغ بشجر "التاكوت"، وهو شجرٌ ينبت بوادي درعة[6]، وعن دباغة الجلود البقرية بمدينة برقة[7]، ويحصي ابن أبي زرع ديار الدّباغ بمدينة فاسٍ بستٍ وثمانين داراً[8].

---

(1) الونشريسي : **المصدر السابق**، ج.8، ص.228.
(2) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص.112.
(3) القَرَظُ شجرٌ عِظامٌ لها سُوقٌ غِلاظٌ أمثال شجر الجَوْز وورقه أصغر من ورق التفّاح وهو يَنْبُتُ في القِيعان، تُدْبَغُ الجلود بورقه وثمره، وهو أجودُ ما يُدبَغُ به.(ابن منظور:**المصدر السابق**: مج.3.، ص.63.)
(4) **المصدر السابق**، ص.72 ؛ الأديم جُرَشِيٌّ، نسبةً إلى جُرَش وهو موضعٌ باليمن.(ابن منظور:**المصدر السابق**، مج.1، ص.440.)
(5) **المصدر السابق**، مج.1، ص.279.
(6) البكري:**المصدر السابق**، ص.152 ؛ مجهول:**الاستبصار**، ص.207 ؛ ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص.127 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.235-236.
(7) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.310-311. ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.91.
(8) **المصدر السابق**، ص.48.

و غالباً ما كانت المدابغ تُتَّخذ خارج أسوار المدن[1]، وذلك لما تخلّفه هذه الصناعة من أوساخٍ وأزبالٍ وشعرٍ[2]، الأمر الذي يُؤْذِي السكان ويثير سخطهم، فقد كان بعضهم يرفض إلحاق سواقي دور الدَّباغين بسواقيهم، مما يجبر هؤلاء على إنجاز سواقي خاصةٍ بهم[3]، ويفيد الونشريسي أنَّ أهل مدينة القيروان رفضوا عودة الدَّباغيين إلى ديارهم داخل المدينة، بعدما أخرجهم منها بعض العمال لدورٍ معدَّةٍ للدَّبغ بناها لهم خارج السُّور، فبقوا خارجها ثلاثين عاماً[4].

واستُخدمت الجلود في بلاد المغرب في العديد من الصناعات، منها صناعة السروج، التي وردت الإشارة إليها في معالم الإيمان، حيث ذكر مؤلّف الكتاب في ترجمته للقاضي أبي كريب جميل بن كريب المعافري (ت.139هـ/756م) أنَّه نزل في حانوتٍ من حوانيت السَّراجين[5]، وهو ما يدلُّ على تخصيص ناحيةٍ من سوق المدينة لهذه الصناعة[6]، ويذكر الحسن الوزان أنَّ عدد حوانيت السراجين في سوق فاس بلغ نحو مائة دكانٍ[7]، وقد انتشرت هذه الصناعة في جنوب بلاد المغرب، حيث ذكر كلٌّ من الإدريسي والحميري أن بمدينة نول لمطة "... قومٌ يصنعون السُّروج واللُّجم والأقتاب المعدَّة لخدمة الإبل"[8].

---

(1) الونشريسي:**المصدر السابق**، ج8، ص.446 ؛ أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.229 ؛ إبراهيم حركات:**المرجع السابق**، ص.112.

(2) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.69-70.

(3) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج8، ص.280.

(4) **نفس المصدر**، ج8، ص.446.

(5) الدباغ: **المصدر السابق**، ج.1، ص.228 ؛ جميل بن كريب المعافري أبو كريب: قاض فاضل كان مقيما بتونس، وولي قضاء القيروان توفي سنة (139هـ/756م).(الزركلي: **المرجع السابق**، ج.2، ص.138.)

(6) يرى حسن حسني عبد الوهاب أنَّ الأسواق كانت تنقسم إلى قسمين الأول منها معامل يشتغل فيها أربابها بتحويل المواد الأولية إلى منسوجات صناعية، _ وهذا هو المقصود أعلاه _ أما القسم الثاني فيشمل أسواق البيع المعدة لعرض المصنوعات المحلية أو المجلوبة من الخارج(**ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مكتبة المنار ، تونس، طبعة 1966م، ج.2، ص.71.)

(7) **المصدر السابق**، ج.2، ص.239-240.

(8) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.224-225 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص 584.

وعرفت بلاد المغرب حرفة تزيين السُّروج بالذَّهب والجواهر وغيرها من المعادن النَّفيسة، حيث أفاد أبو زكرياء، أنَّ أحد شيوخ الإباضية، ويدعى أبا القاسم يزيد بن مخلد، كان يركب دابةً عليها سرجٌ محلاّةٌ بالذَّهب بزينةٍ حسنةٍ[1]، وكان أبو عبد الله الشِّيعي ومن معه من كتامة يركبون بسروج الفضَّة[2]، وأعطى المعزُّ لدين الله الفاطمي، لبلغين يوسف بن زيري أربعين فرساً بسروج الذهب المثقلة[3]، ويبدو أنَّ هذه الصناعة ازدهرت في عهد الدولة الصنهاجية الزيرية، فقد كان المنصور بن بلكين بن زيري (ت.386هـ/996م) يخرج لصلاة العيد بسرجٍ مكلَّلٍ بالدُّر والياقوت[4]، وقد أهدى ابنه "نصير الدولة" هديةً إلى الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر، في سنة 405هـ/1058م، كان فيها مائة فرسٍ لها سروجٌ محلاةٌ[5]، وأعطى الأمير المعز بن باديس لابن عمه حماد، ثلاثين فرساً بسروج الذهب، وفي سنة 408هـ/1017-1018م، وصلت إلى المعز هديةٌ من عامله على مدينة باغاية، فيها ثلاثمائةٍ وخمسةٌ وثلاثون برذوناً بالسروج المحلاّة[6]، ممَّا يؤكّد ازدهار هذه الصِّناعة بهذه المدينة.

ومن الصِّناعات المعروفة ببلاد المغرب صناعة الأحذية والنِّعال، وتعتمد هذه الصناعة في الغالب على جلود الماعز والبقر[7]، وقد ذكر المالكي في ترجمة أبي البشر زيد بن بشر بن عبد الرحمن الأزدي أنَّ طريقه كان على سوق الخرازين[8]، وهذا يدلُّ على تخصيص أسواقٍ لهذه الصناعة، ويبدو أنَّ دكاكين الخرَّازين في هذه

---

(1) **المصدر السابق**، ص.137.
(2) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص.138.
(3) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص.95.
(4) ابن أبي دينار: **نفس المصدر**، ص.79.
(5) ابن عذاري: **المصدر السابق** ، مج1، ص.260.
(6) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص.104.
(7) الجاحظ: **الحيوان**، مج.2، ص.319.
(8) **المصدر السابق**، ج.1، ص.391 ؛ الخَرْزُ خياطة الأدَم، وخَرَزَ الخف وغيره يَخْرزُه ويَخْرُزُهُ خَرْزاً والخَرَّاز صانع ذلك.(ابن منظور:**المصدر السابق**: مج.1، ص.811.)

الأسواق كانت كثيرةً، لأنَّ الحسن الوزان يذكر أنَّ ما كان مخصصاً منها لصناعة أحذية الأطفال في مدينة فاس بلغ نحو خمسين دكاناً[1]، بينما بلغت دكاكين الخرَّازيين الذين يصنعون نعالاً خشنةً للفلاَّحين وعامَّة النَّاس نحو مائةٍ وخمسين دكاناً[2]، ويذكر الونشريسي أن الخرَّازين كانوا يصنعون للنِّساء نوعاً من الخفاف التي يُسمع صريرها فتلفت انتباه الرِّجال، وتعرف بـ الصرَّارة، وقد رأى الفقهاء أن يُنهى الخرَّازون عن عمل مثل هذه الخفاف، وتُمنع النِّساء من لبسها[3].

واستُغلَّت الجلود في مجال الكتابة، حيث اشتهرت بلاد المغرب منذ فترةٍ مبكرةٍ بالجلود العسلية، التي كان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م)، يفضِّلها على غيرها[4]، وقد ذكر المقدسي(ق.4هـ/10م)، أنَّ كلَّ مصاحف أهل المغرب ودفاترهم مكتوبةٌ في رقوقٍ[5]، وعلى الجلود اعتمد أهل المغرب في صنعة تجليد الكتب وتسفيرها، حيث شهدت هذه الصنعة تطوراً كبيراً خاصةً في فترة المرابطين حيث كانت الكتب تُجلَّد ويُكتب على جلدها وتُطلى بالذَّهب[6]، و يعود أعظم أثرين في فنِّ التَّجليد ببلاد المغرب إلى زمن الموحدين، وهما مصحف الخليفة عثمان بن عفان، ومصحف ابن تومرت، اللَّذان كانا يُحملان في مقدِّمة الرَّكب بين يدي الخليفة، وقد جمع الموحدون لهما الصُّناع والمهندسين والمجلِّدين، فصنعوا لمصحف عثمان أغشيةً سندسيةً وذهبيةً وفضيةً، وحلَّوه بالجوهر النَّفيس والياقوت الأحمر والأصفر والأخضر والزُّمرد الأخضر[7].

---

(1) **المصدر السابق**، ج.1، ص.233-234.
(2) الوزان: **المصدر السابق**، ج.2، ص.239.
(3) **المصدر السابق**، ج6، ص.420.
(4) ابن الأثير : **المصدر السابق** ، ج.2، ص.485 ؛ ابن خلدون: **المصدر السابق** ، ج.6، ص156.
(5) **المصدر السابق**، ص.239.
(6) أنظرسلامة محمد سلمان الهرفي: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية حضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان، 1405هـ/1985م، ص.279-280.
(7) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.228-229.

وعرفت بلاد المغرب صناعة الطُّبول كنوعٍ من الآلات الموسيقية[1]، التي كان العوام يضربونها في الأعراس ومختلف المناسبات مثل توديع الحجَّاج أو استقبالهم[2]، وكانت تُستخدم لأغراضٍ عسكريةٍ تنظيماً لسير الجيش، وإرهاباً للعدو قبل بدء المعركة، أو إعلاناً عن بشرى تُزفُّ[3]، وقد عدَّها ابن خلدون من الشَّارات التي يختصُّ بها السُّلطان، ويتميَّز بانتحالها عن الرَّعية والبطانة وسائر الرُّؤساء في دولته[4]، وقد كان العبيديون يتَّخذونها ويأذنون لعمَّالهم في اتخاذها تنويهاً بالملك وأهله[5]، فامتلكها الصَّنهاجيون خلفاؤهم في بلاد المغرب، حيث شيَّع نصير الدَّولة هديته التي أخرجها إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، بالبنود والطُّبول[6]، كما كان أمير دولة المرابطين يوسف بن تاشفين، يتَّخذ الكثير منها[7].

أمَّا الموحدون فقد قصروا الطُّبول والبنود على السُّلطان، وحظروها على من سواه من عماله، وجعلوا لها موكباً خاصاً يتبع أثر السلطان في مسيره يُسمَّى السَّاقة[8]، أمَّا في أيام الاحتفالات فتُضرب الطُّبول من ضحوة النهار إلى آذان الظّهر[9]، وقد اختلفت المعلومات حول عدد طبول الموحدين، فيذكر ابن صاحب الصلاة أنَّهم كانوا يحملون معهم مائة طبلٍ[10]، بينما يذكر ابن خلدون أنهم اقتصروا على سبعٍ من العدد "تبركاً بالسَّبعة كما هو في دولة الموحدين"[11]، لكنَّ المراكشي

---

(1) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.237.
(2) أبو العرب : **المصدر السابق**، ص.73.
(3) ابن خلدون:**المقدمة**، ص.237 ؛ أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.237.
(4) **المقدمة**، ص.237.
(5) ابن خلدون:**نفس المصدر**، ص.239.
(6) ابن عذاري: **المصدر السابق**، ج1، ص.260.
(7) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.139 ؛ المقري: **المصدر السابق**، ج.6، ص.136.
(8) ابن خلدون: **المقدمة**، ص.239.
(9) ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص.191.
(10) **نفس المصدر**، ص.431.
(11) **المقدمة**، ص.239.

يقول إنَّ الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما مرَّ على قرية "تاجرا" التي ولد فيها لزيارة قبر أمه وصِلَةِ مَن هناك من ذوي رحمه، كان في جيشه أكثر من مائتي طبلٍ[1].

وقد وصف نفس المؤلف طبول الموحدين بأنَّها " في نهاية الكبر وغاية الضخامة يُخيَّل لسامعها إذا ضُربت أنَّ الأرض من تحته تهتزّ ويُحسّ قلبه يكاد يتصدّع من شدَّة دويها..."[2]، وأشار ابن صاحب الصَّلاة إلى طبولٍ مربَّعة الأشكال من أيام المهدي[3]، ووصف صاحب الحلل الموشية أحد طبول الموحدين، وهو المعروف بطبل الرَّحيل فقال إنَّه: "طبلٌ كبيرٌ مستديرٌ الشَّكل دوره خمسة عشر ذراعاً، منشأ من خشبٍ أخضر اللَّون مدَّهب، وكان يُسمع على مسيرة نصف يوم من مكانٍ مرتفعٍ في يوم لا ريح فيه"[4]، ويذكر الوزان أنَّ الطبول في أيامه كانت تُتَّخذ من نحاسٍ على شكل جفانٍ كبيرةٍ عريضةٍ من أعلى، ضيقةٍ من أسفل مع جلدٍ ممدودٍ على أعلاها، وهي ثقيلةٌ جداً، وتُقرع بعصب ثور[5].

ومن الصناعات الجلدية التي عرفت ببلاد المغرب، صناعة القرب والمزاود، ولا تكون هذه إلا من جلود الماعز[6]، ويفيد المقدسي (ق.4هـ/10م)، أنَّ منطقة إفريقية اختصَّت بها[7]، وقد صالح أهل مدينة فاس ميسور الفتى قائد أبي عبد الله الشيعي عندما حاصرهم سنة 323هـ/935م، على عطايا كثيرةٍ منها قِرَبُ الماء[8]، ممَّا يؤكدُّ ازدهار صناعتها بهذه المدينة، وكانت المزاود مستعملةً عند أهل الصَّحراء، حيث يذكر الإدريسي أنَّ صنهاجة، كانوا يضعون طعامهم في مزاود

---

(1) **المعجب**، ص.163.
(2) **نفس المصدر**، ص.163.
(3) **المصدر السابق**، ص.431.
(4) ابن الخطيب: **الحلل الموشية**، ص.115.
(5) **المصدر السابق**، ج.1، ص.288.
(6) الجاحظ: **الحيوان**، مج.2، ص.321.
(7) **المصدر السابق**، ص.239.
(8) ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص.85-86.

يحملونها معهم في أسفارهم[1]، ووجدت ببلاد المغرب صناعة الظُّروف التي يُخزَّن فيها الدقيق والقمح، وقد كان لها بأسواق فاس نحو ثلاثين دكاناً[2].

واستعملت الجلود بكثرةٍ في استخراج المياه من الآبار وخاصةً في الصَّحراء حيث شاهد الوزّان على الطَّريق المؤدِّية من فاس إلى تونمبكتو آباراً مكسوةً في داخلها بجلد الإبل أو مبنيةً بعظامها[3]، وكانت الدِّلاء التي تستعمل الآبار المنزلية تصنع من الجلد أيضاً[4]، ويذكر عبد الهادي التازي أن الأحواض مختلفة الأحجام التي انتشرت في صحراء بلاد المغرب والتي استعملت لسقي الإبل كانت تُصنع من جلود الجواميس[5].

2- الصناعة النسيجية:

تعدُّ الصناعة النَّسيجية من الصّنائع التي بلغ فيها أهل المغرب المبالغ[6]، ويمثل الصُّوف المادَّة الأولية الرَّئيسية لهذه الصّناعة وإن كانت هناك مواد أخرى متفاوتة الأهمية لاسيما القطن والحرير[7].

- الصناعة الصوفية:

يستنتج مما ذكره ابن خلدون أنَّ البربر "يتَّخذون لباسهم وأكثر أثاثهم من الصُّوف"[8]، أنَّ الصُّوف تمثل اللِّباس الأساسي لسكان بلاد المغرب، وقد اشتهر بعض الخاصَّة بِلِبسِه، ومنهم عامل عمر بن عبد العزيز على إفريقية، إسماعيل بن

---

(1) **المصدر السابق**، مج1، ص224.0

(2) الوزان: **المصدر السابق**، ج.2، ص.239-240.

(3) الوزان : **نفس المصدر**، ج.1، ص.76.

(4) الوزان : **المصدر السابق**، ج.2، ص.239-240.

(5) شمس الدين محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي الشهير بابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، طبعة 1417هـ/1997م، مج.4، ص.241، هامش13.

(6) ابن خلدون: **المقدمة**، ص.374.

(7) أنظر إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص.103.

(8) **العبر**، ج.6، ص.116.

عبيد الله (132هـ/750م)، الذي كان يلبس جُبَّةً، وكساءاً وقلنسوةً من صوفٍ[1]، والفقيه سحنون بن سعيد الذي كان يلبس جبَّة صوف[2]، ولبس أبو يزيد بن مخلد بن كيداد في أوَّل أمره، خشن الثياب من الصُّوف[3]، فارتدى جبَّة صوفٍ ووضع على رأسه قلنسوة صوفٍ وفي عنقه سبحةً[4]، ولم يلبس أمير المرابطين يوسف بن تاشفين غيره قط[5].

وقد اشتهرت بعض المناطق بإنتاج الصُّوف، مثل منطقة برقة التي كان الصُّوف يحمل منها إلى مصر[6]، ومدينة "طره" قاعدة بلاد نفزاوة التي تنتج التفاصيل الصُّوفية[7]، أمَّا أطرابلس (طرابلس) فقد ذكر ابن حوقل أنَّ بها الجهاز الكثير من الصُّوف[8]، واختصَّ أهل جزيرة جربة بنسجه وعمله حيث كانوا "...يتَّخذون منه الأكسية المعلّمة للاشتمال وغير المعلّمة للباس، ويجلب منها إلى الأقطار فتنتقيه النَّاس للباسهم"[9]، وكان صوف أغنام حصن "يرارة" الواقع على الطريق من سجلماسة إلى فاس، "...من أجود الأصواف، ويعمل منه بسجلماسة ثيابٌ يبلغ الثَّوب منها أزيد من عشرين مثقالاً"[10].

---

(1) المالكي:**المصدر السابق**، ج.1، ص.107. ؛ الدباغ:**المصدر السابق**، ج.1، ص.195 ؛ قارن بـ أبي العرب محمد التميمي: **المصدر السابق**، ص.20.

(2) المالكي : **المصدر السابق** ، ج.1، ص.491-492. ؛ الدباغ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.235.

(3) الصنهاجي: **المصدر السابق**، ص.26-27.

(4) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص.73.

(5) ابن أبي زرع :**المصدر السابق**، ص.136.

(6) البكري: **المصدر السابق**، ص،5 ؛ الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص. 310-311 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.91.

(7) ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص.127.

(8) **المصدر السابق**، ص.71-72.

(9) ابن خلدون: **العبر**، ج.6، ص.543.

(10) البكري: **المصدر السابق**، ص.147.

ونشطت صناعة الغزل ببلاد المغرب، وجرت العادة أن يُحصر أهل هذه الصنعة في سوقٍ واحدةٍ[1]، ويبدو أنَّ النِّساء كنَّ أكثر مرتادي هذه الأسواق[2]، لأنَّ كثيراتٍ منهنَّ اشتغلن بالغزل والنَّسيج[3]، ومن أشهر النساء اللواتي مارسن غزل الصُّوف ببلاد المغرب، بنات الأمير الأندلسي المعتمد بن عباد بعدما سجنه المرابطون في أغمات، حيث كُنَّ يغزلن للنَّاس مقابل أجرٍ يعشن منه[4]، وأخت المهدي بن تومرت التي كان قوته من غزلها، "ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا"[5].

وقد شجع الفقهاءُ النِّساءَ على مزاولة هذه الصَّنعة، إذ رأوا أنَّ قعودهنَّ في بيوتهنَّ على مغازلهنَّ، أفضل لهنَّ من الخروج إلى شيءٍ من العبادات الطَّاهرة[6]، لكنَّهم أعطوا الزَّوج حقَّ منع زوجته من ممارسة هذه الحرفة[7]، وهم لم يتسامحوا مع المخالفات الشَّرعية التي تفشَّت في أسواق الغزل، مثل مخالطة النِّساء للرِّجال وسفلة السَّماسرة، وتمازُجِهنَّ بما لا يحلُّ، حيث أوجبوا أن "... يُقدَّم هناك أمناءٌ، ويُختار ثقاتُ السَّماسرة وشيوخهم ويُمنع من كان متهماً من التصرُّف لهنَّ، ويُعيَّن للنساء موضعٌ مستترٌ يخصهنَّ للخلوة في قضاء ما يحتجن إليه من ذلك بحيث لا يخالطن من يتصرَّف لهنَّ من الرِّجال"[8]، ولم تكن كلُّ النِّساء تتردَّدن على هذه

---

(1) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.216.
(2) المالكي : **المصدر السابق** ، ج.2، ص.146 ؛ الونشريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص.500.
(3) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.215.
(4) سجلَّ المعتمد ذلك في قصيدةٍ مؤثرةٍ أنـظر: المراكشي: **المعجب**، ص.109 ؛ ابن الأثير:**المصدر السابق**،ج.8، ص.469 ؛ ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.5، ص.35 ؛ المقري: **المصدر السابق**، ج.6، ص.49
(5) ابن خلكان: **المصدر السابق**، مج.5، ص53-54.
(6) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج11، ص.227.
(7) المازوني: **المصدر السابق**: ج.2، ص.457-458.
(8) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص.500.

الأسواق، فقد كانت بعضهنَّ تشتغلن في البيوت بينما يقوم الرِّجال من أبنائهنَّ أو أزواجهنَّ ببيع ما يعملنه في الأسواق[1].

وازدهرت صناعة الثياب الصُّوفية في مختلف حواضر بلاد المغرب، فاشتهرت قسطيلية بصناعة الشقة الصُّوفية والكسى والحنبل[2]، وسوسة بغزلٍ يباع زنة المثقال منه بمثقاليين من ذهب، وكانت تقصر بها ثياب القيروان الرفيعة[3]، وبمدينة قلعة حماد كانت تُصنع أكسيةٌ يساوي الكساء منها ثلاثين ديناراً أو أزيد، وهي أكسيةٌ ليس لها مثيلٌ في الجدَّة والرِّقة إلا الوجدية[4]، التي بلغ الكساء الجيد من أكسيتها خمسين ديناراً وأزيد[5]، ويعمل ببلاد السوس من الأكسية الرّقاق والثّياب الرَّفيعة ما لا يَقْدر أحدٌ على عمله بغيرها من البلاد[6].

ومن أهم المنتجات الصُّوفية ببلاد المغرب، البرنس، أو "البرنوس" الذي كان يُنسَج من الصُّوف الأبيض ونادراً ما تستخدم فيه الألوان[7]، وقد عُرف في المنطقة منذ القديم حيث يظهر في الرُّسوم الصَّخرية العائدة إلى الفترة النوميدية[8]، وهو لباسٌ يتميَّز به البربر عن غيرهم، فقد ذكر ابن خلدون أنَّهم"...يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل..."[9]، وهو لباس الخاصَّة من الفقهاء وغيرهم، إذ كان للفقيه سحنون بن سعيد التنوخي، "... برنسٌ أسودٌ كثيراً ما يلبسه في المطر والبرد و الريح ..."[10]، وكان من جملة هدايا

---

(1) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.229.
(2) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.92.
(3) البكري: **المصدر السابق**، ص.36. الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.303. الحميري: **المصدر السابق**، ص.331.
(4) مجهول:**الاستبصار**، ص.170. الحميري: **المصدر السابق**، ص.470.
(5) مجهول:**الاستبصار**، ص.177. الحميري: **المصدر السابق**، ص.607-608.
(6) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.227-228. الحميري: **المصدر السابق**، ص.330.
(7) حارش: **المرجع السابق**، ص.134.
(8) حارش: **نفس المرجع**، ص.134.
(9) **العبر**، ج.6، ص.116.
(10) المالكي **المصدر السابق**، ج.1، ص.365.

الأمير يوسف بن تاشفين لابن عمه أبي بكرٍ بن عمر، "مائتين من البرانيس منها بيضٌ وكحلٌ وحمرٌ..." [1]، وكان الحسن الوزان يلبس برنساً أبيضاً من الصُّوف[2].

واشتهرت منطقة سوق فنكور بمنطقة أغمات، بصناعة البرنس، حيث "يعمل بها برانسٌ سودٌ حصينةٌ، لا ينفذها الماء"[3]، وكذلك جبل مديون الواقع في شرقي فاس، وفيه تعمل البرانس المديونية، التي لا ينفذ منها المطر هي الأخرى[4].

ووجدت صناعة العمائم الصُّوفية، بعدَّة مناطق منها: مدينة قفصة[5]، ومدينة سوسة المشتهرة بعمائم المعمور، التي"تساوي منها العمامة 100دينارٍ"[6]، "وكانت لملوك صنهاجة ببجاية عمائمٌ شربٌ مذهبةٌ يُغلون في أثمانها، تساوي العمامة منها خمسمائة دينارٍ وستمائة دينارٍ وأزيد، وكانوا يعمِّمونها بأتقن صنعةٍ فتأتي تيجاناً وكان ببلادهم صناعٌ لذلك، يأخذ الصَّانع على تعميم عمامته منها دينارين وأزيد وكانت لهم قوالبٌ من عودٍ في حوانيتهم يسمونها الرّؤوس يعمِّمون عليها تلك العمائم"[7]، وانتشرت عمائم الصُّوف عند أهل الصحراء الذين كانوا يتلثمون بها[8]، ويسميها بعضهم بالكرازي[9].

ـ صناعة الحرير:

---

(1) ابن الخطيب: **الحلل الموشية**، ص.15.
(2) الوزان : **المصدر السابق**، ج.1، ص.138.
(3) البكري:**المصدر السابق**، ص.155.
(4) ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص.141.
(5) مجهول:**الاستبصار**، ص.154.
(6) **نفس المصدر**، ص.119.
(7) مجهول **الاستبصار**، ص.129 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.81. الإشْرابُ خَلطُ لَوْنٍ بلَوْنٍ كأنَّ أحد اللَّوْنَين سُقِيَ اللونَ الآخَرَ يقال بياضٌ مُشْرَبٌ حُمْرةً مخففاً والثَّوْب يَتَشرَّبُ الصِّبْغَ يَتَشَرَّبُه وتَشَرَّبَ الصِّبْغُ فيه سَرَى(ابن منظور:**المصدر السابق**: مج.2، ص.289.)
(8) اليعقوبي : **المصدر السابق**، ص.17 ؛ الوزان: **المصدر السابق**، ج.1، ص.58.
(9) الإدريسي: **المصدر السابق**، مج.1، ص.224-225.

تؤكّد الإشارات القليلة التي تناثرت في المصادر، وجود صناعاتٍ تهتمُّ بنسج الحرير، فقد ذكر ابن حوقل أن بلاد المغرب تصدر الحرير إلى المشرق[1]، وقال الإدريسي عن مدينة قابس: "وكان بها فيما سلف طرز يعمل بها الحرير الحسن وبها الآن مدابغ للجلود ... وبها من ناحية البحر أيضاً سوق وباعة وحريريون كثيرون وشربهم من وادي قابس..."[2]، ويفيد ابن خلدون أن ملوك البربر بالغرب كانوا يتخذون البنود الملونة من الحرير الخالص ويوشونها بالذهب[3]، وجاء في نوازل المعيار ما يدل على وجود هذه الصناعة ودخولها في صناعة الملابس المختلفة، من بينها لُحُفٌ، يتَّخذها النَّاس للنوم يكون فيها أعلام الحرير نحو ثلثي شبرٍ في كلِّ طرفٍ[4]، ومنها أيضاً ثيابٌ يكون قيامها حريراً ولحمتها مما يَحلُّ من الخزِّ والصُّوف، وقد كرَّهها الأكثر من فضلاء العلماء للرّجال[5].

الصباغة:

كان أهل المغرب يصبغون النَّسيج والصناعات الجلدية، وكانت لهم معرفةٌ بالألوان الأولية والمركبة[6]، ويفيد ابن أبي زرع أنَّ ديار الصباغ في مدينة فاس بلغت "... مئة دار وست عشرة داراً"[7]، ومن المواد المستعملة في الصّباغ، النيلة والقرمز والزّعفران[8]، واستعمل بعضهم الرَّماد لتبيض الغزل، وكانوا يشترونه لهذا الغرض، لكنَّ بعض باعته كانوا يغشُّون فيه، فيكون فاسداً لا يُبَيِّض[9]، واستعمل بعضهم الكبريت لتبييض أكسية الصُّوف، بينما استحدث آخرون صباغاً

---

(1) **المصدر السابق**، ص94-95.
(2) **المصدر السابق**، مج.1، ص279.
(3) **المقدمة**، ص.239.
(4) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج11، ص.300.
(5) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج11، ص.92.
(6) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.231.
(7) **المصدر السابق**، ص.48.
(8) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.231.
(9) البرزلي: **المصدر السابق**، مج.3، ص.302-303 ؛ الونشريسي: **المصدر السابق**، ج6، ص.427.

يُصبغ به الصُّوف أحمر، وهو يُصنع من الخمر ويسمى "الطرطار"[1]، وقد تحرَّج البعض من استعماله والمتاجرة فيه لأنَّه صُنع من محرَّمٍ، واختلف الفقهاء حول بيعه والتجارة فيه، بين من كرَّهها ومن أجازها[2]، ويذكر الحسن الوزان أنَّ أهل الجبال في المغرب الأقصى كانوا يلبسون ثياب صوفٍ مصبوغة بلحاء جذور شجرة الجوز[3]، ممَّا يؤكّد استعمال هذا النوع من الصّباغ في بلاد المغرب.

3- الصناعة الغذائية:

تعتبر صناعة الألبان ومشتقاتها من أهمِّ الصّناعات الغذائية التي انتشرت في بلاد المغرب، وقد تحدَّثت المصادر عن وفرة الألبان والسَّمن، فذكر المقدسي(ق.4هـ/10م)، أنَّ" أطرابلس (طرابلس)كثيرة الفواكه والألبان"[4] في حين ذكر كل من ابن حوقل(ق.4هـ/10م) والإدريسي (ت548هـ/1154م)، أنَّ الجبال المنتشرة حول مدينة جزائر بني مزغناي، وافرة السَّمن إذ يُحمل منها إلى القيروان وغيرها[5]، ويتحدَّث ابن حوقل عن كثرة العسل والسَّمن وضروب الغلاَّت في تاهرت[6]، وهو نفس ما ذكره الإدريسي[7]، الذي أفاد أنَّ مدينة جيجل كانت كثيرة الألبان والسَّمن[8]، ويقول نفس المؤلف عن مدينة وهران: إنَّ" السَّمن والزَّبد والبقر والغنم بها رخيصةٌ بالثمن اليسير"[9]، وكانت مدينة "بني تاودا" التي بناها أميرٌ من المرابطين على مقربةٍ من جبل غمارة، غزيرة الألبان والسَّمن والعسل[1]،

---

(1) أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص.231.
(2) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج.6، ص.314-315.
(3) الوزان : **المصدر السابق**، ج.1، ص.97.
(4) **المصدر السابق**، ص.224.
(5) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص.78 ؛ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص.248
(6) **المصدر السابق** ، ص86.
(7)**المصدر السابق**، مج.1، ص.256 ؛ قارن بـ الحميري: **المصدر السابق**، ص.126.
(8) **المصدر السابق**، مج1، ص.255.
(9) **نفس المصدر**، مج1، ص. 254.

والعسل[1]، واشتهرت مدينة البصرة بألبانها، حتى عرفت ببصرة الألبان[2]، أو بقصر الدّبان[3]، كما تحدَّث الحميري(ت727هـ/1327م) عن كثرة السَّمن بقسنطينة[4]، وعن وفرة الألبان والسمن بمازونة الواقعة قرب مستغانم[5]، وبقرية أم الربيع الواقعة على نهر أم الربيع[6]، ويقول الحسن الوزان في حديثه عن غنم الدّمان، إنَّ أهل الصحراء في بلاد المغرب "...يستخرجون منها اللَّبن، ويصنعون منه الزَّبد والجبن"[7]، ويشير نفس المؤلف في حديثه عن الصناعات بمدينة فاس، إلى أن تجاراً كانوا يشترون اللَّبن الذي يتبقَّى في دكاكين اللَّبانين ليصنعوا منه الزبد[8].

وجرت العادة في بلاد المغرب، أن يخلط بعضهم لبَنَه مع لَبَن غيره لاستخراج الجبن، وهو الأمر الذي لم يُجزه كثيرٌ من الفقهاء، لأنَّ الألبان تختلف في مقدار ما يخرج منها من الجبن أو الزّبد[9]، وقد أجازه البعض شرط أن يُكال اللَّبن عند الخلط ويُقسم الجبن على حسبه[10]، وكان بعضهم يخلط لبن البقر والضَّأن ويُخرج زبدهما ثم يبيع اللَّبن، ولم يُجز الفقهاء هذه العملية وعدُّوها من الغبن[11]، لأنَّ لبن الضَّأن أطيبُ وأخثَرُ وأدسم، وزُبْده أكثر[12].

---

(1) الإدريسي:**نفس المصدر**، مج1، ص.248-249.
(2) مجهول: **الاستبصار**، ص.189.
(3) الحميري: **المصدر السابق**، ص. 108.
(4) **نفس المصدر**، ص.480.
(5) **نفس المصدر**، ص.521-522.
(6) **نفس المصدر**، ص.605.
(7) **المصدر السابق**، ج.2، ص.264-265.
(8) **نفس المصدر**، ج.1، ص.234.
(9) الونشريسي: **المصدر السابق**، ج5، ص.215.
(10) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج5، ص.239.
(11) الونشريسي: **نفس المصدر**، ج6، ص.289-290.
(12) الجاحظ: **الحيوان**، مج.2، ص.313.

وقد عرف العسل استعمالاً واسعاً في الصناعة الغذائية، فكان يدخل في صناعة كلِّ المعجونات والأنَّبجات[1]، وفي صناعة الخلِّ[2]، وصناعة النَّبيذ[3]، التي اشتهرت بها، مدينة مرسى الخرز بحيث كان العاملون بها في صيد المرجان "...ينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه ويسكرهم الإسكار العظيم ويعمل من الصُّداع ما لا يعمله نبيذ الدُّرة وغيره من الأشربة"[4]، وكان "النبيذيون"، في منطقة السُّوس بالمغرب الأقصى، يلقون على الكيل الواحد من العسل خمسة عشر كيلاً من ماءٍ، "فحينئذ يأتي شراباً وإن كان أقلَّ من ذلك بقي حلواً ولا ينحل إلاَّ في ماءٍ شديد الحرارة..."[5]، وهذا لجودة عسل السوس.

وفي المغرب الأقصى استخدمت الماشية في صناعة زيت الهلجان[6]، فقد كان ثمر شجر الهلجان في أرض أغمات والسوس يُقدَّم للماشية فتعلفه، ويُجمَع عجمه بعد ذلك، فيُطحَن ويُطبَخ ويُستخرَج من دهنه زيتٌ طيبٌ كثير النَّفع يكادون يستغنون به عن جميع الزّيوت لكثرته عندهم[7]، ويذكر الإدريسي أن أهل جبل درن يجمعون ثمره في آخر شهر سبتمبر ويَضعونه "...بين يدي المعز فتبتلعه ثم تُلقيه بعد أن تأكل قشرته العليا فيُجمع ويُعسَّل ويُكسر ويُدقُّ لبُّه ويُعصر فيَخرُج منه دهنٌ كثيرٌ صافي اللَّون عجيب المنظر إلاَّ أنَّه ليس بعذب الطعم"[8].

ج/استخدام الحيوانات في التجارة ببلاد المغرب:

---

(1) الجاحظ: **نفس المصدر**، مج.2، ص306.

(2) المراكشي: **وثـــائق**، ص.291.

(3) يسمى نبيذ العسل بِتْعاً وبِتَعاً، وكان أهل اليمن ينتبذونه، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه سئل عن البِتْع فقال: "كلُّ مُسْكرٍ حرام"(ابن منظور:**المصدر السابق**، ج.1، ص.157.)

(4) ابن حوقل**: المصدر السابق**، ص.77.

(5) البكري**: المصدر السابق**، ص162 ؛ قـارن بـ: الحميري: **المصدر السابق**، ص.330.

(6) عن الهلجان أنظر ما قبل: ص.127.

(7) **المصدر السابق، ص163.**

(8) **المصدر السابق، مج**.1، ص.230-231.

كانت الحيوانات من السلع المهمَّة التي يتمُّ تداولها داخل المغرب وخارجه، وقد تحدثت المصادر المختلفة عن رُخص أسعارها، حيث ذكر ابن عذاري أنَّ "موسى بن نصير"، قال للخليفة "سليمان بن عبد الملك"، وهو يحدِّثه عن بلاد المغرب بعد عزله عن ولايتها:"... لقد كانت الألف شاةٍ تباع بعشرة دراهم، كلُّ مائةٍ بدرهم! ولقد كان النَّاس يمرُّون بالبقر والغنم؛ فلا يلتفتون إليها! ولقد رأيت الدَّود من الإبل بدينار! .... فعجب سليمان"[1]، ويقول ابن حوقل(ق.4هـ/10م) عن بلاد المغرب:"... ولهم الخيل النفيسة من البراذين والبغال الفره والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص، فأما أسعارهم على تنائي مدنهم وديارهم فعلى غاية الرخص..." [2]، ويذكر ابن أبي زرع أنَّ الكبش كان يباع في أيام الأمير إدريس وذريته "....بدرهمٍ ونصفٍ والبقرة بأربعة دراهم، والعسل خمسةٌ وعشرون رطلاً بدرهم... دام ذلك خمسين سنة"[3].

وقد تحدَّث ابن حوقلٍ عن تجارة الغنم والصُّوف والماشية من الدَّواب وسائر الكراع بمدينة بونة[4]، وعن رخص أسعار الألبان والمواشي بـ مرسى الدّجاج[5]، وسجلَّ الإدريسي(ق.6هـ/ .12م)، رخص أسعار الماشية بمدينة تدلس فقال :"...وبها الغنم والبقر موجودةٌ كثيراً وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة"[6]، وذكر نفس المؤلّف أنَّ السَّمن والزَّبد والبقر والغنم بمدينة وهران "رخيصةٌ بالثمن اليسير"[7]، أمَّا صاحب كتاب الاستبصار(ق.6هـ/12م) فيقول إنَّ مدن المغرب الأوسط "... كثيرة الخصب والزَّرع كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي ومنها تُجلب الأغنام

---

(1) **المصدر السابق**، مج.2، ص.22.
(2) **المصدر السابق**، ص94-95.
(3) **المصدر السابق**، ص.44.
(4) **المصدر السابق**، ص.77.
(5) **نفس المصدر**، ص.77.
(6) **المصدر السابق**، مج1، ص.263.
(7) **نفس المصدر**، ص 254 ؛ قارن بـ الحميري: **المصدر السابق**، ص.612-613.

إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرُخصها"[1]، وهذا يدلُّ على رُخص أسعار الحيوانات في أكثر مدن المغرب الأوسط في هذه الفترة، وأفاد الحميري (ت727هـ/1327م) أنَّ ثمن الدَّجاجة مع عشرين بيضةً، بمدينة "دكَّالة" التي تقع بين مراكش والبحر المحيط، بلغ في بعض الفترات نصف درهمٍ فقط[2].

وقد اتُّخذت أسواقٌ لتجارة الحيوانات، تسمَّى بأسواق الدَّواب، وهي التي ورد ذكرها في أمثال العوام بالمغرب والأندلس، حيث قالوا:"أخرج لسوق الدواب تتعلم الجواب"[3]، ومنها ما خُصِّص لنوعٍ واحدٍ من الحيوانات، فوُجد في مدينة القيروان مثلاً، سوق الدَّجاج[4]، وسوق الجمال[5]، إضافةً إلى الأسواق الأسبوعية التي تُقام في جميع مناطق بلاد المغرب والتي تُباع فيها مختلف أنواع الماشية، مثل سوق أغمات وريكة الذي "...يقوم يوم الأحد بضروب السّلع وأصناف المتاجر يذبح فيه أكثر من مائة ثورٍ وألف شاةٍ وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك"[6]، وسوق مدينة مكناس الذي يعقد "...خارج المدينة قرب الأسوار كلَّ يوم إثنين، فيحج إليه عدد كثيرٌ من أعراب المناطق المجاورة، يأتون بأبقارهم وأغنامهم وسائر أصناف الماشية، ويحملون كذلك السمن والصُّوف بأبخس الأثمان"[7].

وكانت الحيوانات تُصدَّر من بلاد المغرب نحو المشرق، حيث ذكر ابن حوقل أنَّ الخيل النَّفيسة من البراذين والبغال القُرْه من السِّلع التي يُتَجهَّز بها من المغرب إلى المشرق[8]، وذكر كلٌّ من البكري(ق.5هـ/11م) والحميري(ق.8هـ/14م) أنَّ مواشي مدينة برقة كانت تُنقل إلى مصر حيث أصبحت

---

(1) **المصدر السابق**، ص.179.
(2) **المصدر السابق**، ص.619.
(3) الزجالي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.103.
(4) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.146 ؛ الدباغ : **المصدر السابق**، ج.2، ص.343.
(5) الخشني: **المصدر السابق**، ص.182.
(6) البكري:**المصدر السابق**، ص.153.
(7) الوزان : **المصدر السابق**، ج.1، ص.215.
(8) **المصدر السابق**، ص.94-95.

أكثر ذبائح أهل هذه الأخيرة منها[1]، وقد استمرَّت على هذه الحال إلى زمن الحسن الوزان(ق.10هـ/16م) الذي شاهد بمدينة الجيزة على ضفة النيل عدداً كبيراً من باعة المواشي أتى بها الأعراب من جبال برقة[2]، وتحدَّث ابن سعيدٍ (ت685هـ/1286م) عن قومٍ من هوارة يقيمون في قصور"مسراتة"، كان"... لهم غرامٌ بحمل الخيل إلى الإسكندرية"[3].

ومن مدينة مرسى فضالة الواقعة على البحر المحيط الغربي كانت المواشي تُصدَّر إلى الأندلس، حيث يقول الإدريسي إنَّ المراكب تردُها" ... من بلاد الأندلس وحائط البحر الجنوبي فتحمل منها أوساقها طعاماً حنطةً وشعيراً وفولاً وحمصاً وتحمل منها الغنم أيضاً والمعز والبقر"[4]، ومن المغرب الأوسط كانت تُحمَل الأغنام إلى بلاد الأندلس[5]، ويُخبر ابن الخطيب أنَّ المنصور بن أبي عامرٍ ترك بإسطبلاته في مدينة قرطبة، في الصَّائفة التي توفي في قفوله عنها سنة 392هـ/1002م، "ألف فرسٍ عدويةٍ كانت طريِّة العبور استغنى عنها وأمر بالقيام عليها"[6]، ومن الواضح أنَّ أكثر هذه الخيول التي نقلت من بلاد المغرب حديثاً_ إذا استثنينا منها الخيل التي كان يهديها زيري بن عطية إلى الحاجب المنصور[7]_ ووصلت إلى الأندلس عن طريق التجارة.

وكانت الخيول تُنقل إلى بلاد السودان، فهذه المنطقة حارَّةٌ لا يمكن تربية الخيول بها، وكان يملكها الموسرون فقط[8]، ويذكر الوزان أنَّ الجياد التي كانت

---

(1) البكري: **المصدر السابق**، ص05 ؛ الحميري: **المصدر السابق**، ص.91.
(2) **المصدر السابق**، ج.2، ص.233.
(3) **المصدر السابق**، ص.146.
(4) **المصدر السابق**، مج.1، ص.239-240.
(5) مجهول: **الاستبصار**، ص.179.
(6) **أعمال الأعلام**، ص.99-100.
(7) أنظر ما قبل: ص.81.
(8) عبد القادر زبادية: **مملكة سونغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ط، ص.222.

تأتي مع قوافل من بلاد المغرب، تُعرض للبيع بعد عشرةٍ أو اثني عشر يوماً من وصولها[1].

وكانت السلع الحيوانية هي الأخرى تُصدَّر إلى الخارج، مثل الحرير والأكسية و الجباب الصُّوفية وغيرها[2]، فكان الصُّوف والعسل يُحملان من مدينة برقة إلى مصر[3]، بينما يُحمل من مدينة قسطيلية جهاز الصُّوف من الشقة والكسى والحنبل إلى جميع الأقطار[4]، وكانت المراكب تَصدُر عن مدينة أجدابية القريبة من البحر المغربي "...بضروبٍ من التجارة، وأكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة وشقة الصُّوف..."[5]، ويفيد البكري(ق.5هـ/11م) أنَّ الكساء الطراقي المنسوب إلى مدينة طراق الواقعة في منتصف الطريق من قفصة إلى فج الحمار وأنت تريد القيروان، كان من جهاز مصر[6]، ويذكر ابن سعيد(ت685هـ/1286م) أنَّ التفاصيل الصُّوفية التي تحمل إلى الإسكندرية وإلى بلاد الدروب، تُجلب من طرّه قاعدة بلاد نفزاوه[7]، وكان التُّجار يحملون من مدينة سوسة العمائم الرَّفيعة المنسوبة إليها، إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً[8].

وإلى مدينة جيمي قاعدة بلاد الكانم ببلاد السودان، كانت الثياب تحمل من الحضرة التونسية[9]، كما كان أهل أغمات يدخلون بلاد السودان "...بقناطير الأموال من النُّحاس الملوَّن والأكسية وثياب الصُّوف والعمائم..." وغيرها[10].

---

(1) **المصدر السابق** ، ج.2، ص.166-167.
(2) ابن حوقل:**المصدر السابق**، ص94-95.
(3) البكري:**المصدر السابق**، ص.5 ؛ الإدريسي:**المصدر السابق**، مج.1، ص.310-311 ؛ الحِميري: **المصدر السابق**، ص.91.
(4) ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص.92.
(5) ابن حوقل: **نفس المصدر**، ص.69-70.
(6) **المصدر السابق**، ص.47.
(7) **المصدر السابق**، ص.127.
(8) مجهول: **الاستبصار**، ص.119.
(9) ابن سعيد: **المصدر السابق**.ص.95.
(10) الحميري: **المصدر السابق**، ص.46.

استخدام الحيوانات في النقل:

لعبت الحيوانات دوراً مهماً في نقل السلع داخل بلاد المغرب، أو نحو الخارج، حيث كانت الوسيلة البرية الوحيدة، وقد استعملت في ذلك الخيول والبغال والحمير، ولكنَّ الإبل كانت الأكثر استعمالاً في النقل ببلاد المغرب، خاصةً في المناطق الصحراوية والجافة، حيث يقول البكري عن مدينة باجة:"يرِدُها كلَّ يومٍ من الدَّواب والإبل العدد العظيم، الألف والأكثر، لانتقال الميرة"[1]، أمَّا مدينة توزر فيخرج منها _ حسب نفس المؤلف _" في أكثر الأيام ألف بعيرٍ موفورةً تمراً وأزيد[2]، وذلك لأنَّ الإبل تكتفي في الصَّيف بالشرب مرةً كلَّ أسبوعين، وأطول من ذلك في الشتاء، ولها القدرة على تخزين الماء مدَّة ثلاثين يوماً أو أكثر، وهي تستطيع قطع مسافة 50كلم دون توقفٍ، وقد يسَّر لها اتِّساع المناسم في أرجلها السير في التربة الرَّملية دون الغوص فيها[3]، ويستطيع الجمل أن يحمل ثقلاً يتراوح من 120 إلى 160كلغ[4].

وقد كان المسافرون إلى بلاد السودان يستصحبون جمالاً خاليةً لا أوقار عليها، ويُعطِّشونها قبل ورودهم الماء نهاراً وليلاً، ثم يسقونها إلى أن تمتلئ أجوافها بالماء فإذا احتاجوا إلى الماء نحروا جملاً وشربوا ما في بطنه[5]، ويقول ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) إنَّ المسافرين في الصَّحراء التي بين سجلماسة وغانا، "...وهي طويلةٌ عريضةٌ يُكابدون فيها شدّة العطش ووهج الحرِّ، وربما هبت ريحٌ جنوبيةٌ ونشَّفت المياه التي في القرب، فهم يعيدون إليها المياه التي في بطون

---

(1) **المصدر السابق**، ص56.
(2) **المصدر السابق**، ص.48.
(3) خالد زنيد: **المرجع السابق**، ص.181.
(4) بن عميرة: **المرجع السابق**، ص.458.
(5) جودة عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرسمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.ط، ص.254.

الإبل، ويجعلون على أفواهها الكمائم لئلاً تأكل شيئاً، فإذا نشف الريح مياههم نحروها جملاً جملاً وشربوا ما في بطنها"[1].

ويذكر كلٌ من المالكي والدَّباغ عن أبي عثمان سعيد بن محمد بن صبح الغسَّاني المعروف بابن الحداد(ت 302هـ/.914م)، أنَّه قدم من طرابلس في رفقةٍ فيها سبعون جملاً، يملكها رجلٌ واحدٌ يقال له أبو عوانة، ولما نزل هذا الأخير بالقيروان، اشترى ثلاثين جملاً حتى كمَّلها مائة جملٍ بأحمالها وأعوانها ثم توجَّه يريد السودان[2]، ويتَّضح من هذه الرواية أنَّ التجار إذا أردوا التَّوجه إلى بلاد السُّودان زادوا على عدد الإبل التي ينتقلون بها داخل بلاد المغرب إبلاً أخرى حتى تصل إلى حدود المائة، ويؤكّد هذا ما أخبر به الإدريسي عن أهل أغمات من هوارة، وهم "... تجارٌ مياسيرٌ يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال....وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم مائة جملٍ والسبعون والثمانون جملاً كلُّها موقرةٌ[3]، وبناءاً على هذا فإنَّ أعداد الإبل في القافلة الواحدة كانت تقدر بالآلاف، وقد ذكر ابن خلدون قافلةً متجهةً إلى بلد مالي ضمّت اثني عشر ألف راحلةٍ[4]، وقد ردَّ البعض أعداد الجمال الكبيرة إلى أسبابٍ تتعلَّق بالخشية من القبائل التي كانت تنهب القوافل[5]، وتكون أعداد الإبل في طريق العودة إلى بلاد المغرب، أقلَّ بكثيرٍ، ومعظمها دون أحمالٍ، لأنَّ ما يأتون به من بلاد السودان قليلُ الوزن مقارنةً بما يحملونه إليها[6]، كما أنَّ إبلهم تكون هزيلة وضعيفةً عندما تصل

---

(1) **المصدر السابق**، ص.113.
(2) المالكي: **المصدر السابق**، ج.2، ص.101-102.الدباغ: **المصدر السابق**، ج.2، ص.312.
(3) **المصدر السابق**، مج.1، ص.232.
(4) **العبر**: ج.7، ص.70.
(5) بن عميرة: **المرجع السابق**، ص.459.
(6) الوزان: **المصدر السابق**، ج.2، ص.260.

إلى بلاد السودان، فتباع حينذاك بدراهم معدودةٍ إلى أهل الصحراء الذين يعملون على إصلاحها[1].

إذن فقد لعبت الحيوانات دوراً مهما في اقتصاد بلاد المغرب، حيث استخدمت بالنسبة للزراعة في الحرث والسقي والدِّراس، كما استُخدمت فضلاتها في تسميد الأرض، أمَّا في الصناعة فقد شكَّلت منتجاتها من جلودٍ وصوفٍ وحريرٍ ولبنٍ وعسلٍ، المواد الأولية للعديد من الصناعات التي قامت في بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة، واعتمدت التجارة في المنطقة على الحيوانات بشكلٍ كبيرٍ، باعتبارها سلعةً نافقةً، ووسيلة وحيدةً لنقل البضائع براً.

الخاتمة:

يستنتج من دراسة بلاد المغرب طبيعيا أن الارتفاع هو الغالب على السطح، حيث تسيطر السلاسل الجبلية والهضاب على القسم الشمالي منها، أمّا القسم الجنوبي، فهو جزءٌ من الصحراء الإفريقية، ويتميّز التّساقط بعدم الانتظام بين السّنوات والفصول، وهو يقلّ كلّما توجَّهنا من الغرب إلى الشّرق، أو من الشمال إلى الجنوب، لذلك تعتبر المنطقة الشمالية من بلاد المغرب من أوفر المناطق مطراً، وأغناها نباتاً، وهي الأفضل لتربية الحيوانات، لكن هذا لا يعني أن جنوب بلاد المغرب لم يعرف هذا النشاط، فقد تكيفت بعض الحيوانات مع الظروف الصعبة وأصبحت قادرةً على تحمُّل الجفاف والتباين الحراري الكبير.

عرفت بلاد المغرب تربية الحيوانات منذ القديم، وقد سجلت المصادر وفرة أعدادها، وتحدَّثت عن تربية الماشية في العديد من المناطق، ويبدو أنَّ هناك مناطق اختصت بتربية نوعٍ معينٍ منها، وانتشرت تربية المواشي في الصَّحراء أيضاً، حيث اشتغلت قبائل صنهاجة بتربيتها، وكان أهل بلاد المغرب يربون الخيل

---

(1) **نفسه**.

والحمير والبغال، وقد لاقت الخيول المغربية شهرةً كبيرة في المشرق والأندلس، حيث كانت تُنقَل إلى هناك، وهي من السلالات المؤسسة للخيول في العالم، إذ انحدر منها الجواد الأنَدلسي الذي يُعرَف اليوم بالجواد الإسباني.

ووجدت بالمنطقة تربية النحل ودود الحرير، والدجاج والحمام، ومن اللافت أن الفقه الإسلامي وضع لتربية الكلاب شروطاً مثل استعمالها في الحراسة أو الرعي أو الصيد، ومنع تربيتها لغير ذلك، لكن بعض أهل المغرب كانوا يأكلونها، حتى اشتهر ذلك في المشرق، رغم أن الفقهاء لا يجيزون أكلها.

ونشطت حرفة الرعي كنتيجة طبيعية لوفرة الماشية، وانقسم الرعاة حسب طريقة رعيهم وتحركاتهم بقطعانهم إلى مستقرين ومتنقلين. أما المستقرون منهم فإنهم يقومون بنشاطاتٍ أخرى إلى جانب الرَّعي، وتتمثَّل نشاطاتهم غالباً في الزِّراعة، ولا يبتعدون في طلب المراعي ولا يتجاوزون في أغلب الأحيان حدود قُراهم، وقد كان الكثير منهم يسندون رعي مواشيهم، إلى رعاة مستأجرين، وأُخضِعَت عملية استئجار الرُّعاة لتعاليم الشَّريعة الإسلامية، فضبطتها كتب الفقه وبيَّنت ما للأجير وما عليه.

أما الرعاة المتنقلون، فقد كانوا يجوبون أنحاء بلاد المغرب في جماعاتٍ، تمثلها القبيلة غالباً، وتتحكم المراعي في حلهم وترحالهم، وكانت القبائل الرعوية المتنقلة كثيرةً.

وقد كانت المراعي مهمة جداً في بلاد المغرب، حيث كان توفرها من الشروط التي تراعى في تأسيس المدن، لدرجة أنهم يهملون الشروط الأخرى إذا توفرت المراعي، وتشير كتب الجغرافيا التي تحدَّثت عن بلاد المغرب كثرة المراعي، حيث لا تكاد تخلو منها منطقةٌ واحدةٌ، لكنَّها اختلفت في خصوبتها واتساعها ومُلاءمتها لأنواع الحيوانات.

واهتم المغاربة بالحيوانات، فلاقت هذه الأخيرة منهم رعايةً كبيرة، حيث كانوا يعلفونها، في أيام العمل الشاق والحروب حتى لا تضعف، فازدهرت زراعة العلف والقصيل، كما عملوا على إيواءها حفظاً لها من السباع أو الظروف المناخية، فاتخذوا الإسطبلات والزرائب.

وقد شدد الفقهاء في بلاد المغرب على الرفق بالحيوانات، ولم يتسامحو مع بعض المخالفات التي ترتكب في حقها، كما كانت كتب الحسبة تبين أوجه الغبن الذي تتعرض له البهائم وتلزم المحتسب برفعه.

وواجهت تربية الحيوانات الكثير من المشاكل التي كانت تؤثر عليها سلباً، من هذه المشاكل ما كان للإنسان دخل فيها، مثل الحروب والفتن التي كانت المنطقة تمر بها من حين لآخر، ومنها ما هو طبيعي مثل الأسود و الكوارث الطبيعية من جفاف وفيضانات.

وارتبط نشاط تربية الحيوانات بغيره من النشاطات الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً، حيث وفر للزراعة السماد والآلة، كما أن الصناعة اعتمدت على ما وفره من مواد أولية تتمثل في الجلود والصوف، والعسل واللبن، وكانت المنتجات المصنوعة من مواد حيوانيةٍ تملأ الأسواق في الداخل وتصدر نحو الخارج، وقد كانت الحيوانات تلعب دوراً حاسما في حركة التجارة التي عرفت في تلك الفترة بين بلاد المغرب والمشرق من جهة، وبين بلاد المغرب وبلاد السودان من جهةٍ أخرى، حيث اعتمدت التجارة على الحيوانات بشكلٍ كبيرٍ، باعتبارها سلعةً نافقةً، ووسيلة وحيدةً لنقل البضائع براً.

الملاحق

الملحق : 1.

عيوب الدواب:

وأمّا العيوب التي توجب الردَّ في الدواب: فالنفار في الفرس إذا كان مفرطا،والحران، وقلة الأكل والانتشار وهو انتفاخ العصب، والشظر وهو عظم ناتئ في الذراع، والجرد، وهو كلّ ما يصيب في عرقوبه من تزايد وانتفاخ عصب، والرمص،

وهو ورم يكون في أطراف حافره، والزوائد، والسرطان وهو داء يأخذ في الرسغ، والحكك، وكذلك العشش، وهو شيء يشخص في وظيفه حتى يكون حجما ليس له صلابة غيره من العظام، والرهصة، والحبرة، والقلف، وقطع الرسن، والأوتار،والنملة وهو شيء في الحافر، وأن يبل المخلاة والشبكة، والتعسيل، والبياض في العين وإن لم يكن على الناظر منه شيء، وأكل الشكل والقيود والأزمة،وأكل أرواثها، والصهولة والتنكيب،والذي إذا شرب خرج الماء من أنفه،والقاطع للمخلاة التي يعلف فيها،وتبدير العلف، والغامد ذكره، والفارمن صاحبه إذا سمع وجبة، والذي لا يأوي إذا رأى اللجام عليه، والباطئ في سيره والذي تقرقر بطنه، والذي تدمع عينه والذي يرقد إذا حمل عليه من غير ثقل، والتقويس في الذراعين، والجموع وهو حفرة بين العنق والحارك تولد به الدابة، والجموح إذا كان شديدا، وهو الذي يركب رأسه ولا يثنيه شيء،فإن كان خفيفا لم يرد به، والشراد، والعثار، مالم يكن خفيفا، وليس عدم حرث الثور أو البقر بعيب عند سحنون إلاّ أن يشترط،يريد ولو اشتراه في الإبان، ولو شرطه ولم يبين هل برأسه أو بعنقه؟ فوجد بعنقه، فله رد ذكور البقر دون إناثها لأنه المعروف فيها، وفي الأضحية توجد بعد ذبحها عجفاء اضطراب[1].

الملحق: 2.

عيوب الدواب

وعيوب الدَّواب منها الانتشار... وهو انتفاخ العصب، ومنها الشظى وهو عظم نات بالذراع، فإذا تحرك قيل شظى الفرس. ومنها الدحس وهو ورم يكون في أطرة الفرس. ومنها الزاوائد وهي أطراف عصب تبرق عند العجالة فيقطع عنها ويلصق بها. وفي تفسير آخر هي متولدة من النقرس. والحرد وهو ماكان يصيبه في عرقوبه من ترهل وانتفاخ عصب. والسرطان وهو داء يأخذ في الرسغ فتيبس عروق الرسغ حتى ينقلب

[1] أحمد بن يحيى الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، الجزء السادس، ص.49-50.

حافره. ومنها الارتهاش وهو أن يصل بعرض حافره عرض عجافته من اليد الأخرى فلربما أدماها وذلك لضعف يده.والمشش وهو شيء يشخص في رطيفة حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح.عياض هو عيب في قوائمها. قال: والنملة وهو شق في الحافر من ظاهر المرفق، ومنه الانفصال الفاحش لأنَّ الحافر ليس له صلابة غيره. ومنها الرهصة والدبرة إذا لم يعلم بقدرهما. ومن الشبكة ومن كل ما يقول أهل الصناعة إنَّه عيب ردت به كالسوي والمبوس والطنفس والبيض والهاجات والعلو والجهم والبل للمخلاة وقطع الرسن والإوناد الزهارة والرفص. والخموع عيب يرد به وهو حفرة بين العنق والحارك تصاب به الدابة، والحرن والصك عيب ترد به إذا كان شديدا، فإن كان خفيفا لم تردبه.والعثار والنفار والشراد فيها عيب إلا أن يكون خفيفا. الأبهري: وليس غلظ الدابة عيبا لأنَّ ذلك زيادة قوتها ونفعها والعيب إنما هو ما ينقصها[1].

الملحق: 3.

الحسن الوزان يصف إبل بلاد المغرب

"...البعير حيوان أهلي هادئ جدا توجد منه أعداد عظيمة خصوصا في الصحاري وتكون الإبل ثروة الأعراب وأرزاقهم وعندما يراد ذكر ثروة أمير أو شريف من الأعراب يقال فلان له مقدار كذا من آلاف الإبل ولا يقال له مقدار كذا من الممتلكات، وجميع الأعراب الذين يملكون الإبل أمراء يعيشون أحراراً إذ بها يستطيعون الإقامة في الصحاري التي لا يقدر ملك ولا أمير أن يصل إليها لجفافها.

يوجد هذا النوع من الحيوانات في جميع أنحاء العالم في آسيا وإفريقيا وحتى في أوربا حيث يستعملها الأمراء الأتراك في رحلاتهم لكن إبل إفريقيا أفضل من إبل آسيا لأنها تحمل الأثقال مدة أربعين أو خمسين يوما دون أتستلزم علفا في المساء وإنما تكتفي

---

[1] أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي: **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، الجزء الثالث، ص.292.

بأن تنزل عنها الأحمال وتترك لكي ترعى في البرية قليلا من العشب والشوك وأغصان الشجر وذلك مالا يمكن عمله مع إبل آسيا.

ويجب عند السفر أن يكون الجمل كثير السمن مملوء البطن فقد أظهرت التجربة أن الجمل عندما يسافر خمسة أيامٍ وهو يحمل الثقل دون أن يأكل ، يذهب أولا شحم سنامه ثم بعد خمسة أيام أخرى يذهب شحم بطنه،ثم شحم ساقيه بعد خمسة أيام كذلك، وإذا فقد شحمه كله لا يستطيع خمل مائة رطل لذلك فإن التجار الذين يستعملون الإبل في آسيا يعلفونها كل مساء، الأمر الذي يضطرهم إلى أن يأخذوا مع كل جمل يحمل ثقلا جملا آخر يحمل علفا، وهكذا فإن الجمال في قوافل آسيا تسير وهي محملة دائما سواء في الذهاب أو الإياب وتبقى مع ذلك سمينة ولو ضاعفت الأسفار.لكن التجار الأفارقة الذين يذهبون إلى إثيوبيا لا يهتمون بالرجوع، لأن دوابهم تعود فارغة، ما يأتون به من إثيوبيا قليل الوزن بالنسبة لما يحملون إليها، ولذلك فإن جمالهم تكون هزيلة وتصبح ظهورها مصدر ألم لها عندما تصل إلى إثيوبيا، فتباع حينذاك بدراهم معدودة إلى أهل الصحراء الذين يعملون على إصلاح حالها. ولا يحتاج التجار لعودتهم إلى نوميديا أو إلى بلاد البربر إلا لعدد قليل من الدواب لحملهم ونقل المؤن والذهب وبعض الأشياء الخفيفة.

والإبل ثلاثة أصناف _ أو إن شئتم ثلاثة أنواع_ يدعى الصنف الأول منها هجنا، وهي ضخمة طويلة وحاملات ممتازة، لكنها لا تستطيع أن تحمل ثقلا قبل أن تبلغ السنة الرابعة، وحينئذ يصبح أضعفها قادر على حمل ألف رطل إيطالي .ولوضع الأحمال عليها تلمس بقضيب في ركبتها وعنقها فتبرك في الأرض بسرعة بالغريزة. وبمجرد ما يحس البعير بما يكفيه من الوزن الموضوع عليه يقف ومن عادة الأفارقة الذين يرغبون في احتفاظ إبلهم بمزاياها كحاملات أن يخصوها ولا يحتفظون إلا بذكر واحد لكل عشر من الإناث ، ويدعى البعير من الصنف الثاني بختا، وله سنامان كلاهما صالح لحمل الثقل أو الركاب، لكنه لا يوجد إلا في آسيا.

ويطلق اسم رواحل على إبل النوع الثالث، وهي نحيلة الجسم رقيقة الأعضاء لا تصلح لغير الركوب، لكنها سريعة جدا، أغلبها قادر على قطع مسافة مئة ميلٍ أو أكثر في اليوم، مع الاحتفاظ بالعدو مدة ثمانية أيام أو عشرة في الفلاة بأقل زاد.ويستعملها جميع الأشراف من أعراب نوميديا وأفارقة ليبيا مطايا لهم وإذا أراد ملك تمبوكتو إبلاغ أمر هام إلى تجار نوميديا، أرسله بواسطة ساع راكب أحد هذه الجمال التي تقطع مسافة تسعمائة ميل بين تمبوكتو ودرعة أو سجلماسة في ظرف سبعة أيامٍ أو ثمانية، إلا أنه من الضروري أن يكون للمكلفين بمثل هذه المهام خبرة كبيرة بالصحراء، ويطلبون لسفر ذهابا وإيابا أجرة قدرها خمسمائة مثقالٍ.

ويكون نزو الإبل في أوائل الشتاء، فلا تتصارع حينئذٍ بينها فحسب لكنها تهاجم الذين آذوها حتى تقتلهم، لأنها تتذكر كل لحظة تلقت فيها الضربات من صاحبها، وإذا أمسكت أحدا بين أسنانها تركته يسقط ثم داسته بقوة بأخفافها الأمامية. ولا يدوم نزوها إلا أربعين يوما ثم تعود هادئة. وتصبر على العطش صبرها على الجوع ففي استطاعتها أن تبقى خمسة عشر يوما دون أن تشرب ماء ولا تتأذى بذلك. وإذا أورد أحدهم إبله كل ثلاثة أيام أضرها ذلك لاعتيادها الورود كل خمسة أيامٍ فقط أو كل تسعة أيام، بل وكل خمسة عشر يوما إن اقتضى الحال.

وللجمال إحساسات عاطفية طبيعية وبعض العواطف الإنسانية، إذ يحدث أنّ الذين يسوقونها في الطريق بين إثيوبيا وبلاد البربر يضطرون إلى قطع مرحلة أطول من المعتاد فإذا لاحظوا أن إبلهم تأبى السير إلى أبعد من ذلك، لم يرغموها على المسير بالضرب وإنما يغنون لها ألحانا خاصة تطرب لها وتتابع سيرها بأسرع مما تفعله الخيل المدفوعة بالسوط والمهماز، حتى أنّ حداتها يشق عليهم إتباعها"[1].

[1] الحسن بن محمد الوزان :**وصف إفريقيا**، ج.2، ص.159-261.

الملحق:4.

استخدام الإبل في الحرب في الصحراء

"... وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله عن قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية أودغشت للإيقاع بآل تَنبَروتان في جمع كثيف وعدة قوية وعدة عظيمة تلتمس غرة وتهتبل فرصة عن طوائل حدثت مع بعض صنهاجة، وبلغ ذلك تنبروتان ملكهم هذا وأعيد عليه ذكرهم وحالهم ومقصدهم في طريقهم دفعات، فلم يعد جوابا فيه ودعا برعاة لأخته، وكانت أيسر أهل قبيلتها وأكثرهم مالا من حيث لا يعلم أحد، وقال لهم أنتم على مياه فلانة وفلانة وبنو فلان يريدون ناحيتكم ليلة كذا وكذا، فإذا كان في سحرة تلك الليلة فاعتمدوا هيج الإبل التي هناك بأجمعها على الشرف الفلاني ونفارها على القوم، واكتموا ما أقوله عن أنفسكم لتنالوا به مني خيرا إن شاء الله، وأتى القوم فنزلوا ونفر الرعاة الإبل فصوبت على المكان والجيش الذي به فأتت على جميع ما كان منهم مع إبلهم وسلاحهم درسا لهم ووطئا عليهم حتى استفاض جميع من بأودغشت ومن بعد عنها من أعدائهم، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية بوجه من الوجوه ولا أثر لشيء مما كان معهم، حتى جعلوه شِذَرَ مِذَر، وكان رعاتها مائة ومع كل راع منهم مائة وخمسون جملا وأصبحوا إليه يهنئونه وقد كفاهم الله شرهم..."[1].

[1] أبو القاسم بن حوقل النصيبي: **كتاب صورة الأرض**، ص.97-98.

الفـــهارس

فهرس الأعلام والقبائل

الإباضي (أبو زكرياء): 86 – 108 – 161
ابن أبي الربيع: 117
ابن أبي دينار: 86
ابن أبي زرع: 69 – 160 – 173 – 177
ابن الأثير: 86 – 120 - 56
أحمد موسى عز الدين: 127
ابن الأخوة : 101
إدريس: 177

إدريس بن إدريس: 61 – 118
الإدريسي: 61 – 63 – 65 – 66 – 80 – 83 – 91 – 92 – 93 – 94 – 122 – 127 – 135 -153 – 155 – 160 – 161 – 166 – 172 – 174 – 176 – 177 – 179 – 183
الأزدي (أبو البشر): 162
إسحاق بن يزيد بن حاتم: 100 – 142
أسلم بن عبد العزيز: 100
اسماعيل بن عبيد الله: 167
أشهب: 101
ابن الأغلب (عبد الله بن إبراهيم): 151
أفلح بن عبد الوهاب: 75
باديس بن المنصور: 77
البرانس(قبيلة): 62 – 63 – 83
البرزلي: 141
أبو بكر بن عمر: 68 – 78 – 85 – 119 – 126 – 171
البكري: 60 – 65 – 92 – 93 – 97 – 100 – 114 – 115 – 119 – 123 – 127 – 140 - 153 – 154 – 179 – 180 – 181
البلاذري: 56
بلغيث محمد الأمين: 119
بلكين (بن زيري): 107 – 137 – 161 – 162
البهلول بن راشد: 79
البيدق: 78 – 87
التازي عبد الهادي: 166 – 167
التجيبي يزيد بن طفيل: 86
ابن تومرت: 78
توينبي: 114 – 115
تيزا بن وانشق بن بيزا: 67
تين ياروتان بن واسينو بن نزار: 67
ثيولوتان بن تيكلان: 67
جرجير: 56 – 72
جراوة (قبيلة): 57
جرير (الشاعر): 84
الجمي واصل بن عبد الله: 96
الجيتول (قبائل): 113
ابن الحاج : 133

الحاكم بأمر الله: 77 – 164
ابن الحبحاب : 58
ابن حبيب: 112
حسان بن النعمان: 73
حسن حسني عبد الوهاب: 161
حسين مؤنس: 68
حماد: 162
بني حميد : 81
الحميري: 53 – 65 – 80 – 92 – 94 – 100 – 119 – 127 – 154 – 155 – 161 – 174 – 178 – 179
أبو حنيفة : 101 – 130
ابن حوقل : 61 – 63 – 64 – 65 – 82 – 83 – 91 – 92 – 93 – 122 – 123 – 133 – 134 – 154 – 155 – 159 – 168 – 172 – 174 – 177 – 179
أبو خالد عبد الخالق: 79
الخشني: 100
أبو الخطاب: 74
ابن الخطيب : 69 - 119 – 179
ابن خلدون : 69 – 74 – 86 – 89 – 95 – 114 – 115 – 116 – 117 – 119 – 123 – 138 - 146 – 150 – 157 – 164 – 165 – 167 – 171 – 172 – 183
ابن خلكان: 62 – 69 – 78
الخولاني (سعد): 96
الخولاني (سعدون بن أحمد): 87
الدباغ: 182
بنو دمر: 63
دياب: 133
ذباب بن سليم: 150
ابن رستم: 61
ابن رشد: 133
رهانة: 63
الزركلي: 73
زغب: 134
زناتة (قبيلة): 63 – 116 – 136 – 137
زواغة: 113
زواوة (قبيلة): 62
زيادة الله بن إبراهيم: 59

زيري بن عطية: 69 – 81 – 180
سبع بن منغفاد: 69
سحنون بن سعيد: 60 – 99 – 151 – 152 – 167 – 171
سدراته (قبيلة): 61 – 117
سعدون الصواف: 86 – 157
سليمان بن عبد الملك: 58 – 73 – 176
السيد أبي حفص: 78
السيوري: 54 – 128
الشافعي: 101 – 130
الشيعي (أبو عبد الله): 75 - 157 – 161 – 166
صاحب الاستبصار: 53 – 94 – 177
ابن صاحب الصلاة : 69 – 165
صالح بن طريف: 97
ابن الصغير (المالكي): 74 – 108 – 121
صنهاجة (قبيلة): 62 – 67 – 68 – 116 – 135 – 137 – 166 – 171
الصنهاجي (أبو عبد الله): 75
ضريسة: 114
ابن طالب أبو العباس : 59 – 108 – 151
ابن عباس (عبد الله) : 57 – 107
أبو العباس بن عبد الوهاب (الرستمي): 84
العباسي المعتضد: 76
العباسي المنصور: 74
عبد الرحمن بن رستم: 60 – 74 – 75 – 129
عبد العزيز بن مروان: 73
أبو عبد الله محمد بن بكر: 108
عبد الله بن أبي سرح: 56 – 72
عبد المؤمن بن علي: 87 – 125 - 165
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم: 75
عبدة بن عبد الرحمن: 73
بني عبيد : 107
عثمان بن عفان: 163
ابن عذاري : 57 – 58 – 73 – 76 – 77 – 119 – 157 – 176
ابن عرفة: 159
العروي عبد الله: 131
عقبة بن نافع: 56 – 71 – 73 – 118

عكرمة (مولى ابن عباس): 101
عمارة بن عقيل: 84
عمر بن الخطاب: 72
عمر بن حفص: 74
عمر بن عبد العزيز: 59 – 129 – 167
عمر بن عبد الله: 59
عمرو بن العاص: 56 – 72
بن عميرة محمد: 154
أبو عوانة : 182
عوف: 133
الغافقي أبو عياش: 60
الغساني (أبو عثمان سعيد بن الحداد): 95 - 182
غمارة (قبيلة): 81
الفارسي بن فروخ: 142
الفيلالي عبد العزيز: 97
القائم بأمر الله: 64 – 67 – 77
القابسي أبو الحسن: 142
أبو القاسم بن عبيد الله : 76 – 131
أبو القاسم حماس بن مروان : 97
ابن القاسم عبد الرحمن: 60 – 101 – 111 – 142 - 148
أبو القاسم يزيد بن مخلد: 161
القرافي شهاب الدين: 101
القمودي أبو جعفر: 109 – 132
القيرواني بن أبي زيد: 122
القيرواني بن الجزار: 90 – 97
الكاهنة: 57
كتامة (قبيلة): 157 – 161
كواتي مسعود: 97
ابن لبابة : 132
لخم : 91
اللخمي (فقيه): 136
لمتونة (قبيلة): 53
لمطة (قبيلة): 53
مؤنس الخادم: 76
المازري (أبو عبد الله): 88

مالك (الإمام): 60 – 88 – 98 – 101 – 111 – 124 – 130 - 148
المالكي أبو بكر: 76 – 96 – 132 - 151 – 162 – 182
أبو محرز محمد بن عبد الله الكناني : 59
محمد بن الأشعث: 74
محمد بن عرفة: 75
المخزومي اسماعيل بن أبي المهاجر: 129
بني مدرار : 62 – 107 – 118
المراكشي (عبد الواحد): 109 – 112 – 129 – 165
ابن مردنيش: 125
بني مرين : 62
مزاته (قبيلة): 61 – 114 – 117
المزاتي أبو الربيع سليمان: 108
المستنصر الفاطمي: 71
مسعود بن وانودين: 68
مسلمة بن عبد الملك: 84
مضغرة (قبيلة): 59
المظفر عبد الملك: 81
المعافري أبو كريب: 161
المعتمد : 169
المعز أبو تميم: 107
المعز بن باديس: 71 – 162
المعز بن زيري: 81
المعز لدين الله الفاطمي: 107 – 161
معنصر بن المعز:81
المغربي بن سعيد: 85 – 135 – 179 – 180 – 182
مغراوة: 68
المقدسي: 88 – 91 – 100 – 163 – 166 – 173
المقري: 85
المكناسي أبو القاسم (سمكو بن واسول): 61 – 62 – 107
المنتصر الحكم: 67
المنصور اسماعيل: 77
المنصور بن أبي عامر: 69 – 81 – 130 – 179 – 180
المنصور بن القائم بأمر الله: 64
المهدي (ابن تومرت):154 - 163 – 165 – 169
المهدي عبيد الله: 64 – 67 – 75 – 76 – 87

مهرة بن حيدان: 68
الموحدي يوسف المنتصر بالله: 62 – 79
موسى بن نصير: 58 – 73 – 176
بنو موليت : 117
موهب بن حبي: 57
ميسرة الحسن: 59
ميسور الفتى: 166
النابلسي: 147
الناصر عبد الرحمن: 67
نفزاوة: 117
بني نقفاوة : 81
أبو نوح (سعيد بن زنغيل): 107
نيميزيان: 70
الهرفلي (أبو زكرياء): 86 – 157
أبو هريرة: 101
هشام بن الحكم: 81
هشام بن عبد الملك: 58 – 163
هلال: 134
ابن همشك: 125
الواثق: 84
والطون كنيث: 113 – 115
بني وانودوين: 68
الورداني أبو محمد: 60 – 107
الوزان (الحسن): 53 – 54 – 55 – 71 – 72 – 83 – 88 – 92 – 94 – 95 – 98 – 106 – 123 – 128- 130 - 139 - 148 – 151 – 154 – 161– 162 – 165 – 166 – 171 – 173 – 174 – 180
الوغليسي: 99
الونشريسي: 89 – 96 – 106 – 112 – 139 – 155 – 160 – 163
اليازوري: 71
الياس أبو منصور: 84
يحي بن سعيد : 59
بني يرغش: 118
يرويان بن واستولى: 67
يزيد بن حاتم: 59 - 86
أبو يزيد مخلد بن كيداد: 64 – 77 – 86 – 168

يعقوب بن أفلح: 61 – 75
اليعقوبي: 62
أبو اليقظان : 125 – 143
يوسف بن تاشفين: 68 – 69 – 78 – 82 – 85 – 119 – 126 – 164 – 168 – 171
يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب: 69 – 70 – 78 – 79 – 85 – 125
يوسف بن محمد بن افلح: 61 – 84

فهرس الأماكن

أبو الطويل (قلعة): 120 – 121 – 134
أجدابية: 155 – 180
الإربس: 86
أرجكوك: 66
الأرك: 88
أزغار ايكمارن: 140
الإسكندرية: 21- 179
الأطلس الأوسط: 42
الأطلس التلي: 23 – 26 – 43

الأطلس الصحراوي: 23 – 26
الأطلس الكبير: 23 – 34 – 42
الأطلس المتيجي (البليدي): 24
أغمات: 63 – 83 – 127 - 169 – 171 – 176 – 178 - 181 - 183
افريقيا الغربية: 22
افريقيا الوسطى: 22
إفريقيا: 20 – 22 – 31
إفريقية: 54 – 56 – 57 – 59 – 63 – 66 – 72 – 73 – 86 – 91 – 94 – 97 – 100 – 107 – 115 – 120 – 129 – 134 – 135 – 136 – 142 - 155 – 166
آفلو: 27
إقليم القصرين: 46
إقليم فريانة: 46
أندرار: 108
الأندلس: 21 – 62 – 67 – 69 – 78 – 81 – 82 – 95 – 125 – 126 - 142 - 156 – 157 – 178 – 179 – 180
أنكاد: 139
أودغشت: 67
أوربا: 21 – 31 – 41
إيطاليا: 71
باب أبي الربيع: 60
باجة: 181
باغاي: 107
باغاية: 63 – 71 – 73 – 114 – 120 - 162
بجاية: 121- 171
البحر الأبيض المتوسط: 20 – 21 – 28 – 31 – 38 – 39 – 41 – 43
البحر الأحمر: 20
بحر الرمال: 49
برشك: 65
برغواطة: 97
برقة: 21 – 39 – 64 – 91 – 120 – 150 – 155 – 160 – 168 - 179 – 180
البصرة (بادية): 84
البصرة: 66 – 74 – 121 - 174
بلاد الجريد: 127 – 135 – 137
بلاد الدروب: 181
بلاد السودان: 180 – 181 – 182 – 183

بلاد المغرب: 20 – 21 – 22 – 24 – 26 – 28 – 29 – 30 – 31 – 32 – 33 – 34 – 36 – 39 – 41 – 47 – 53 – 55 – 57 – 58 – 60 – 62 – 63 – 67 – 69 – 71 – 77 – 79 – 80 – 81 – 82 – 84 – 85 – 86 – 88 – 91 – 97 – 100 – 101 – 106 – 108 – 109 – 112 – 113 – 115 – 116 – 117 – 118 – 119 – 121 – 122 – 123 – 126 – 127 – 128 – 129 – 131 – 132 – 134 – 136 – 139 – 140 – 141 – 142 – 143 – 146 – 149 – 150 – 152 – 153 – 154 – 161 – 162 – 163 – 164 – 166 – 167 – 169 – 170 - 172 – 173 – 175 – 176 – 177 – 178 – 179 – 181 – 182 – 183
بلنسية: 125
البندرية: 91
بنزرت: 37
بني تاودا: 92 - 174
بني واريفن: 121- 155
بونة: 63 – 80 – 92
تادلس: 177
تامسنا: 97 – 139
تاهرت: 60 – 61 – 66 – 74 – 75 – 80 – 83 – 84 – 92 – 101 – 116 – 117 – 121 – 134 - 174
تبسا: 65 – 130
تدمير: 69
تساوة: 153
التشاد: 21 – 27
تطوان: 123
تقرت: 35
التل الشمالي: 23
تلمسان: 116 – 139
تمبكتو: 166
تنس: 155
توزر: 181
توكرة: 24
تونس: 22 – 23 – 25 – 27 – 32 – 34 – 37 – 38 – 46 – 54 – 83 – 85 – 91 – 120 - 156 – 159 – 161
تيجس: 120
جبال الأطلس: 22
جبال الألب: 23

جبال الريف: 23 – 36 – 42
جبال الظهر: 23
جبال الظهرة: 28
جبال الهقار: 27
جبال الونشريس: 28
جبال أوثان: 91
جبال تيبستي: 26
جبال جرجرة: 23
جبال خمير: 43
جبال درن: 123
جبال غمارة: 69 – 92
جبال فازاز: 80
جبال مجردة: 24
جبال ونشريش: 80
الجبل الأخضر: 24 – 36 – 41 – 46
جبل الدرقة: 123
جبل الشعانبة: 23
جبل العوينات: 26
الجبل الغربي نفوسة: 24
جبل أوراس: 23- 63 – 64 – 73 – 80 – 120 – 123
جبل بني راشد: 80
جبل بني منصور: 106
جبل توبكال: 23
جبل درن: 176
جبل دمر: 63
جبل زكار: 27
جبل غمارة: 174
جبل لمتونة: 123
جبل مديون: 171
جبل نفوسة: 63 – 84 – 143
جبل واسلات: 83
جربة: 168
جرمة: 153
جزائر بني مزغناي: 65 – 92 – 121 - 174
الجزائر: 22 – 23 – 24 – 25 – 26 – 27 – 32 – 33 – 34 – 37 – 38 – 46

جزيرة قرقنة: 65 – 120
الجزيرة: 69
جلولا: 91
جيان: 95 – 125
جيجل: 121 - 174
الجيزة: 179
حاحه: 64 – 92
الحجاز: 127
حصن بكر: 121
حصن يرارة: 53 - 168
حمص: 60
خليج غانا: 38
خليج قابس: 23 – 24
خميس مطغرة: 94
الدار البيضاء: 34
درعة: 68
دكار: 33
دكالة: 178
دلس: 37
دمشق: 85
رأس غير: 23
الروحاء: 60
الريف: 106
الزاب: 62 – 137
الزلاقة: 69 – 78 – 82
زويلة : 62 - 85 – 135 - 156
الساحل التونسي: 24
الساحل: 24
الساقية الحمراء: 25
سبرت: 56
سبرة: 56
سبيبة: 66
سبيطلة: 56 – 72
سجلماسة: 53 – 62 – 68 – 75 – 100 – 118 - 148 – 154 – 155 – 168 – 182

سرت: 63 – 120 – 135
سفاقس: 65 – 120
سلسلة الريف: 32
السنيغال: 21
سهل الجفارة: 24
سهل المتيجة: 24
سهل تيرس الزمور: 26
سهل عنابة: 24
سهل وهران: 25
سهول الريف: 25
السهول العليا: 34
السهول القسنطينية: 34
سهول الملوية: 25
السودان: 21 – 75 – 121
السوس: 57 - 63 – 83 – 94 – 127 - 170 – 176
سوسة: 77 – 120 - 171 - 181
سوق أهراس: 24
سوق فنكور: 171
الشام: 85 - 157
شرشال: 65 – 92 – 94
شط الجريد: 25
شقوبش: 125
شلف: 27 - 155
صبرة: 56 – 88
صحراء الرق: 49
صقلية: 21 – 80 – 88
صنهاجة (بلاد): 93
طبنة: 64 – 133 – 134
طرابلس: 34 – 46 – 56 – 72 – 91 – 135- 155 – 168 – 173 – 174 – 182
طراق: 180
طرة: 168
طلميثة: 91 - 155
طنجة: 25 – 59 – 66
العراق: 85 – 127 - 157
العرق الشرقي الكبير: 49

العرق الغربي الكبير: 49
عنابة: 24 - 139
عين صالح: 35
غانا: 182
غرناطة: 70 – 85 – 94 – 125
غمارة (أرض): 81
فارس (أرض): 53
فاس: 53 – 61 – 63 – 66 – 83 – 95 – 98 – 118 – 139 – 140 - 148 – 160 – 161 – 162 – 166 – 168 – 171 – 173 – 175
فج الحمار: 180
فزان: 153
الفسطاط: 85
قابس: 93 – 94 – 159 – 172
قالمة: 54
القاهرة: 77 – 85 – 107
قرطاجنة: 73
قرطبة: 81 – 100 – 133 - 179
قرية أم الربيع: 174
قرية تاجرا: 165
قسطيلية: 64 – 100 – 117 - 170 – 180
قسنطينة: 86 – 92 – 137 – 174
قصر اليهودية: 155
قصر توكرة: 155
قفصة: 171 – 180
القل: 121
قلعة حماد: 170
قمة تاهات: 27
القيروان: 54 – 57 – 59 – 60 – 65 – 77 – 79 – 83 – 100 – 118 – 120 – 135 – 142- 157 – 160 – 161 – 170 - 174 - 178 – 180 – 182
كرماطة (قلعة): 65
ليبيا: 24 – 25 – 26 – 27 – 32 – 36- 37 – 39 – 41 – 46 – 47 – 48
مازر: 88
مازونة: 92 - 174
ماسة: 57
مالي: 21

متيجة: 121
المحيط الأطلسي: 21 – 23 – 28 – 31 – 97
مراكش: 62 – 78 – 119 – 125 – 128 - 178
مرتفعات أتاكور: 27
مرسى الخرز: 91 - 175
مرسى الدجاج: 179
مرسى الزيتونة: 121
مرمجانة: 86
مستغانم: 28 - 174
مسكيانة: 63
المسيلة: 65 – 66 – 121 – 134
مصر: 21 – 27 – 54 – 64 – 71 – 73 – 76 – 77 – 85 – 86 – 91 – 100 – 101 – 107 – 131 – 142 - 162 – 168 – 180
مصراتة: 179
مضيق جبل طارق: 21 – 22 – 33
المغرب الأدنى: 39 – 41 – 43 – 46 – 47
المغرب الأقصى: 22 – 23 – 25 – 26 – 27 – 28 – 32 – 33 – 34 – 35 – 37 – 38 – 39 – 41 – 42 – 43 – 45 – 46 – 47 – 57 – 61 – 97 – 106 – 123 – 130 – 138 - 150 – 173 – 176
المغرب الأوسط: 27 – 39 – 41 – 43 – 46 – 47 – 49 – 116 – 137 - 177 – 178 – 179
مكناس: 178
مكناسة: 125
مليانة: 25 – 121 - 155
مليلة: 93
مليلية: 28
منانش: 154
المنصورية: 77
المهدية: 77 – 88 – 107 – 137 - 154
موريتانيا: 26 – 37 – 47 – 48
موريطانيا: 70
نفزاوة (بلاد): 168 – 181
نفطة: 100
نهر أبي الرقراق: 28
نهر السنيغال: 21

نهر النيل: 20
نهر أم الربيع: 28 - 174
نهر سبو: 80 – 125
نهر سلا: 80
نهر سوس: 28
نهر سيبو: 28
نهر مجردة: 27
نهر ملوية: 137
نول لمطة: 161
النيجر: 21
النيل: 179
هاز: 62 – 63
الهضاب العليا: 25
هضبة تادميت: 26
هضبة حمادة الحمراء: 26
هوارة: 183
هيب: 91
واد الملوية: 25 – 28 – 32
واد زيز: 154
واد سيوبس: 24
واد شلف: 25 – 27
وادي الذهب: 25
الوادي الطويل: 27
وادي درعة: 28 - 160
وادي لاو: 81
وارجلان: 108
وجدة: 66 – 83 – 88 – 121
وهران: 25 – 32 – 66 – 92 – 137 - 174
اليابس الموريتاني: 37
اليمامة: 84

قائـمة الـمصـادر والـمراجـع

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1418هـ /1998.
- ابن الأخوة محمد القرشي: معالم القربة في أحكام الحسبة، حققه ونشره مع ترجمة للإنجليزية روبن ليوى، مطبعة دار الفنون بكمبرج، 1637م، أعاد طبعه مكتبة المثنى ببغداد، د.ت.ط.
- الإدريسي أبو عبد الله الشريف: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبوعات عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م.
- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة مصر، طبعة1381هـ/1961م.
- الألباني محمد ناصر الدين : السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، د.ت.ط.
- ألوين هارتلي إدوارد :الموسوعة الشاملة لأشهر سلالات الخيول، ترجمة عثمان الشيخ عوض، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ت.ط.
- بحاز إبراهيم: ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي ابتداءً من سنة(122هـ/739-740م) في المصادر العربية قديماً والمدرسة المغربية حديثاً، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الخامس، السنة 1408هـ1988م.
- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
- بشاري لطيفة بن عميرة: الرّق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (ق.1-4هـ/ 7-10م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ

الوسيط، إشراف الأستاذة الدكتورة: بوبة مجاني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،2007 – 2008.
- ابن بطوطة شمس الدين محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، طبعة 1417هـ/1997م.
- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، و هو جزء من كتاب المسالك و - الممالك، نشره البارون دوسلان، الجزائر 1857.
- البلاذري: فتوح البلدان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م.
- بلغيث محمد الأمين : الحياة الفكرية بالأندلس في عهد المرابطين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2002-2003م .
- بولقمة الهادي مصطفى وسعد خليل القزيري: الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت ليبيا، الطبعة الأولى 1995م،.
- تراون جان فرنسوا وآخرون: المغرب العربي الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون ، دارالغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1997م،
- ترحيني محمد أحمد : المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الجابري محمد عابد: فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظري خلدونية في التاريخ الإسلامي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة السادسة 1994م.

- ابن الجزار القيرواني : سياسة الصبيان وتدريبهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر مطبعة المنار، تونس، طبعة1968م.
- الجنحاني الحبيب: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى1980م.
- جودة حسنين جودة: الجغرافيا المناخية والحيوية مع التطبيق على مناخ ونبات قارات أوربا وآسيا وإفريقيا ومناخ ونبات العالم العربي، الفنية للطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، طبعة 1999م.
- جودة عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.ط.
- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقية الشمالية، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثالثة.
- حارش محمد الهادي: التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول203-46ق.م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د.ت.ط.
- حركات إبراهيم: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، د.ت.ط.
- حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، طبعة 1966م.
- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.

- حليمي عبد القادر علي:جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1968م

- جغرافية المغرب العربي الكبير، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، الطبعة الثانية1972م.

- ابن حماد أبو عبد الله محمد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1984م.

- الحموي ياقوت: معجم البلدان،دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية1995.

- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1980م.

- ابن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طبعة1979.

- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة1421هـ/2000م.

- المقدمة ، تحقيق الجويدي درويش، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،/2002م.

- ابن خلكان أبو العباس : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى1994م.

- الدباغ عبد الرحمن بن محمد: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي، تحقيق إبراهيم شبوح وآخرون، مكتبة الخانجي مصر، المكتبة العتيقة تونس، الطبعة الثانية، 1388هـ/1968م.

- ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار الميسرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1993م.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، الطبعة التاسعة 1413هـ/1993م.
- ابن رشد أبو الوليد محمد الشهير (بابن رشد الحفيد):بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1409هـ/1988م.
- رفلة فليب وأحمد سامي مصطفى:جغرافية الوطن العربي دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة للدول العربية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الرابعة، 1970م.
- زبادية عبد القادر: مملكة سونغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ط،
- الزجالي أبو يحيى عبد الله بن أحمد: أمثال العوام في الأندلس، مستخرج من كتابه:ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، المملكة المغربية، طبعة 1391هـ/1971م.
- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، منشورات المنصور للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية، طبعة1972م.
- الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة1980م.

- أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الإباضي:كتاب سر الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1333هـ/1979م.

- أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مخبر المخطوطات، بوزريعة، الجزائر، الطبعة الأولى2004م.

- زنيد خالد: الإبل وأهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع ميلادي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد18، ديسمبر 2002م.

- سحنون بن سعيد التنوخي: المدوَّنة الكبرى: مذيلةٌ بكتاب مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدوَّنة من الأحكام، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، طبعة1406هـ/1986م.

- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الإستقلال(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف الإسكندرية، طبعة 1994م.

- سعودي محمد عبد الغني: الوطن العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ت.ط.

ابن سعيد أحمد المجيليدي : التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1970م.

- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1970م.

- سلامة محمد سلمان الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية حضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان، 1405هـ/1985م.
- السلماني أبو عبد الله بن الخطيب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، الطبعة الأولى، د.ت.ط.
- رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية تونس، طبعة 1316هـ.
- كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،1956م.
- الشامي صلاح الدين علي: الوطن العربي دراسة جغرافية، منشأة المعارف الإسكندرية مصر، الطبعة الرابعة، 1996،
- شنايت العيفة :دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري بين القرنين الثاني والرابع الهجري، رسالة لنيل شهادة ماجستير تحت إشراف الدكتور موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1410-1411هـ/1990-1991م).
- شنيتي بشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 149ق.م/40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية 1985م.
- ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1383هـ/ 1964م.
- الصالحي سعدية عاكول وعبد العباس فضيح الغريري: الجغرافيا الحيوية (النبات والحيوان)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى1998م/1419هـ.

- صبري فارس الهيثي وحسن أبو سمور: جغرافيا الوطن العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1999م/1420هـ.
- ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.
- الصنهاجي أبو بكر البيدق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ونشر مع ترجمة له:ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، باريس، فرنسا، 1928م.
- الطاهري أحمد: المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، الطبعة الأولى1426هـ/2005.
- الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، طبعة2004م.
- الطحاوي الإمام: تخريج العقيدة الطحاوية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1414هـ /1994م.
- الظاهر نعيم: جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى1418هـ/1999م.
- عبد العباس فضيخ الغريري وآخرون:جغرافية الوطن العربي دراسة لمعوقات تكامله، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، الطبعة الأولى1999م/1420هـ.
- عبد العزيز طريح شرف: جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة 2000م.
- عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري: كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطيعة الأولى، 1979م.

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيـوان، تحقيق يحيى الشامي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1990م.

- رسائـل الجاحـظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، طبعة 1384هـ/1964م.

- عثمان محمد عبد الستار: المدينـة الإسلاميـة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى1419هـ/1999م.

- أبو العرب محمد ابن أحمد بن تميم التميمي: كتاب طبقات علماء إفريقية، نشره محمد ابن شنب مع كتاب طبقات علماء إفريقية لمحمد ابن الحارث الخشني وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب تميم، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د.ت.ط.

- العروي عبد الله: مـجمل تـاريخ الـمغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1996م.

- عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق،القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى1413هـ/1983م.

- عز الدين الديوري: الجفاف في المغرب قرن من ملاحظات الأرصاد الجوية، السياسة المائية والأمن الغذائي في أفق بداية القرن الواحد والعشرين، الدورة الخريفية لسنة 2000م، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، المملكة المغربية، 2001م.

- بن عميرة محمد: دور زناتـة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى 1984م.

- الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ

الإسلامي، غير مطبوعة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004.

- عوض حسان: الجبال المغربية مقدمة في ملامحها الجغرافية، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط المملكة المغربية، العدد17، ذو الحجة/ربيع الأول 1319هـ -يناير/مايو 1971م، .

- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.

الفيلالي عبد العزيز:دولة برغواطة(نشأتها، ديانتها، علاقتها بجيرانها)، مجلة سيرتا، السنة الأولى، العدد 2، ذو الحجة 1399هـ/1979م، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة الجزائر.

- القاضي عياض اليحصبي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.

- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل الدمشقي:البداية والنهاية، تحقيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ/1988م.

- تفسير القرآن العظيم تحقيق:سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 420هـ/1999م.

- كواتي مسعود: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة الجزائر، د.ت.ط.

- لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ت ط.

- لقبال موسى: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأتها وتطورها)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1971م.

- لومبار موريس: الإسلام في مجده الأول(القرن 8-11م/2-5هـ)، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر الطبعة الأولى 1979م.
- مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية مصر، د.ت.ط.
- مالك بن أنس: موطــأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1984م.
- المالكي أبو بكر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م.
- مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق ونشر محمد يعلى، نشره مع كتاب الأنساب لابن عبد الحليم وكتاب شواهد الحلية لأبي بكر بن العربي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد إسبانيا، د.ت.ط.
- محمد بن حارث الخشني : أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لوسيا أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد إسبانيا، طبعة 1992م.
- محمد رياض وكوثر عبد الرسول :إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية بيروت لبنان، الطبعة الثانية1973،
- محمد عصام الدين شوقي وعادل الحسانين: أراضي صحراوية عربية وإفريقية، معهد الدراسات والبحوث الإحصائية، جامعة القاهرة مصر، د.ت.ط.
- المحيثي عبد القادر مصطفى وآخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، الطبعة الأولى2000م، ص76.؛

- المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة،ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1983.

- المراكشي عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م.

- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى،1997م.

- مراكشي مجهول:كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار،نشره مع ترجمة فرنسية لقسم منه وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية1958م، أعاد نشره: فؤاد سيزكين ضمن سلسلة الجغرافية الإسلامية،منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا1418هـ/1997م، مج.266.

- مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم: صحيح مسلم، ج.2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،.

- المقدسي أبو عبد الله:كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ي دي خويه، إعادة طبعة ليدن1906م، نشر في فؤاد سيزكين : سلسلة الجغرافية الإسلامية، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية،1413هـ/1992م.

- المقري، أحمد بن محمد بن أحمد بن المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، طبعة 1997.

- ابن منظور:لسان العرب المحيط، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.ط.
- منيمنة سارة حسن: في جغرافية الوطن العربي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1411هـ/1990م.
- النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت حياته وآراءه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م.
- ابن نصر عبد الرحمن الشيرزي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1401هـ/1981م.
- والطون كينيث: الأراضي الجافة، ترجمة علي عبد الوهاب شاهين، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، طبعة سنة 1978م.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
- الونشريسي أحمد ابن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، طبعة 1401هـ/1981م.
- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: كتاب صفة المغرب المأخوذ من كتاب البلدان، صححه ونشره "هنري بيرس"، مكتبة الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1370هـ/1960م.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

- Akram Belkaid-Ellyas : A’ la rencontre du Maghreb, institut du Monde arabe, Paris, 2001.
- Despois Jean : L’Afrique Blanche, Presse universitaires de France, Paris, 1949.
- Gautier, E. F.: L’Afrique blanche, librairie Artehéme Fayard, Paris France, 1939.
- Golvin Lucien: le Magrib central a l’époque des Zirides, Arts et Métiers Graphiques, Paris France,1957.
- Un Comité De Rédaction :ENCYCLOPEDIE DE LISLAM, Edition G.P.MAISONNEUVE ET LAROSE S.A, PARIS, France, 1975.
- VERNET ROBERT :Recherches sur la production et circulation Céréales dans le Maghreb médiéval, revue D'Histoire et de civilisation du Maghreb , N°13, janvier1976, Sociétés Historique Algérienne, S.N.E.D, Alger .

- Climats Anciens du Nord de L'Afrique , Éditons , L'Harmattan, Paris, France, 1995.

فهرس الموضوعات

العنوان
الصفحة

- مقدمة 1
الفصل الأول: بلاد المغرب دراسة طبيعية
أ/الموقع 20
ب/التضاريس 22
ج/المناخ 29
- العوامل المؤثرة في مناخ بلاد المغرب.....30
1/الموقع 30
2/التضاريس 32
3/المسطحات المائية 32
- الحرارة 33
- التساقط 36
- الأقاليم المناخية في بلاد المغرب 39
د/الغطاء النباتي.....41
1/ إقليم نباتات البحر المتوسط 41
2/إقليم نباتات الإستبس.....46
3/إقليم النباتات الصحراوية 48
الفصل الثاني: الحيوانات التي تربى في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين
أ/ تربية الماشية 53
- تربية الماشية في بلاد المغرب عند الفتح 53
- الماشية في بلاد المغرب بعد فتحها 58
ب/ تربية الخيل والبغال والحمير 70
1- تربية الخيل 70
- أهم مناطق تربية الخيول في بلاد المغرب 80

- نقل الخيول من بلاد المغرب إلى الأندلس 81
2- تربية البغال 82
3- تربية الحمير 85
ج/تربية الحيوانات الأخرى 88
1- تربية النَّحل 88
2- تربية دودة القز 93
3- تربية الدَّجاج.....95
4- تربية الحمام 98
5- تربية الكلاب 99
الفصل الثالث: طرق تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين
أ/ الرُّعاة 105
1- الرُّعاة المستقرون 105
- اتخاذ الرُّعاة 108
- الرُّعاة من العبيد 108
- الرُّعاة المستأجرون 109
- شروط عقد استئجار الرعاة 110
- تضْمِين الرَّاعِي 112
2- الرُّعاة المتنقلون 113
- أسباب تنقل الرُّعاة 113
- أهم القبائل المتنقلة في بلاد المغرب 115
ب/ المراعي 117
- دور المرَاعي في تأسيس المدن 117
- أهمّ المراعي في بلاد المغرب 119
- مراعي الجبال 123
- ملكية المراعي 124
ج/ رعاية الحيوانات 124
1- تعليف الحيوانات 124
2- إيواء الحيوانات 128
3- تكاثر الحيوانات 130
د/مشاكل تربية الحيوانات 131
1- الفتن والاضطرابات السياسية 131
2- الظروف المناخية 137

3-الأمـراض 138
4- الأسـود 139
هـ/ الرّفـق بالحيـوانـات 140
الفصل الرابع: دور الحيوانات في اقتصاد بلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين
أ/ استخدام الحيوانات في الزراعة 146
1- التَّسميـد 146
2- الحـرث 149
3- الـسقـي 153
4- الـدِّراس 157
- أذى الحيوانات للزروع 157
ب/ استخدام الحيوانات في الصناعة ببلاد المغرب 159
1- الصناعة الجلدية 159
2- الصناعة النسيجية 167
- الصناعة الصوفية 167
- صناعة الحرير 172
- الصباغـة 173
3- الصناعة الغذائية 173
ج/ استخدام الحيوانات في التجارة ببلاد المغرب 176
- استخدام الحيوانات في النقل 181
- خاتـمة 184
- الملاحق 187
- الفهارس 194
- فهرس الأعلام والقبائل 195
- فهرس الأماكن 204
- مصادر ومراجع البحث 216
- فهرس الموضوعات.....232